مجدي كامل





تبيع أمريكا أصدقاءها؟!

لا صداقة تدوم و لا وفاء يستمر

استراتيجية الغدر الأمريكي عبر التاريخ

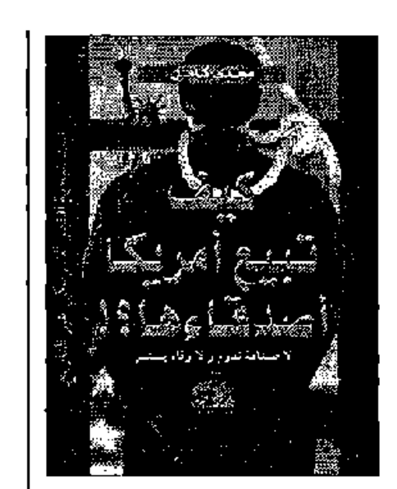


دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

كيف

تبيع أمريكا

أصدقاءها؟!



اسم الكتاب: كيف تبيع أمريكا أصدقاءها؟!
اسم المؤلف: مجدي كامل
المراجعة اللغوية والتدقيق: طه عبد الرؤوف سعد
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٢٣١/ ٢٠٠٨
الترقيم الدولى: I.S.B.N. 977-376-421-4
التنفيذ الفنى: أحمد وليد ناصيف
الإشراف الفنى: محمد وليد ناصيف
الإشراف العام: أ. أسعد بكرى كوسا

تطلب كافة منشوراتنا:
حلب: دار الكتاب العربى - الجميلية أمام مسرح نقابة الفنانين - ت: ٢٢٥٦٨٦٠
دمشق: مكتبة رياض العلبى - خلف البريد - ت: ٢٢٣٦٧٢٨
مكتبة النورى - أمام البريد ت: ٢٢١٠٣١٤
مكتبة عالم المعرفة - جسر فيكتوريا - ت: ٢٢٢٨٢٢٢
مكتبة الفتال- فرع أول - ت: ٢٤٥٦٧٨٦
فرع ثاني- ت: ٢٢٢٢٣٧٣

الطبعة الأولى
٢٠٠٩



سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودى تلفاكس: ٢٢٣٥٤٠١ ص.ب ٣٤٨٢٥
مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس: ٢٣٩١٦١٢٢ - ٢٣٩٣٣٦٧١
لبنان - تلفاكس: ٤٣٤١٨٦/ ٠٥ - تليفون: ٠٣/٦٥٢٢٤١ - ص.ب.٣٠٤٣ الشويفات
www.darketab.com - info@darketab.com
E-mail: darkitab2003@yahoo.com - darkitab-nassif@hotmail.com

كيف
تبيع أمريكا أصدقاءها؟!

الأمريكان وإستراتيجية الغدر بالحلفاء!!

◆

مجدى كامل

◆

الناشر

دار الكتاب العربي

دمشق - القاهرة



تقديم

لا صداقة مع أحد تدوم .. ولا وفاء لأحد يستمر .. هذا هو المنطق السياسي الأمريكي في التعامل مع الأنظمة الحاكمة في كل زمان ومكان .. منطقُ الغدرِ هذا لا يستثنى أحدًا .. ليس فيه مكان لحليف أو صديق .. الجميع سواسية .. المعيار الوحيد هو المصلحة فقط .. ليس للأخلاق مكان .. ليس لحقوق الصداقة مكان .. لا مكافأة نهاية خدمة للصديق أو الحليف الذي أفنى نفسه في خدمة العم سام .. لا مكان لحقوق الإنسان أو أية مصطلحات أو مفاهيمَ أخرى تحمل شبهة أي شيء يتعلق بـ " الإنسانية " !!

الغريب أنه ورغم تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الطويل في الغدر بأصدقائها وحلفائها من الحكام، وتخليها عنهم بعد استنفاد قدراتهم على القيام بأدوارهم، أو تراجع قوتهم ونفوذهم أمام القوى المعارضة، أو ظهور بديل يمكنه أن يقدم خدمات أكبر، أو في حال كان البديل يتقدم عليهم شعبيا " انتخابيا " فتتخلى عنهم لصالح بديل آخر .

وما جرى مؤخرا في باكستان مع الجنرال برويز مشرف، الذي تخلت عنه أمريكا دون رحمة، آخر حلقة من حلقات مسلسل الغدر الأمريكي بالحلفاء والأصدقاء .

و لم يشفع لمشرف عند سيده بوش أنه حليفه القوي المتفاني في خدمته – كما لم يفعل غيره –، وخادمه المطيع، الذي فتح له باكستان على مصراعيها، وجعلها جسرا للوثوب على جارتها المسلمة أيضا أفغانستان بحجة التعاون في مكافحة الإرهاب .

وكان بوش يسلمه قوائم أسماءكل من يريد اعتقالهم من مواطنيه ومواطني دول إسلامية أخرى، حتى دون دليل على اشتراكهم في أعمال إرهابية، فيجمعهم مشرف، ويسلمهم له عن طيب خاطر !!

ورغم أن الولايات المتحدة قد تخصصت عبر عقود طويلة في بيع حلفائها وأصدقائها، بمجرد أن تجد البديل الأفضل، أو أن تراهم آيلين للسقوط- وغالبا ما تكون هى السبب الرئيسي في هذا السقوط – إلا أن كثيرين هم الحكام الذين لا يتعظون، وما أن تغدر أمريكا بحاكم، حتى يتطوع آخر، ويقدم نفسه لها كـ " عميل مرشح " على أمل أن تكون هى رأس الحربة التي يستخدمها هو للقفز على كرسي الحاكم، وتدور الأيام ليجد في النهاية الغدر بانتظاره، وربما ترفض حتى استقباله في بلادها، ولو للعلاج، لأنها ببساطة استنفدته، حتى سقط في أعين شعبه، ولا تريد أن تراهن على جواد خاسر، بل تريد أن تراهن على البديل، وغالبا ما تكون قد أعدته، أو أعد هو نفسه، وطرح هو نفسه عليها كبديل أفضل .. وهكذا !!

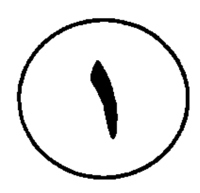
و في هذا الكتاب سوف نتتبع رحلة سقوط عدد كبير من الحكام والزعماء والقادة من حلفاء واشنطن الذين حاولوا الاستقواء بها ، أو التقرب إليها على حساب شعوبهم، وكيف غدرت بهم، وتخلت عنهم أو بمعنى أدق " باعتهم " فجأة ، وحولتهم من " ملائكة " إلى "شياطين " مستخدمة الآلة الإعلامية الشيطانية الأمريكية الرهيبة، وتشهد أغلفة أعداد مجلة " تايم " الأمريكية على هذا الغدر، فشَتَّان بين موضوع وصورة غلاف الحاكم عندما يكون ملاكا في أعين واشنطون، وموضوعه وصورته على الغلاف بعد أن يتحول لشيطان!!

في هذا الكتاب سنطالع تجربة الرئيس الباكستاني برويز مشرف، وتجربة شاه إيران محمد رضا بهلوي، وتجربة الرئيس الفلبيني فرديناند ماركوس، وتجربة مانويل نورييجا رئيس بنما . كما سنطالع تجارب هؤلاء الذين باعتهم أمريكا أيضا ومنهم الرئيس العراقي صدام حسين، وإدوارد شيفار دنادزه رئيس جورجيا، وسوهارتو رئيس أندونيسيا، وبينوشيه ديكتاتور شيلي، وباتيستا ديكتاتور كوبا، وموبوتو رئيس الكونغو، وبي نظير بوتو رئيسة وزراء باكستان السابقة، وجان أريستيد رئيس هاييتي، وعسكر آكاييف حاكم قرقيستان وغيرهم وغيرهم .

هذا الكتاب محاولة للوقوف على الخطأ التاريخي الكبير الذي يقع فيه أي حاكم إذا اعتقد ولو لبرهة أو للحظة واحدة أن أية قوة عظمى خارجية يمكن أن تضمن له الاستمرار في السلطة، لأن الضمانة الوحيدة هنا هى شعبه، والتاريخ شاهد على هذه القوى العظمى وكيف تغدر بأصدقائها، وتراهن على البديل لتبدأ اللعبة من جديد !!

مجدي حسين كامل





برويز مشرف.. صفعة توقعها الجميع إلا هو!!



كان نموذجا للخادم المطيع، تأمره أمريكا فيطيع .. طلبت منه أن يفتح بلاده على مصراعيها لرجال مخابراتها وعسكرييها ففعل .. طلبت منه تسليم كل من تراه مُهِمًّا بالنسبة لها حتى ولو على سبيل الاشتباه فقط ففعل .. أمرته بمصافحة المجرم أرييل شارون بحرارة ففعل .. أثارت علاقته بها كتابع ذليل كل حركات الموالاة والمعارضة في بلاده فلم يكترث .. وعندما حاصرته جموع شعبه .. وشعر بتخلي الجيش عنه .. قرر أن يتنحى .. راهن على الأمريكيين .. انتظر المكافأة .. كان يمني النفس بأن يحتضنوه ويوفروا له الحماية .. كان يأمل في أن يجد لديهم الملاذ والمأوى بعد أن خدمهم طويلا إبان وجوده على قمة السلطة .. ولكن ما حدث هو أن كانت هناك صفعة أمريكية على وجهه، الكل كان يتوقعها – حسب القاعدة– إلا هو!!

لقد جعل برويز مشرف من باكستان حديقة خلفية للمخابرات المركزية الأمريكية وحربها المجنونة على الإرهاب، كي لا تنعم بلاده بالاستقرارالسياسي ولتفقد حريتها الكاملة في إتخاذ القرارات المصيرية سواء في شؤونها الداخلية أو فيما يخصّ جيرانها، أفغانستان والهند بشكل خاص، بعد أن ارتهن كليا لسياسة إدارة الأحمق جورج بوش المعادية للعرب والمسلمين.

تسعة أعوام قضاها رئيس باكستان السابق، بحماس واندفاع أعمى، في خدمة دولة العام سام. وجعل من نفسه وضد إرادة الغالبية العظمى من أبناء شعبه،

رأس حربة مسمومة ضد دول وشعوب مسلمة، كأفغانستان مثلا، ليس لها مع باكستان في السابق خصومات أو نزاعات أو مطامع من أي نوع.

وبالتأكيد كان غزو أفغانستان من قبل أمريكا لهذا البلد المسلم والجار لباكستان دورا أساسيا فيما آل إليه مصير رجل أمريكا في المنطقة، برويز مشرف. فقد زرعت هذه الحرب وأثمرت، وهذا بالضبط هو هدف أمريكا الأساسي، بذور التفرقة والصراعات المحلية وأثارة النعرات والأحقاد العرقية والطائفية بين أبناء البلدين المسلمين الجارين.

واعتبر معهد الدراسات الأمريكي "ستراتفور" أن أحد أسباب تراجع شعبية مشرف كان سماحه لواشنطن بانتهاك السيادة الباكستانية!

لقد استقال الرئيس الباكستاني في النهاية بشكل مهين، عندما لفظته باكستان كلها، وانقطعت به السبل وانتهى دوره، وتخلى عنه الأمريكيون، حيث لم يكن في الحقيقة بالنسبة لهم – كما جرت عادتهم بالنسبة لمن يلعبون مثل دوره – إلا سلعة للاستخدام مرة واحدة، أو كما يقولون عندنا " عود الكبريت " لا يستخدم إلا مرة واحدة – وقد تم استخدامه واحترق وانتهى الأمر !!

رحل برويز مشرف عن حكم باكستان، وذلك بعد أن تيقن من تخلي حلفائه الأمريكان عنه، وإلا فإنه لم يكن يفكر في الاستقالة، بل خطط لكي يحكم باكستان سنوات عديدة مقبلة !!

وهنا ملاحظة مهمة وهى أن التخلي ليس بالضرورة أن يتم خلال سنة أو سنتين، بل، إن التخلي الفاجع يحصل بعد عقود من التحالف والصداقة،كما حدث للشاه وسوهارتو اللذيْن ظل كل منهما في الحكم ما يقارب أربعةَ عقود من الزمن..
والملاحظة الآخرى هى أن هؤلاء الرؤساء الثلاثة كانوا يحكمون دولا إسلامية!

و تماماً مثل مصير شاه إيران، تخلت الولايات المتحدة الأمريكية عن الحاكم الذي كرس فترة حكمه لخدمتها، وفعل كل ما تريده تلك الدولة العدو لبلده باكستان المسلمة؛ فقد وافق مشرف في العام ٢٠٠١ على مطالب الولايات المتحدة بالسماح لها باستخدام الأراضي الباكستانية لضرب حركة طالبان التي رفضت تسليم بن لادن بعد اتهام أميركا له بتفجيرات نيويورك وواشنطن في ١١ سبتمبر ٢٠٠١، ما جعل الباكستانيين يتفاجؤون بقوات أمريكية تحط على أرضهم بالقرب من منشآت باكستان النووية وقيام طائرات أمريكية بانتهاك السيادة الباكستانية جيئة وذهابا كلما خطر ببال قادتها شن حملات جوية على أماكن يشتبه بوجود قادة للقاعدة أو طالبان فيها، ما جعل هذا البلد النووي ضعيفاً بلا داعٍ أمام الولايات المتحدة وبحجة المشاركة في جهود مكافحة الإرهاب صارت باكستانُ بلداً بلا سيادة جوية إبان حكم مشرف.

وأغضب مشرف جميع الباكستانيين واستدعى غضباً واسعاً في أوساط الجماهير عندما أقالت الحكومة الباكستانية - بأوامر من الرئيس الباكستاني - صانع القنبلة النووية الباكستانية عبد القدير خان من مهامه كمستشار لرئيس الوزراء للشؤون العلمية في يناير عام ٢٠٠٤ ومن ثم وضعه تحت الإقامة القسرية بعد تحقيقات معه بطلب من الولايات المتحدة الأمريكية.

وأثارت مصافحته للمجرم الصهيوني آرييل شارون في سبتمبر عام ٢٠٠٥ على هامش القمة العالمية للأمم المتحدة، حنقاً داخليًّا عند الشعب الباكستاني المسلم، وعُد بذلك أول رئيس باكستاني يصافح مسؤولاً "إسرائيليًّا".

ونكث مشرف باتفاقه الذي أبرمه مع فريق من الإسلاميين بعدما أقر البرلمان الباكستاني في ديسمبر٢٠٠٣ تعديلات دستورية تعطي صلاحيات واسعة لمشرف بما في ذلك سلطة إقالة الحكومة المنتخبة، في مقابل الاتفاق الذي كان مشرف قد وقعه مع أحزاب المعارضة الإسلامية يتخلَّى بموجبه عن قيادة الجيش مع نهاية العام ٢٠٠٤ مقابل تمرير التعديلات.

أما أخطر جرائم مشرف فقد كانت أوامره إلى القوات الباكستانية في يوليو عام ٢٠٠٧ بتنفيذ عملية السكوت وهي اقتحام المسجد الأحمر الذي كان يعتصم فيه المسلمون ما أسفر عن مقتل وإصابة المئات من المصلين.

وقادته الدكتاتورية والتبعية إلى الولايات المتحدة إلى اتخاذ موقف مهين عندما عقد اجتماعا سريا في (أبو ظبي) مع رئيسة الوزراء السابقة زعيمة حزب الشعب المعارض المقيمة بالمنفى واستدعاها لمشاركة الحكم قبل أن تلقى مصرعها في عملية اغتيال غامضة، وإلى إقالة القاضي افتخار تشودري في مارس في العام ٢٠٠٧ من منصبه كرئيس للمحكمة العليا الباكستانية في إسلام آباد ومتابعته بتهم فساد من أجل عرقلة جهوده من أجل إطاحة مشرف، قبل أن تجبره الضغوط على قبول قرار المحكمة العليا بإعادته إلى منصبه في يوليو من العام ذاته.

لقد انزاح مشرف عن منصبه كرئيس لباكستان بعدما قهر الباكستانيين واقتحم المسجد وقدم شعبه وأمن بلاده القومي والإسلامي هدية لحلفائه الأمريكيين الذين في النهاية قدموه إلى أعدائه عربون صداقة جديدة، ليلقى مصير كل خائن.

يستطيع الرئيس الباكستاني السابق برويز مشرف أن يعتبر نفسه محظوظا حتى هذه اللحظة. لأنه غادرالقصرالرئاسي بطريقة هادئة وسلمية- ربما لم يكن يتوقّعها هو نفسه- بعد أن تكالب عليه خصومه السياسيون، وأرادوا له مصيرا ونهاية أكثرقسوة وعنفا.

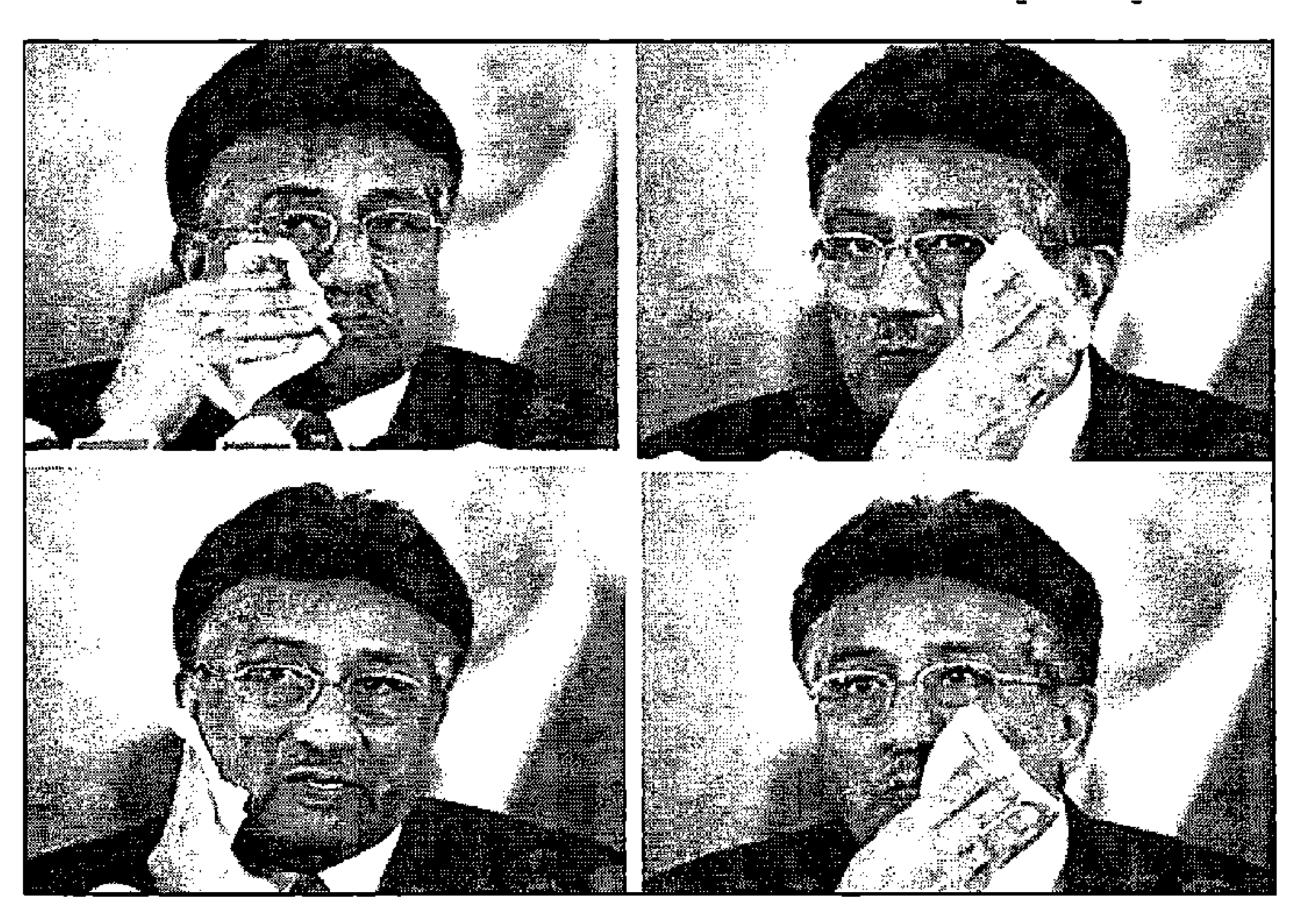


هكذا جسدت صحيفة " اندبندنت " البريطانية " بريشة رسام كاريكاتيرها ما فعله بوش.

مع مشرف بعد سقوطه !!

وسياسة أمريكا هذه ليست غريبة علينا. ولعل برويز مشرف لم يكن يتوقّع من إدارة بوش الصغير، بعد الخدمات الجليلة التي قدمها لها، أن تتركه يواجه مصيره بنفسه وحيدا فريدا. وبخلت عليه حتى بورقة صغيرة تمنحه فيها اللجوء السياسي. مع أن (حمّالة الحطبِ) كوندوليزا رايس قالت" إن مشرف كان صديقا للولايات المتحدة وأكثرالشركاء في العالم التزاما في الحرب على الإرهاب والتطرف" - أكثرالشركاء خضوعا وتبعية للإدارة الأمريكية- ولكن كلمات المديح لم تنفع عميل انتهى دوره، وألقت به واشنطون – عمليا -في سلّة المهملات.

فأمريكا، وهذه حقيقة واضحة حتى للعميان، لا أصدقاء لها بل عملاء وخدما فقط. وهي دولة لا تحترم قوانين ولا أعراف ولا شرائع وليس لديها التزامات أخلاقية أبدا، فهي بالتالي لا تؤمن بالقول المأثور عند الشدائد تُعرف الأصدقاء .



مشرف يعلن استقالته ويغالب دموعه !!

إن مشكلة عملاء أمريكا، هي أنهم يخلطون بين " العمل "، و" العمالة "، وهي خيانة عظمى. فالعمل تنظمه عادة قوانين وقواعد معترف بها دوليا وتتم الموافقة عليها من جميع الأطراف. أما العمالة للأجنبي، وتحديدا لأمريكا، فلا قوانين ولا قواعد لها. وجميع شروط التعاقد يضعها ساكن البيت الأبيض وما على العميل إلاّ التنفيذ. فشعارأمريكا الثابت في التعامل مع عملائها ومن ينخرط في خدمتها مجانا أو باجور زهيدة، هو نفّذ ثمّ ناقش.

و قد وجهت الإدارة الأمريكية – كما جرت العادة في مثل هذه الأحوال – صفعة شديدة لأكبر حلفائها في ما يسمى "الحرب على الإرهاب"، الرئيس الباكستاني برويز مشرف بتخليها عن مساندته في وقت تتزايد فيه الضغوط الشعبية والقوى السياسية عليه لمحاكمته بعد إجباره على الاستقالة.

وقالت كوندوليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية إن مشرف " سعى لقصقصة أجنحته سياسيا في باكستان، بسبب قرارات خاطئة اتخذها في السابق، مشيرة إلى أنه يعيش في الوقت الراهن أزمة سياسية حقيقة وكبيرة "

وأشارت رايس – التي نسيت أن أزمة مشرف كانت تبعيته لبلادها على حساب شعبه وأمته – إلى أن الإدارة الأمريكية " ضغطت على مشرف للتخلي عن بزته العسكرية، ومنصبه كقائد للجيش الباكستاني ".

وأوضحت أن ذلك " أضعفه بشكل كبير، لافتة إلى أن " وضعه بات حرجا، ويصعب إنقاذه منه في الوقت الحالي " !!

وأكدت رايس أن بلدها يحبذ العمل مع القوى الديمقراطية في باكستان بدلا من التعامل مع " شخصية غير محببة فقدت شعبيتها " !!

وفي معرض ردها في حديثها لمحطة " فوكس نيوز " الأمريكية التلفزيونية، الذي نقلته وكالات الأنباء للعالم كله، على سؤال حول التدخل الأميركي في ملف

إعادة القضاة الباكستانيين إلى مناصبهم، ردت رايس بأن الإدارة الأميركية تحاول تجنب التدخل في هذه القضية وأنها تترك القرار للفصل في هذه القضية إلى القوى السياسية والشعبية في باكستان.

وأعلنت رايس – وبنبرة حاسمة - إن مسألة " منح اللجوء السياسي للرئيس الباكستاني برويز مشرف أمر غير مطروح على طاولة البحث " !!

وقالت رايس " نريد الآن أن نركز فقط على ما يتوجب علينا القيام به مع الحكومة الديمقراطية الجديدة في باكستان " !!

وهكذا فبعد رحلة امتدت تسع سنوات من خدمة أسياده بالبيت الأبيض ،فها هو اليوم مشرف بعد أن انتهت مهمته، وانتهت صلاحيته، يجد نفسه في مزبلة التاريخ، وأن الأبواب أصبحت موصَدة في وجهه، ويصدم العميل مشرف بأن أمريكا تخلت عنه وتنكرت له، بل وتعمل على تقريعه وإذلاله !!

أما الرئيس الأمريكى جورج بوش فقد أجرى مكالمة قصيرة مع الرئيس الباكستانى المستقيل برويز مشرف شكره فيها على المساعدة التى قدمها فى محاربة القاعدة. كما أجرى بوش مكالمة مع رئيس الوزراء الباكستانى يوسف رضا جيلانى قدم فيها تعازيه على قتلى التفجيرات التى شهدتها باكستان.

وقال محللون أمريكيون إن عبارات بوش هى عبارات مواساة ومديح باهت لرجل كاد يعرّض حياته للخطر أكثر من مرة خدمة للمصالح الأمريكية، وكان من المفروض أن يكون الموقف الأمريكى على قدر "الوفاء" الذى أبداه مشرّف.

وقبل إسراع مشرف بتقديم استقالته في أغسطس عام ٢٠٠٨ – بيدي لا بيد عمرو -

حيث كان الائتلاف الحكومي في باكستان قد بدأ لتوه إجراءات ترمي إلى عزله، أعلنت وزارة الخارجية الأميركية " إن عزل مشرف هو شأن باكستاني داخلي " !!

وقال المتحدث باسم الخارجية جونز الوجاليجوس خلال مؤتمر صحفي "لطالما قلنا إنه يعود إلى الشعب الباكستاني أن يقرر شؤون السياسة الداخلية لباكستان"!!

والغريب أنه أضاف : "من مسؤولية القادة الباكستانيين تحديد الطريق الواجب سلوكها لجعل باكستان بلدا حديثا وديموقراطيا" !!

ولكن واشنطن ذكرت الائتلاف الحكومي، الذي شكله كل من حزب الراحلة بنازير بوتو الذي يرأسه حاليا زوجها على آصف زرداري وحزب رئيس الوزراء الأسبق نواز شريف، بوجوب احترام الدستور الباكستاني.

وقال المتحدث "ما نأمله هو أن يكون كل إجراء متخذ متفقًا مع القوانين ومع الدستور الباكستاني".

وبدا المتحدث الأميركي مطمئنا لناحية مستقبل التعاون بين الولايات المتحدة وباكستان، القوة النووية الاستراتيجية في جنوب آسيا، في حال رحيل مشرف عن السلطة!!

و كان مشرف قد برر تبعيته العمياء لأمريكا في مذكراته الشخصية التي نشرها عام ٢٠٠٧ الرئيس الباكستاني بقوله إنه تلقى تهديدا أمريكيا مباشرا بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، على لسان مبعوثها ريتشارد أرميتاج يقول له بصراحة : " إما أن تتعاون معنا للقضاء على طالبان والقاعدة، وإما ستتعرض باكستان لقصف يعيدها إلى العصر الحجري "!.



وقال مشرف: " في ظل هذا التهديد كان من واجبي أن أتخذ الإجراءات والخطوات الكفيلة بالمحافظة على بلادي".

ولكن بعد ظهور هذه المذكرات، أنكر آرميتاج - بشدة - وجود أي تهديدات، لكنه قال : " في لحظة حاسمة من التاريخ قدمنا للرئيس مشرف عدة اختيارات

صعبة فاختار أن يكون إلى جانبنا، إنه يتميز بقدرته على اتخاذ قرارات قاسية، وبوش يحب فيه ذلك ".

و كان مشرف عندما التقى ببوش لأول مرة أواخر عام ٢٠٠١، استقبلته واشنطن استقبال الأبطال، واعتبره بوش أهم حليف له في مغامرته التي أطلق عليها "الحرب على الإرهاب".

و منذ ذلك اللقاء أصبح مشرف أوثق حلفاء إدارة بوش. ومن الطريف أنه قَبْل ذلك اللقاء بشهور قليلة وبعد انتخاب بوش مباشرة، عجز عن النطق باسم مشرف في لقاء صحفي مشهور ولم تكن لديه أدنى فكرة عنه، لكنها أحداث ١١ سبتمبر التي قلبت أمورا كثيرة رأسا على عقب.

ولقد دأب بوش على توجيه العتاب الخفيف لمشرف على تدهور الحريات السياسية ونكوصه عن وعوده الكثيرة بإعادة الحياة الديمقراطية لباكستان، وكان دائما عتاب الحبيب لحبيبه، مجرد لفت نظر لتجميل صورة بوش ودفاعه عن نشر الديمقراطية في العالم. وهي الصورة التي لا يصدقها أحد.

واستمر بوش في دعم مشرف رغم ديكتاتوريته، وتعطيله الدستور، وإعلانه حالة الطوارئ، وتعطيله النظام القضائي، واعتقاله قضاة المحكمة الدستورية العليا، وإلقائه القبض على آلاف المعارضين، وإغلاق وسائل الإعلام المعارضة.

ورضي بوش – عن طيب خاطر – أن يكون حليفا لديكتاتور غاشم ساهم هو في صنعه، ووجد نفسه في حاجة شديدة له، وعندما استنفد غرضه منه لفظه غير مأسوفٍ عليه !!

و بعد أن ساءت علاقة مشرف بشعبه، وأصبح في مهب الريح، قال مستشار الأمن القومي الأمريكي ستيفن هادلي : " لقد أعطانا مشرف كلمته بعد ١١ سبتمبر، وأثبت لنا أنه رجل بحق، ويلتزم بما يعد، ونحن الآن أيضا ما زلنا نثق فيه وفي كلمته أنه سيعود للديمقراطية."

لكن وندي شامبرلين السفير الأمريكي السابق في باكستان وقت أحداث ١١ سبتمبر يقول : " كان على الولايات المتحدة تأييد مشرف طول الوقت، لكن ليس بعد ما قام به مؤخرا بالانقلاب على كل مؤسسات الدولة. إن تحالفنا ينبغي أن يكون مع دولة باكستان وليس مع رجل واحد" !!



المظاهرات التي تزامنت مع بدء إجراءات عزل مشرف جعلته يدرك أن النهاية وشيكة فأسرع بالاستقالة !!

لقد كان بوش دائم التعبير عن إعجابه بشجاعة مشرف في مواجهة المتعاطفين مع القاعدة وطالبان من قوات الأمن أو المخابرات، ويقدر فيه مخاطرته بتعرضه لعدة محاولات لاغتياله.

ولذلك كان بوش مستعدا دائما أن يتجاوز عن بعض تصرفات مشرف التي تتعارض مع السياسة الأمريكية مثل عدم محاولة مشرف انتزاع أي معلومات من عالم الذرة

الباكستاني عبد القدير خان تتعلق بالجهات التي قام بتسريب المعلومات النووية لها، أو عندما عقد مشرف اتفاق سلام مع زعماء القبائل الشمالية والتي أزعجت الأمريكيين لأنهم رأوا فيها توفير ملاذ آمن "رسمي" لمقاتلي القاعدة وطالبان.

ولطالما كرر بوش تفهمه لبعض تجاوزات مشرف لأن طلبات الأمريكيين له لا تنتهي، فهم يطالبونه بالتصدي للأصوليين وللمدارس الإسلامية وللتعامل مع قضية عبد القدير خان وللقيام بإصلاحات اقتصادية والعودة للحياة الديمقراطية وتحقيق تقدم سياسي في العلاقات مع الهند وكبح ثورة المتمردين في كشمير .. إنها قائمة طويلة من المطالب، وكان مشرف يقدم كل ما يستطيع تقديمه.

ليس بوش أول رئيس أمريكي يتسامح مع ديكتاتور عسكري، ولا هو أول رئيس يغض نظره عن ممارساته الداخلية أملا في أن تنجز هذه الدولة خدمات استراتيجية للولايات المتحدة.

وقد أكد بوش بوضوح في مؤتمر صحافي عقده في كروفرد مع المستشارة الألمانية ميركل يوم ١٠ نوفمبر٢٠٠٧ أن مشرف ما زال حليفاً لأمريكا رغم إعلانه حالة الطوارئ والأحكام العرفية.

وقد شرح بوش الموقف في المؤتمر الصحافي قائلاً: بعد ١١ سبتمبر خيَّرنا مشرفًا بين أن يكون معنَا أو ضدنا، وقد اختار أن يكون معنا .

هكذا يلخص بوش موقف إدارته من ديكتاتور عسكري بلغة تلك الأيام، معنا أو ضدنا. إنها لغة الحرب ضد الإرهاب التي وسعت نطاق فعله. هكذا تشترك أمريكا مع باكستان في الحرب ضد الإرهاب فتبرر قبولها الحلفاء كما هم "لأنهم معنا". ولكن بوش طبعاً لا بد أن يكابر فيقول إن باكستان تشاركها أمراً آخر ألا وهو التوق للعيش بحرية (نفس كلمة الحرية التي ذكرها بوش ٢٧ مرة خلال عشرين دقيقة في خطاب القسم من العام ٢٠٠٥).

ومن أجل هذا التوق دعا بوش مشرفًا في المؤتمر الصحفي لأن ينزع الزي العسكري و" أن يقود بلاده بلباس مدني". بهذه العبارة تتلخص طلبات بوش من مشرف.

فمنذ أن وصل مشرف إلى سدة الحكم في باكستان بانقلاب عسكري ضد نواز شريف تلقت حكومته ١٠ مليارات دولار من الدعم الأمريكي، منها ٧ مليارات لأغراض العسكرية.

ويذكّر هذا الدعم الأمريكي بالدعم الذي تلقاه نظام ضياء الحق الذي انقلب عام ١٩٧٧ على (ذو الفقار على بوتو) مؤسس حزب الشعب، إذ احتلت باكستان في فترة حكم ذلك الديكتاتور المرتبة الثالثة بين متلقي المعونات الأمريكية بعد إسرائيل ومصر.

ورغم إعلان مشرف حالة الطوارئ، وحديث بوش الهاتفي الليلي معه حول الموضوع، وتهديد العديد من النواب في الكونجرس باتخاذ خطوات لوقف الدعم لباكستان، ورغم الحرج الأمريكي بعد هذه الخطوة، كانت الإجراءات تمضي على قدم وساق لتنفيذ الخطة العسكرية لهجوم مضاد مشترك أمريكي باكستاني في منطقة القبائل .

وكان مشرف بالطبع يدرك أن أمريكا تنتقد وتضغط، ولكن ليس لها غنى عنه في إحكام القبضة على الجيش، وفي التصدي للمعارضة الإسلامية، وللتمرد على أنواعه في منطقة القبائل الملاصقة لأفغانستان.

وبعد أن ادعى بوش أنه يصدق مشرفًا قائلاً: إذا نظر رجل باكستان القوي في عيني وقال لي إنه لن تكون هنالك القاعدة ولا طالبان فإني أصدقه "، ثم أعلن مشرف هدنة مع طالبان في العام ٢٠٠٦ وما كاد بوش يهنئه على ما أنجز، حتى انسحبت منها طالبان. ولم يتمكن مشرف من شن حملة عسكرية حقيقية ضد

طالبان وعلى الفصائل الإسلامية التي تتخذ منطقة القبائل ملجأ ومنطلقا لها. وكانت أحداث المسجد الأحمر نقطة تحول اضطرته أن يقرر ويحسم الأمر كما تريده أمريكا ان يفعل.

ولكي يتمكن من قيادة باكستان إلى مواجهة كهذه بالتحالف مع أمريكا في ظل وجود معارضة باكستانية إسلامية واسعة في بلده كان على مشرف أن يحسم وأن يختار أحد اتجاهين يمكناه من الحسم : توسيع قاعدة النظام بإتاحة المجال لمشاركة معارضة أقل خطراً ترتاح لها أمريكا مع علمها أنها غير قادرة على حكم البلد من دون الجيش، أو فرض حالة الطوارئ والأحكام العرفية على البلد ومنع المعارضة من التعبير عن ذاتها واحتجاجها. رفض مشرف عودة نواز شريف باعتبار الأخير مقرباً من المعارضة الإسلامية الواسعة في البلد، ويصعب أن يكون مجرد مانح شرعية لخطواته في المعارضة أو في السلطة.

وقد جرت محاولة أمريكية للتوفيق بين مشرف وبوتو المقبولة من أمريكا، وبذلك يتم توسيع قاعدة وشرعية النظام في مواجهة الإسلاميين في الداخل وطالبان في الداخل والخارج.

ولكن رد فعل الإسلاميين الذي اعتبر هذا التوافق تواطأ مع الديكتاتورية من قبل بوتو وإمعانا في النهج العلماني من قبل مشرف من ناحية، وطموح بوتو السياسي غير المحدود وغير الملجوم، لا بالتفجيرات وقتل مؤيديها ولا بموقع الشريك في السلطة بوساطة أمريكية من ناحية أخرى، جعلا مشرفًا يختار الخيار الثاني وهو فرض الأحكام العرفية وحالة الطوارئ.



المتظاهرون الباكستانيون وقد حملوا صورة تجمع ملامح بوش ومشرف معا في إطار احتجاجاتهم على تبعية مشرف العميل لأمريكا !!

كانت تقارير صحفية ذكرت في وقت سابق، أن الأيام التالية قد تشهد بداية النهاية لحياة مشرف السياسية في ظل استمرار تضييق الخناق عليه من قبل زعماء المعارضة الباكستانية والتي ألحقت به هزيمة مدوية في الانتخابات البرلمانية.

وتتهم المعارضة مشرفًا بالمسئولية عن اغتيال بي نظير بوتو وعدم تأمين الحراسة الأمنية لها والتستر على العناصر التي اغتالتها، وإعلان حالة الطوارئ في شهر نوفمبر ٢٠٠٧، وإصراره على عدم رد اعتبار رئيس القضاة محمد افتخار تشودري وكافة قضاة المحكمة الدستورية والمحاكم العليا الذين أقالهم.

ورفض نواز شريف زعيم حزب الرابطة الإسلامية، في وقت سابق النداءات المطالبة بخروج سياسي لمشرف يحفظ ماء وجهه، وقال : "إن العفو عن جرائم مشرف ليس محل نظر، لا توجد حماية من التصرفات غير القانونية والدستورية التي اقترفها إلى الآن".

ويرى محللون أن نتائج الانتخابات التشريعية الأخيرة كانت بمثابة استفتاء على رفض سياسات مشرف بالكامل باعتبار أن القيادات السياسية المؤيدة له خرجت من الساحة السياسية ولم تكتف بذلك وحسب بل أخفق عدد منها من الفوز بمقاعد برلمانية.

أما رئيس الوزراء الباكستاني السابق نواز شريف فكان قد صعد هجومه على الرئيس برويز مشرف، مشيرا إلى إمكانية إعدامه.

و قال شريف في كلمة أمام ما يصل إلى ١٥ ألف محتج خارج البرلمان في إشارة إلى مشرف: "طلبنا منك الاستقالة بكرامة بعد الانتخابات، ولكنك لم تفعل"، مضيفا : " الآن الشعب أصدر حكما جديدا عليك.. إنه يريد محاسبتك "، وهتف الحشد " اشنقوا مشرفًا" !!

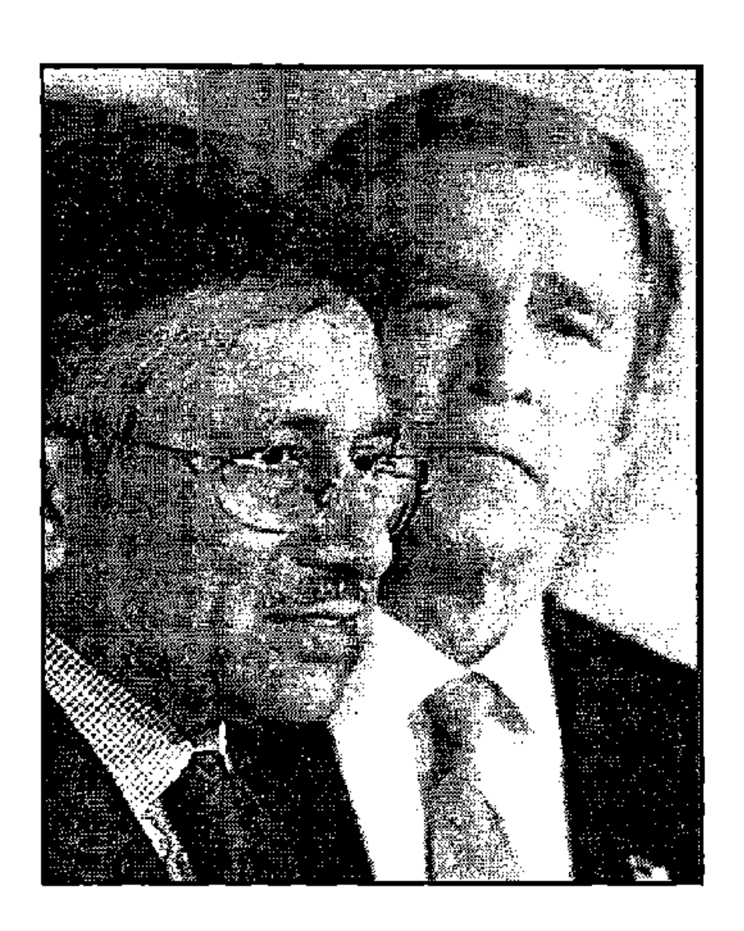
وأضاف شريف متسائلا : "هل الشنق للساسة فقط ؟ "، مشيرا إلى رئيس الوزراء السابق ذو الفقار على بوتو الذي أعدمه شنقا دكتاتور عسكري في عام ١٩٧٩.

وقال شريف : "إنه يجب محاسبة الرئيس على إلغاء الدستور والانقلاب الذي وقع عام ١٩٩٩"، داعيًا إلى محاكمة مشرف بتهمة الخيانة لإلغائه الدستور وانقلابه.

و كان قد تم السماح لشريف بالعودة من المنفى أواخر عام ٢٠٠٧ مع انكماش سلطة مشرف حليف الولايات المتحدة القوي في أعقاب صدامٍ مع الهيئة القضائية.

وجاء حزب نواز شريف الذي تولى رئاسة الوزراء مرتين في المركز الثاني في الانتخابات التي جرت في شهر فبراير عام ٢٠٠٨ .

وكانت العاصمة الباكستانية إسلام أباد شهدت مظاهرات حاشدة أمام البرلمان دعما لرئيس المحكمة العليا افتخار تشودري، شاركت فيها الأحزاب السياسية والمحامون ومؤسسات المجتمع المدني من مختلف المدن.



ومشرف قبل انقضاء شهر العسل المر !!

وقد طالب المتظاهرون الرئيس برويز مشرف بالتخلي عن منصبه، كما طالب البعض بمحاكمته، وإعادة القضاة المعزولين إلى مناصبهم.

وكان مشرف قد أقال تشودري ونحو ٦٠ قاضيا عندما أعلن حال الطوارئ في البلاد في ٣ نوفمبر٢٠٠٧ خشية قيامهم بإلغاء إعادة انتخابه رئيسا قبل ذلك بشهر.

كما أعلن تسعة وزراء من حزب رئيس الوزراء السابق نواز شريف استقالتهم من الحكومة بسبب عدم إعادة تعيين القضاة الذين أقالهم الرئيس الباكستاني برويز مشرف.

والحقيقة أنه ورغم أن إجراءات عزل الرئيس برويز مشرف التي بدأت في ١١ أغسطس لعام ٢٠٠٨ لم تكن مفاجِئة لكثيرين بالنظر للأزمات المتلاحقة التي شهدتها باكستان في السنوات الأخيرة، إلا أنها في الوقت ذاته تحمل دلالات هامة

جدا لكثيرين من الحكام وهى أن من يحاول الاستقواء على الداخل عبر التحالف مع الخارج يكون مصيره كالرئيس الباكستاني .

فما أن اتفق تحالف الأحزاب التي تشكل الحكومة الحالية المنتخبة والتي تشكل الغالبية البرلمانية وفي مقدمتها حزب الشعب بزعامة آصف زارداري زوج الزعيمة الراحلة بنظير بوتو، وحزب الرابطة الإسلامي بزعامة رئيس الوزراء الباكستاني المنتخب الأسبق نواز شريف، على التحرك برلمانيا لإسقاط مشرف، إلا وأعلنت واشنطن أكبر حلفاء مشرف أن ما يحدث هو شأن داخلي .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إنها باركت فيما يبدو أيضا إجراءات إقالته، وهذا ما عكسته تصريحات وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس حينما صرحت بأن مشرفًا هو المسؤول عن تدني شعبيته بسبب قرارات خاطئة اتخذها في السابق منها رفضه أكثر من مرة الاستجابة لدعوات التخلي عن بزته العسكرية، ومنصبه كقائد للجيش، مؤكدة أنه عانى في الفترة الأخيرة من أزمة سياسية حقيقية وكبيرة.

وبجانب واشنطن، تلقى مشرف أيضا صفعة كبيرة من أقوى داعميه في الداخل والمقصود هنا بالطبع الجيش الباكستاني، الذي رفض طلب مشرف بالتدخل وفرض الأحكام العرفية في البلاد، وبالنظر إلى أن استخدام صلاحياته بحل البرلمان والحكومة لا يمكن أن تنفذ إلا بمساعدة الجيش، فقد باتت الأوراق المتبقية بيد مشرف حبرا على ورق .

وهنا يقفز تساؤل جوهري " ما سر هذا التحول الدراماتيكي في موقف واشنطن والجيش الباكستاني؟.

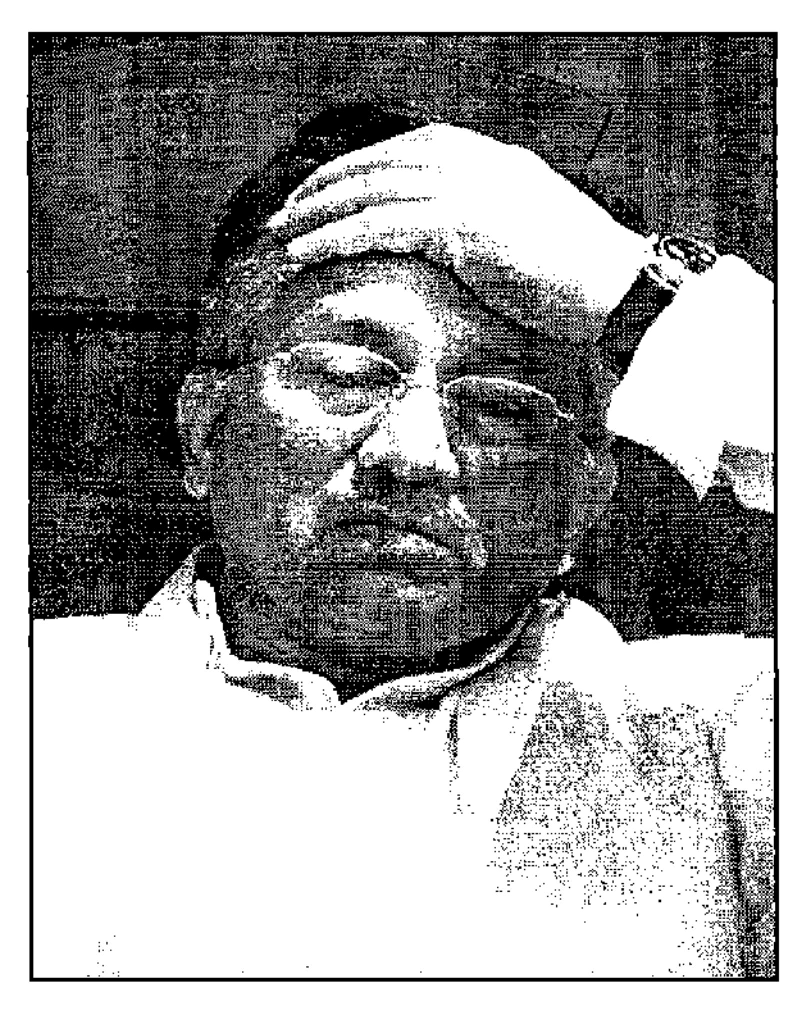
يكاد يجمع المراقبون أن الانتخابات التشريعية الأخيرة التي أجريت في ١٨ فبراير ٢٠٠٨ هى التي عجلت بنهاية حكم مشرف لأنها كانت بمثابة استفتاء على

رفض سياساته بالكامل، حيث خرجت معظم القيادات السياسية المؤيدة له من الساحة السياسية بعد أن أخفقت في الفوز بمقاعد برلمانية، ومنذ هذا الوقت اضطر للتعايش القسري مع حكومة مكونة من تحالف المعارضة السابقة.

ونظرا لأن حزب الشعب هو الذي فاز بالانتخابات البرلمانية وتلاه حزب الرابطة الإسلامية بزعامة نواز شريف، فقد كان متوقعا أن تسارع الحكومة التي شكلاها إلى الثأر من أخطاء مشرف بحقهما، حيث يتهم حزب الشعب المخابرات الباكستانية بتدبير اغتيال زعيمته بنظير بوتو بعد عودتها من المنفى، هذا بجانب العداء التاريخي بين نواز شريف ونظام مشرف الذي أطاح بحكومته المنتخبة ديمقراطيا عام ١٩٩٩ .

وهناك أيضا تصاعد المواجهات السياسية بين مشرف والأحزاب الإسلامية المعارضة على خلفية إغلاق المدارس الدينية وأزمة المسجد الأحمر واستمرار التحالف مع واشنطن في الحرب على ما تسميه بالإرهاب، مما أوقع خسائر فادحة في صفوف المدنيين والعسكريين الباكستانيين على حد سواء، بل وظهرت أيضا طالبان باكستان على غرار طالبان أفغانستان .

التطورات السابقة جعلت الجيش يعي أن الأمور خرجت من يد مشرف وأن استمراره يهدد وحدة البلاد ويصب في خدمة ألد أعدائها الهند، بالإضافة إلى أن الإدارة الأمريكية التي طالما تمسكت طوال سنوات ببقاء مشرف كرئيس للدولة واتفقت مع بنظير قبل اغتيالها على تقاسم السلطة معه كرئيسة للحكومة، غيرت هى الأخرى سريعا من سياستها وتخلت عن حمايتها لمشرف، بل واتهمته أيضا بالفشل في القضاء على القاعدة .



هذا الموقف الأمريكي هو رسالة قوية للحكام بأن واشنطن تتخلّى دائما عن أدواتها إذا شابها التقصير في أداء المهمة المطلوبة منها أو بعد استنفاد أداء مهامها أو إذا أصبحت عبئا عليها، ولذا فإنه لا غنى عن الاعتماد على التأييد الشعبي فقط للاستمرار في الحكم.

وهناك أيضا التغير الطارئ على السياسة الباكستانية والذي يعتبر سابقة في العالم الإسلامي ومناقضا لما حدث في موريتانيا، حيث إنه للمرة الأولى في تاريخ باكستان يتم إقالة الرئيس عبر إجراءات دستورية ديمقراطية وليس عبر الانقلابات العسكرية التي كانت سمة مميزة لتلك الدولة التي ولدت عام ١٩٤٧ كوطن لمسلمي شبه القارة الهندية .

فخلال ٦١ عاما هى عمر باكستان، هيمن الحكم العسكري المباشر على البلاد لمدة ٣٣ عاما من تاريخها، فيما سيطرت عشر حكومات مدنية على مقاليد السلطة

لمدة ٢٧ عاما، ورغم أن حكم العسكر كان مبررا في السابق بالعداء الذي واجهته الدولة الوليدة من جارتها الهند، إلا أنه في السنوات الأخيرة، تصاعدت الدعوات للحكم الديمقراطي بعد أن قام نظام مشرف بقمع المعارضة وبإدخال البلاد في دوامات من عدم الاستقرار والأزمات الاقتصادية .

ومشرف من مواليد عام ١٩٤٣ في مدينة نيودلهي التي صارت عاصمة للهند بعد انفصال باكستان عنها في ١٥ أغسطس ١٩٤٧، وهاجرت أسرته إلى باكستان حيث تلقى تعليمه الأولي في كراتشي.

في عام ١٩٦٤ التحق بالجيش وتدرج في مناصبه المختلفة حتى تقلد منصب قائد الجيش عام ١٩٩٨ عقب استقالة الجنرال جهانغير كرامت من المنصب.

خاض حربين ضد الهند، أولاهما عام ١٩٦٥ في ولاية البنجاب وتلقى خلالها نيشان البسالة، كما خاض الحرب الثانية عام ١٩٧١ .

كان قائدا للجيش الباكستاني إبان القتال العنيف بين الهند وباكستان في عام ١٩٩٩ في مرتفعات كارغيل التي انتهت بانسحاب المقاتلين الكشميريين منها بضغط من رئيس الوزراء الباكستاني حينئذ نواز شريف.

انقلب على نواز شريف في أكتوبر ١٩٩٩ على خلفية اتهامه له بمحاولة إسقاط الطائرة التي كانت تقله وهو قادم من سريلانكا.

وبانقلابه على حكومة نواز شريف المنتخَبة، عاد الجيش إلى سدة الحكم بعد غياب زاد عن عشر سنوات منذ مصرع الجنرال ضياء الحق في عام ١٩٨٨ .

عين نفسه رئيسا لباكستان بعد استفتاء شعبي في ٢٦ يونيو ٢٠٠١، وبدأت شعبيته تتراجع شيئا فشيئا منذ أن سمح لأمريكا باستخدام الأراضي الباكستانية لضرب حركة طالبان وغزو أفغانستان بعد هجمات ١١ سبتمبر، متناسيا الروابط الأسرية والاجتماعية والدينية التي تجمع أفغانستان وباكستان، بجانب انتشار البشتون الذين تنتمي إليهم طالبان في أماكن كثيرة من باكستان .



مشرف في قمة تجبره وشراسته أثناء وجوده في السلطة قبل السقوط !!

أعلن حالة الطوارئ في الثانى من نوفمبر ٢٠٠٧ بعد الانتخابات الرئاسية وقبل يومين من قرار المحكمة الدستورية العليا بالبت في شرعية الانتخابات المشكوك في دستوريتها، إلا أنه سرعان ما تراجع تحت وطأة الضغوط الداخلية والإدانات الدولية.

تخلى عن قيادة الجيش في ٢٨ نوفمبر ٢٠٠٧، في احتفال رسمي سلم خلاله نائبه الجنرال أشفاق برفيز كياني قيادة القوات المسلحة. وذلك قبل يوم واحد من أدائه اليمين الدستورية كرئيس لفترة ولاية ثالثة في باكستان.

و رغم أنه كان هناك تحالف قوى بين طالبان ومشرف قبل غزو أفغانستان في ٢٠٠١، إلا أنه بعد انضمام مشرف لحملة واشنطن ضد مايسمى بالإرهاب، انقلب هذا التحالف إلى عداء متصاعد لدرجة دفعت أنصار طالبان في منطقة القبائل

الباكستانية إلى خطف عشرات الجنود الباكستانيين للمقايضة عليهم لوقف الحملة التى تشنها الحكومة الباكستانية ضد عناصر القاعدة وطالبان في المنطقة.

كما حاول تنظيم القاعدة أكثر من مرة اغتيال مشرف، ففى ٢٥ ديسمبر ٢٠٠٣ نجا مشرف من محاولة اغتيال إثر تعرض موكبه خلال توجهه من العاصمة إسلام آباد إلى مقر إقامته في روالبندي إلى عملية انتحارية نجم عنها مقتل ١٥ شخصا وجرح ٤٦ آخرين.

وجاءت محاولة الاغتيال تلك بعد أحد عشر يوما من محاولة اغتيال مماثلة استهدفت موكب مشرف وفي منطقة روالبندي أيضا في الرابع عشر من ديسمبر .

وفي ٦ يوليو ٢٠٠٧، نجا مشرف أيضا من محاولة اغتيال بعد فشل استهداف مروحيته بقذائف مضادة للطائرات وهى تقلع من قاعدة تشاكلالا العسكرية في مدينة روالبندي .

وتخلل حكم مشرف أزمات عاصفة أثرت كثيرا على شعبيته واستمراره في منصبه ومنها خلافاته مع المعارضة وأزمة الانتخابات الرئاسية وأزمة القضاة وأزمة المسجد الأحمر واغتيال بوتو وخسارة الحلفاء وأخيرا مذكرة عزله.

في عام ٢٠٠٢ شهدت باكستان انتخابات برلمانية ورئاسية، انتخب خلالها مشرف رئيسا لفترة من خمس سنوات، إلا أنه توسع فى سلطاته حيث احتفظ لنفسه بمنصبي الرئيس وقائد الجيش وحق إقالة الحكومة وحل البرلمان.

وبعد انتقادات حادة لتعاونه مع واشنطن في الحرب ضد ما يسمى بالإرهاب ولاستمراره فى قيادة الجيش بجانب مهام الرئاسة وهو أمر يتعارض مع الدستور، توصل مشرف في ديسمبر ٢٠٠٣ لاتفاق مع المعارضة تعهد بموجبه بالتخلى عن قيادة القوات المسلحة بحلول ٣١ ديسمبر ٢٠٠٤ مقابل البقاء في منصب الرئاسة.

ووقع الاتفاق تحالف مجلس العمل المتحد، الذي يمثل الأحزاب الإسلامية المتشددة المعارضة، والتي عبرت عن استيائها من توسع سلطات مشرف، بينما رفض أبرز حزبين معارضين وقتئذ وهما حزب الشعب الباكستاني وجماعة باكستان المسلمة، توقيع الاتفاق .

وبسبب عدم التزام مشرف بوعوده بالتخلى عن منصبه العسكرى، تصاعدت المظاهرات المنددة بسياسته وكان آخرها في ١٩ ابريل ٢٠٠٧، عندما اعتقلت أجهزة الأمن الباكستانية ٢٥٠ من قيادات وعناصر المعارضة خلال تظاهرات في معظم المدن الباكستانية ضد مشرف لعزله رئيس المحكمة العليا القاضي افتخار محمد شودري .

في هذه الأثناء، أعرب كل من رئيسى الوزراء السابقين نواز شريف وبنظير بوتو عن رغبتهما في العودة إلى باكستان للمشاركة في الانتخابات التشريعية التي كان مقررا أن تجرى في اواخر ٢٠٠٧، إلا أن رفض هذا الأمر .

وفي ٢٢ سبتمبر ٢٠٠٧، أصدرت المحكمة العليا قراراً يسمح بعودة رئيس الوزراء السابق نواز شريف إلى البلاد، بعد ثمان سنوات أمضاها "منفياً" في الخارج، في أعقاب الانقلاب العسكري الذي قاده مشرف ضده في ١٩٩٩.

أما عن بوتو، فقد أعلن حزب الشعب عن عودة زعيمته بنظير بوتو إلى البلاد في ١٨ أكتوبر ٢٠٠٧ .

وجاء هذا الإعلان بعد أن أشارت تقارير صحفية إلى أن مشرف التقى بوتو في المنفى في أبوظبي أواخر يوليو ٢٠٠٧ خلال زيارته القصيرة لدولة الإمارات العربية المتحدة، موضحة أن اللقاء جاء في إطار سعي مشرف لحشد تأييد بوتو له، في مسعاه لإعادة اختياره رئيساً للبلاد لفترة جديدة.

وبحسب التقارير فقد طلبت بوتو من الرئيس الباكستاني، إسقاط جميع الاتهامات ضدها وكذلك التخلي عن قيادة الجيش قبل الترشح للرئاسة .

وبوتو التى كان يعرف عنها التشدد مع الإسلاميين نظر إليها على أنها البديل الذى بحثت عنه واشنطن لمنع الإسلاميين من الوصول للسلطة والسيطرة على السلاح النووى بعد تدني شعبية مشرف، إلا أنها اغتيلت في ديسمبر ٢٠٠٧، لتدخل باكستان في أزمة سياسية جديدة كانت بحسب المراقبين بمثابة المسمار الأخير في نعش مشرف.

و بموجب الدستور الباكستاني ينتخب مجلس الشيوخ والجمعية الوطنية وأربعة مجالس إقليمية الرئيس، ورغم الاحتجاجات المتصاعدة والأجواء المشحونة التي كانت تعيشها باكستان، أصر مشرف على تقديم أوراق ترشحه لخوض الانتخابات الرئاسية، بينما قدمت المعارضة طعونا ضد ترشيحه أمام المحكمة العليا لمخالفته للدستور بسبب جمعه بين الرئاسة وقيادة الجيش وطالبت بتأجيل الانتخابات .

وأعلنت اللجنة الانتخابية الباكستانية أنها وافقت على ترشيح مشرف ومرشحين آخرين هما وجيه الدين أحمد وهو قاض متقاعد رفض أداء قسم الولاء لمشرف بعد الانقلاب عام ١٩٩٩، ومخدوم أمين فهيم نائب رئيس حزب الشعب الباكستاني بزعامة رئيسة الوزراء السابقة بنظير بوتو، بينما رفضت ٣٧ طلب ترشيح آخرى.

وأعلن التليفزيون الباكستاني فوز برويز مشرف بفترة رئاسية جديدة فى الانتخابات التي جرت فى ٦ أكتوبر ٢٠٠٧ رغم مقاطعة أغلبية نواب المعارضة جلسة انتخابه لولاية جديدة من خمس سنوات، وجاء فوز مشرف بتأييد ٢٢٥ صوتا من أصل ٢٥٦ نائبا في البرلمان والمجالس الإقليمية .

ويرى مراقبون أن مشرفًا حسم السباق الرئاسى لصالحه قبل إجرائه بعد أن قام بعدة مناورات سياسية للالتفاف على تهديد المعارضة بمقاطعة الانتخابات، منها إبرامه اتفاقا مع "بى نظير بوتو" فى ٥ أكتوبر لتقاسم السلطة .

وفي محاولة للالتفاف على طعون المعارضة أمام المحكمة العليا أيضا، تعهد مشرف الذى كانت فترته الرئاسية الثانية تنتهي فى ١٥ نوفمبر ٢٠٠٧، بالتخلي عن قيادة الجيش فور انتخابه لولاية جديدة، كما قام في ٤ أكتوبر بترقية رئيس الاستخبارات السابق الجنرال إشفاق كياني نائباً لقائد الجيش تمهيداً لتوليه منصب قائد الجيش بعد تنصيبه لولاية ثالثة.

وفي ضوء تلك المناورات، قررت المحكمة العليا إجراء الانتخابات الرئاسية في موعدها في ٦ أكتوبر ٢٠٠٧، رافضة بذلك طلبا للمعارضة بتأجيلها، كما رفضت طعون المعارضة ضد أحقية مشرف في الترشح وهو في قيادة الجيش .

لم يقبل الغرب وصول مشرف إلى سدة الحكم في انقلاب عسكري عام ١٩٩٩، إلا أنه بعد أن وقعت هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١، تغيرت الأمور تماما، فقد وجد مشرف في التحالف مع واشنطن في الحرب التى بدأتها ضد ماتسميه بالإرهاب فرصة للاستقواء على الداخل بعد تصاعد المعارضة لجمعه بين الرئاسة ومنصب رئاسة الجيش .

ومن جانبها، لم تفوت واشنطن هى الأخرى الفرصة للاعتماد على حليف لا بد منه للقضاء على خطر حركة طالبان وتنظيم القاعدة بالنظر إلى الدعم الواسع الذى كانت تقدمه باكستان لطالبان قبل أحداث سبتمبر .

وخطت واشنطن خطوات كبيرة لكسب ود نظام مشرف حيث منحت باكستان نحو عشرة بلايين دولار منذ ٢٠٠١، وأسهمت وساطة واشنطن في تخفيض الدين الباكستاني وأفضى انخفاض الدين الباكستاني إلى نمو اقتصادي فاق الـ ٥ في المائة في الأعوام الأربعة التي تلت هجمات سبتمبر، كما أسهمت واشنطن في تخفيف التوتر الدائم بين الهند وباكستان بشأن قضية كشمير.

وفي المقابل، أسهمت باكستان في القبض على عدد من قياديي "القاعدة"، ومنهم "أبو زبيدة" ورمزي بن الشيبة، في ٢٠٠٢، وخالد الشيخ محمد، في ٢٠٠٣، وآخرين .

ورغم ما سبق إلا أنه بعد مرور ٧ سنوات على بدء التحالف الباكستاني – الأمريكي ضد ما تسميه واشنطن ب"الإرهاب"، نشبت الخلافات بين حلفاء الأمس وتوالت اتهامات البيت الأبيض حول أن مصدر "الإرهاب" في أفغانستان يأتي عبر القبائل الباكستانية المتاخمة للحدود الأفغانية، بل وظهرت أيضا تهديدات بالتدخل العسكري في منطقة القبائل.

وكان المتحدث باسم البيت الأبيض تونى سنو قد أعلن في ٢٠ يوليو ٢٠٠٧ أنه في الوقت الذى تعترف فيه الولايات المتحدة بالسيادة الباكستانية فإن إدارة الرئيس بوش طالما احتفظت لنفسها بحق ضرب الأهداف التي تراها ضرورية.

كما أعلنت مستشارة الرئيس الأمريكي لشئون الأمن القومي فرانسيس فراغوس تونسند في حديث تليفزيوني أن الخيار العسكري في المناطق القبلية الباكستانية مطروح على الطاولة لأن الاستخبارات الأمريكية تعتقد أن زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن متواجد في تلك المناطق .

وفي ٢٢ يوليو ٢٠٠٧، كشفت صحيفة "الديلي تليجراف " البريطانية أن تقريرا سريا للاستخبارات الأمريكية ألقى اللوم في وجود زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن في المناطق القبلية الباكستانية على برويز مشرف، كما ذكرت صحيفة "فايننشيال تايمز" البريطانية أن الولايات المتحدة الأمريكية عادت إلى "حالة الطوارئ القصوى" والسبب في ذلك يرجع بالدرجة الأولى إلى إيجاد القاعدة ملاذا آمنًا في باكستان لإعادة بناء قيادتها.

ويرى البعض أن تهديدات واشنطن بضرب مناطق القبائل كانت تهدف لتعميق الفجوة بين مشرف وشعبه تمهيدا للإطاحة به، حيث أن استمراره بات يشكل

تهديدا لمصالحها وقد يساعد الإسلاميين على الوصول للسلطة والسيطرة بالتالى على السلاح النووى .

ضمن محاولاته للبقاء في السلطة بأى ثمن، قرر مشرف في ٩ مارس ٢٠٠٧ عزل رئيس المحكمة العليا افتخار محمد تشودري بزعم سوء استغلال منصبه، الأمر الذى قوبل بتظاهرات في كل أنحاء البلاد حيث اتهمته المعارضة بإبعاد تشودري لأن الأخير يرفض تعديل الدستور لتسهيل إعادة انتخابه رئيسا لولاية ثالثة .

ووجهت المحكمة العليا في ٢٠ يوليو ٢٠٠٧ ضربة قوية إلى مشرف بقرارها إعادة القاضي تشودري إلى عمله على رأس المحكمة، حيث أيد عشرة قضاة في المحكمة إسقاط التهم عن تشودري، مقابل رفض ثلاثة بعد نقاشات استمرت ٤٣ يوما، ورغم ذلك واصل مشرف تعنته وعرقل عودة تشودري لمنصبه .

يذكر أنه قبل عزله، أكد تشودري مرارا أن الدستور لايتيح لرئيس الدولة المنتهية ولايته الترشح قبل إجراء الانتخابات التشريعية التي كان مشرف يخشى نتائجها واحتمال فوز المعارضة فيها، كما أكد تشودري أن القانون الأساسي يفرض عليه التخلي عن قيادة الجيش.

و جاءت أحداث المسجد الأحمر بإسلام آباد التي تعامل معها مشرف بمنتهى القسوة .و قد اشتهر بهذا الاسم نسبة إلى الطلاء الأحمر الذي يغطي جدرانه الخارجية، وتولي الشيخ عبد العزيز غازي الإمامة فيه بعد مقتل الشيخ محمد عبد الله .

ويتبع المسجد الأحمر مدرستان دينيتان: إحداهما للبنات وهي مدرسة حفصة والأخرى المدرسة الفريدية للبنين.

وعلاقة المسجد الأحمر وإمامه الشيخ عبد العزيز ونائبه الشيخ عبد الرشيد غازي بالسلطات الباكستانية لم تكن يوماً على ما يرام، فالتوتر بين الطرفين كان

السمة البارزة بالنظر إلى الحملة التى يشنها طلاب المسجد منذ تحالف مشرف مع واشنطن للتخلص من العلمانية وتطبيق الشريعة الإسلامية

ومن جانبها، أعلنت السلطات الباكستانية منذ أحداث سبتمبر عزمها على متابعة المدارس الدينية الموجودة في باكستان والتي يبلغ عددها حوالي ١٢ ألف مدرسة، وملاحقة المعلمين والطلاب بها والسيطرة على مصادر تمويلها، بزعم أنها تأوي متشددين .

وفي بداية ٢٠٠٧، أصدرت بلدية إسلام آباد قرارا بهدم سبعة مساجد في العاصمة بدعوي أنها مبنية على أرض مملوكة للدولة، وكان من بينها المسجد الأحمر وملحقاته، وهو ما أشعل غضب القائمين على المسجد الأحمر وطلاب وطالبات المدارس التابعة له وخرجت مظاهرات حاشدة منددة بقرار الهدم .

وفي مطلع فبراير ٢٠٠٧، قامت طالبات مدرسة حفصة باحتلال مكتبة للأطفال بالقرب من مدرستهن وأعلنت المعتصمات بها أنهن لن يغادرنها إلا بعد تعهد الحكومة كتابياً بعدم هدم المسجد الأحمر وملحقاته، مع ضرورة قيام الحكومة بتقديم الدعم المالي لهذه المدارس خاصة بعد نضوب مصادر التمويل بفعل الإستراتيجية الأمريكية لمواجهة الإرهاب ومحاصرة مصادر تمويله وتزايدت الاعتراضات من الطلاب والطالبات على إثر إغلاق الحكومة لموقع المسجد الأحمر في شبكة الانترنت في ١٠ أبريل وقيامها بعد ذلك بإغلاق المحطة الإذاعية التابعة للمسجد .

ومنذ مطلع يوليو ٢٠٠٧، حاصرت القوات الباكستانية المسجد الأحمر بعد وقت قليل من اختطاف الطلبة الإسلاميين سبعة عمال صينيين اتهموا بإدارة بيوت دعارة وأفرج عنهم بعد ١٧ ساعة إلا أن المتواجدين داخل المسجد رفضوا تسليم أنفسهم للسلطات.

ومع استمرار حصار عدة آلاف من الطلاب والطالبات من قبل القوات الباكستانية وزيادة الاهتمام الإعلامي، أعلن الشيخ عبد العزيز غازي أن حركة الطلاب والطالبات تدعو إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في باكستان، وتدعو إلى الثورة على النظام العلماني بالبلاد .

وإثر فشل الوساطات التي قام بها بعض العلماء الباكستانيين، اقتحمت القوات الباكستانية المسجد في ١٠ يوليو، مما أدى وفقا لتقديرات رسمية إلى مقتل حوالى ٧٥ شخصا بينهم أطفال ونساء والشيخ عبد الرشيد غازي نائب الإمام وشقيقه والذي حل محله بعد القبض على الشيخ عبد العزيز غازي أثناء مغادرته المسجد متخفياً في زى امرأة منتقبة وذلك بحسب رواية السلطات الباكستانية، بينما بلغت حصيلة الضحايا حوالى ألفى قتيل وفقا لتقديرات المعارضة .

وتباينت آراء المحللين حول أحداث المسجد الأحمر، فهناك من فسر قرار الاقتحام بأنه جاء متماشياً مع سياسة التحالف مع أمريكا لمحاربة "الإرهاب" والتي اختارها مشرف منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، وذلك لتجنب غضب واشنطن التى هددت بالانحياز للهند واعتبار النظام الحاكم في باكستان عدواً لأمريكا إذا لم يتصد لتنظيم القاعدة ولفوضى المدارس الدينية التي صارت محطات لتفريخ الإرهابيين على حد التعبير الأمريكي.

وهناك تفسير ثان يرى أن قرار الاقتحام جاء في إطار المخاوف من استجابة الباكستانيين لنداء الثورة على النظام العلماني الذي أطلقه الشيخ عبد الرشيد غازي

و فى ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٧، أعلنت وزارة الداخلية الباكستانية عن مقتل زعيمة حزب الشعب الباكستاني بنظير بوتو جراء جروح أصيبت بها في انفجار استهدف موكبها في مدينة روالبندي خلال تجمع انتخابى، ما أسفر عن سقوط ٢٠ قتيلا على الأقل .

وجاء في بيان لوزارة الداخلية الباكستانية أن بوتو لقيت مصرعها جراء إصابتها بجرح فى رأسها عندما صدمت مقبض فتحة سقف السيارة وهى تحاول الاحتماء داخلها عند وقوع الانفجار، فيما أشار آخرون إلى إصابتها بثلاث رصاصات بعد الانفجار.

وتضاربت التقارير حول الجهة المسئولة عن الاغتيال، فهناك من وجه أصابع الاتهام للقاعدة، إلا أنها نفت مسئوليتها .

وكان جاود إقبال شيما المتحدث باسم وزارة الداخلية قد قال في مؤتمر صحفي :"لدينا معلومات استخباراتية تشير إلى أن بيت الله محسود المتحدث باسم زعيم تنظيم القاعدة في باكستان وراء الاغتيال "، مشيرا إلى أن محسود هو أحد أكثر زعماء المتشددين المطلوب اعتقالهم في باكستان ومقره منطقة وزيرستان الجنوبية على الحدود الأفغانية.

وأضاف أن الاستخبارات رصدت مكالمة من محسود يهنئ فيها المتورطين في عملية الاغتيال، وفي المقابل، سارع بيت الله محسود إلى نفى ضلوع القاعدة في اغتيال بوتو .

هناك أيضا من وجه أصابع الاتهام للاستخبارات الباكستانية والرئيس برويز مشرف نفسه بالنظر إلى أن بوتو كانت تشكل تحديا لاستمرار نظام حكم مشرف العسكرى من ناحية ولأنها كانت البديل من وجهة نظر واشنطن من ناحية أخرى .

فقد شكك فاروق نايق في الرواية التى عرضتها الحكومة الباكستانية بشأن مقتل بوتو، وقال : " إنها ليست سوى سلسلة من الأكاذيب. بوتو أصيبت برصاصتين، واحدة فى معدتها والأخرى فى رأسها. سكرتير بوتو الخاص نهيد خان ومسئول حزبها مخدوم أمين فهيم كانا فى السيارة وشاهدا ماجرى " .

وأشار البعض الآخر بأصابع الاتهام إلى جماعات إسلامية بخلاف القاعدة وطالبان في الاغتيال، بالنظر إلى أن تصريحات بوتو قبل اغتيالها تجاهلت الدور المتعاظم للجماعات الإسلامية في باكستان حيث أسست باكستان باعتبارها دولة إسلامية عندما استقلت عن الهند في عام ١٩٤٧، كما شددت أكثر من مرة على ضرورة إغلاق المدارس الإسلامية ووصفتها بأنها بؤرة لتفريغ "الإرهابيين".

وهناك تفسير رابع، يرجح تورط الجيش في عملية الاغتيال بالنظر إلى عدة أمور أبرزها تصريحات بوتو المستفزة للجيش التى أكدت خلالها أنها ستعيد الجيش إلى ثكناته إذا عادت لرئاسة الحكومة وستخضعه للسلطة المدنية وللدستور رغم أن الجيش هو المسيطر على الشارع الباكستاني وهو القوة الأكبر المؤثرة منذ انقلاب الجنرال أيوب خان عام ١٩٥٨

ومن الأمور الأخرى التى يستند إليها هذا التفسير أن الاغتيال وقع في روالبندي وهي نفس المدينة التي أعدم فيها والدها والتي تعتبر مقرا لقيادة الجيش الباكستاني والقوات التي تنفذ الانقلابات العسكرية عادة .

وكان والدها قد دفع ثمن جرأته على العسكر والإسلاميين اللذين تحالفا ضده، حيث عرف عن (ذو الفقار على بوتو) رئيس وزراء باكستان الأسبق ووالد بوتو أنه كان يرفع شعارات اشتراكية في زمن الحرب الباردة وربما وقع انقلاب الجنرال ضياء الحق لهذا السبب حيث ساعد الجماعات الإسلامية على الانتشار في البلاد كجزء من استراتيجية المناهضة للاتحاد السوفيتي وخاصة بعد غزوه للجارة أفغانستان.

وأخيرا هناك تفسير خامس يرى أن جهات غربية أوهندية ربما هى التى نفذت عملية الاغتيال لإشاعة مزيد من الفوضى في باكستان وبالتالى إضعافها كدولة إسلامية.

وأيا كان المسئول عن اغتيال بوتو، فإن الخاسر الأكبر كان إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش، وفي هذا الصدد تذكر صحيفة "نيويورك تايمز" أن عملية الاغتيال شكلت ضربة للتدخل الأمريكي في شئون باكستان الداخلية، مشيرة إلى أن اغتيال بوتو شكل فشلا لاثنين من أهداف الرئيس الأمريكي الأساسية في المنطقة، الأول محاولته جلب الديمقراطية الغربية إلى العالم الإسلامي، والثاني نزع القوة من الإسلاميين المسلحين والمنتشرين بكثافة في باكستان"

وكان من تداعيات اغتيال بوتو أيضا فوز حزبها في الانتخابات التشريعية وسعيه لعزل مشرف، حيث عقدت الجمعية الوطنية الباكستانية "البرلمان" جلسة في ١١ أغسطس ٢٠٠٨ بناء على طلب الحكومة الائتلافية لمساءلة مشرف واتهامه بالتقصير تمهيدًا لعزله.

تلك الخطوة جاءت بعد خمسة شهور من المشاورات بين حزب الشعب وحزب الرابطة الإسلامي وهما أكبر أحزاب الحكومة الائتلافية.

وتضمنت مذكرة إقالة مشرف التي قدمها الحزبان للبرلمان قائمة اتهامات لمشرف منها انتهاك الدستور وسوء التصرف ودفع البلاد إلى حافة الانهيار الاقتصادي، كما اتهمته بالمسئولية عن اغتيال بنظير بوتو رئيسة الوزراء الباكستانية السابقة وعدم تأمين الحراسة الأمنية لها والتستر على العناصر التي اغتالتها، وإعلان حالة الطوارئ في شهر نوفمبر الماضي، وإصراره على عدم رد اعتبار رئيس القضاة محمد افتخار تشودري وكافة قضاة المحكمة الدستورية والمحاكم العليا الذين أقالهم في ٢٠٠٧ .

وبالتزامن مع عرض مذكرة الإقالة على البرلمان، كشفت مصادر الحكومة الائتلافية أن أكثر من ٦٠ قاضيا أقالهم مشرف سيعودون أيضا إلى عملهم بموجب أمر تنفيذي.

وعشية انعقاد جلسة البرلمان، رفض نواز شريف زعيم حزب الرابطة الإسلامية نداءات البعض بخروج سياسي لمشرف يحفظ ماء وجهه، قائلا : "إن العفو عن جرائم مشرف ليس محل نظر، لا توجد حماية من التصرفات غير القانونية والدستورية التي اقترفها إلى الآن".

ومن جانبه، قال وزير العدل فاروق نائق: "أتمنى أن يستقيل مشرف بشكل طوعي من أجل الاستعادة الكاملة للدستور وبقاء الأمة وتعزيز الديمقراطية".

وفي المقابل، سربت العناصر المقربة من مشرف أنه عكف على دراسة خياراته وأنه قرر الرد على ادعاءات الحكومة والدفاع عن نفسه بنفسه، إلا أنها استبعدت تنفيذ صلاحياته الدستورية بإقالة الحكومة وحل البرلمان بعد أن تراجع الجيش عن تأييده .

وتنص المادة ٤٧ من الدستور الذى اعتمد فى ١٩٧٣ على إمكانية إقصاء الرئيس فى حال إصابته بعجز جسدى أو عقلى أو إقالته إذا أدين بانتهاك الدستور أو ارتكب خطأ فادحا، ومع ذلك سيكون مشرف فى حال نجاح الائتلاف، أول رئيس تتم إقالته فى تاريخ باكستان.

وبحسب الدستور الباكستانى يتوجب على الائتلاف الحكومي الحصول على تأييد ثلثى أعضاء البرلمان بمجلسيه (الجمعية الوطنية والشيوخ) أي ٢٩٥ صوتا من أصل ٤٣٩ ليتمكن من إقالة الرئيس.

وكانت الانتخابات التشريعية التى جرت فى ١٨ فبراير ٢٠٠٨ قد أسفرت عن فوز حزب الشعب الباكستانى وحزب الرابطة الإسلامية وحلفائهما من الأحزاب الصغيرة بـ ٢٦٦ مقعدا فى الجمعية الوطنية ومجلس الشيوخ، لذلك كان لا يزال عليهما جمع تأييد ٢٩ برلمانيا آخرين لإقالة الرئيس .

و أكد قادة الحكومة الائتلافية أنهم – آنذاك – يملكون ٣٥٥ صوتا، وهو عدد قالوا وقتها إنه سيرتفع مع حملة تالية يقودها رئيس حزب الشعب الباكستاني آصف

على زرداري، بالتعاون مع رئيس الحكومة الأسبق نواز شريف لإنجاح الخطوة في البرلمان، فيما كان مؤيدو مشرف يرون أنه يحتاج فقط إلى ١٥٠ صوتا لإفشال محاولات إقالته.

وأيا كان القرار الذي كان سيتخذه البرلمان وقتها، لو لم يستقل مشرف، فإنه باتت هناك حقيقة لا تحتمل أية شكوك وهى أن مشرف كان – آنذاك - قد فقد شعبيته تماما جراء تحديه للمعارضة من ناحية وتحالفه مع واشنطن من ناحية أخرى.

أما برويز مشرف فلم يشفع له كل ما قدمه للعم سام الأمريكي من فتح المجال الجوي أمام القوات الامريكية إلى تأمين ممرات للقوات إلى دعم القوات الأمريكية إلى غلق المدارس وقتل رواد المسجد الأحمر إلى عزل القضاة وفرض الاقامة الجبرية على عبد القدير خان أبو القنبلة النووية الباكستانية .

لقد تسلم برويز مشرف قائمة بثلاثة عشر طلبا عليه تنفيذها بعد الحادي عشر من سبتمبر، سلمه اياها ديك تشيني وجورج تينيت رئيس المخابرات كما أورد الكاتب الأمريكي " بوب وودوارد " في كتابه الشهير " خطة الهجوم " !

لم يتردد مشرف في تلبية الطلبات وكان شرطه الوحيد – كما جاء في الكتاب – هو أن يحصل على مكافأة " قال " إنها ستخصص لدعم الجيش، وقد حصل بالفعل على ما يزيد عن أحد عشر مليار دولار . وتساءل الكاتب " هل ذهبت إلى الجيش"؟!

و قبل أن تصل المعارضة الباكستانية للحكم في عام ٢٠٠٧، قال مشرف في حديث لإحدى محطات التيلفزيون الأوربية: "إنكم معشر الأوربيين لا تعلمون شيئا عن بلادنا. تطالبون بالديمقراطية ولم تعرفوا طبيعة شعوبنا. تتحدثون عن حقوق الانسان ونحن أعلم بالشعوب التي نحكمها. هناك فرق، دعونا نعمل على الديمقراطية بطريقتنا " !!

وبالفعل كانت فعلا لمشرف طريقته في إحلال الديمقراطية .. قتل واغتيالات وفساد لا حد له .. مشرف أعلن غير مرة أنه مستعد للرحيل، ولكن " الغرب سيدفع ثمنا غاليا".. لأنه على حد قوله: "يُؤَمِّنُ بلاده ضد الإرهابيين ويُؤَمِّنُ الغرب أيضا"!!

واستقال الرجل، ولم يجد حلفاءه الأمريكيين كما كان يتوقع، ولم يقرأ دروس التاريخ، وأصابته لعنة بوش، لم يبك عليه البيت الأبيض وخرج معانقا حرسه الخاص.. خرج ولم يعد !!

سقط مشرف وقال عن رحيله سفير بلاده في أمريكا حسين حقاني في تصريح لـ " سي . إن . إن " في نفس الليلة التي رحل فيها " مشرف لم يكن يفهم في السياسة ولم يكن يدرك أنه يدير بلدا، بل شركة " !!

سقط مشرف هذه المرة، وتمت الإطاحة به من السلطة، وكان قد نجا من قبل من أربع محاولات اغتيال، وكان يعيش في إطار ظروف أمنية غاية في الصرامة. وكان يحمل مسدسا شخصيا طيلة الوقت في جيبه.

وخلال دقائق من محاولة اغتياله في ديسمبر عام ٢٠٠٤، عندما انفجرت قنبلة قرب موكبه المتحرك، عاد إلى موقع التفجير متجاهلا كل القواعد الأمنية.

وكان يحب الظهور في زي الكوماندوز في اللقاءات العامة وفي التلفزيون. وكان يدعي المسؤولية عن نزاع كارغيل مع الهند عام ١٩٩٨ الذي يعتبر نصرا عسكريا تكتيكيا، ولكنه كارثة دبلوماسية وسياسية.

ونادرا ما كان يهتم الجنرال مشرف، العسكري في مشاعره، بالضرورات السياسية عندما يتعين عليه التعبير عن رأيه بشأن قضايا سياسية مهمة راهنة، أو اتخاذ قرار حول مسألة سياسية لديه آراء راسخة بشأنها.

وكان قراره الوقوف إلى جانب أمريكا –دون قيدٍ أو شرط– بعد الهجمات الإرهابية

على المدن الأميركية، يوم الحادي عشر من سبتمبر قرارا مفاجئا. وكذلك كانت سياسته لتطبيع العلاقات مع الهند خصم باكستان اللدود.

وغالبا ما جلب له القراران، اللذان غالبا ما وصفا بأنهما تغييران في الاتجاه، أعداء في الطبقات المحافظة التقليدية الباكستانية، التي تدعم العلاقات العدائية مع الهند والولايات المتحدة.

ومن أجل قطع علاقات باكستان مع طالبان، أقام تحالفات جديدة مع العالم الغربي، ولكنه كسب أعداء جددا قرب بلاده. ووجه أجهزة الدولة ضد الجماعات المتطرفة التي تعمل داخل باكستان وفي الدول المجاورة، وبسبب ذلك حصد سخط اللوبي الديني.

وقد جعلته سمة الصراحة في الحديث جذابا لوسائل الإعلام، على الرغم من أنها غالبا ما خلقت له ولحكومته مشاكل سياسية ودبلوماسية.

وفي سيرته الذاتية الصادرة مؤخرا، كشف عن أن الولايات المتحدة هددت بقصف باكستان قبل أن تنضم إلى التحالف الدولي في الحرب ضد الإرهاب لمهاجمة أفغانستان.

وقد اجتذب هذا الكثير من اهتمام الإعلام، غير أنه خلق مشاكل دبلوماسية لباكستان في علاقاتها مع الولايات المتحدة. وعلى نحو مماثل كلفته صراحته الكثير خلال الزيارة إلى الهند عام ٢٠٠٠ عندما اتهمه أتال بيهاري فاجبايي، رئيس الوزراء الهندي، في حينها، بالكشف عن تفاصيل اتفاق السلام لوسائل الإعلام، قبل أن يجري التوقيع عليه في مدينة أغرا الهندية، حيث لم يجر التوقيع على الصفقة نهائيا.

ويعتبر مشرف ليبراليا في تفكيره في القضايا الاجتماعية. وهو مولع كثيرا بالموسيقى والرقص، ويمكن رؤيته وهو يرقص مع مجموعة من فناني البلد

البارزين في التلفزيون الحكومي. وفي مجتمع محافظ تماما سمح لابنته المعمارية أيلا بالزواج من شخص حسب اختيارها.

ولد برويز مشرف في عائلة مسلمة من الطبقة الوسطى في منطقة دارياغانج بالعاصمة الهندية دلهي يوم ١١ أغسطس ١٩٤٣، وهو ثاني ثلاثة أبناء لوالد كان يعمل في وزارة الخارجية.

وبعد تقسيم الهند وولادة باكستان عام ١٩٤٧ نزحت عائلته من دلهي واستقرت في مدينة كراتشي أول عواصم باكستان المستقلة. وبسبب طبيعة عمل الوالد الدبلوماسي، عاش برويز الصغير في تركيا بين عامي ١٩٤٩ و١٩٥٦.

وبعد العودة من تركيا درس مشرف في مدرسة سانت باتريك الخاصة في كراتشي، وتخرج فيها عام ١٩٥٨، ومنها انتقل إلى مدرسة مسيحية خاصة أخرى، هي كلية فورمان المسيحية في مدينة لاهور عاصمة إقليم البنجاب (شمال البلاد). وفيها أكمل دراسته الثانوية.

وفي عام ١٩٦١ التحق بالأكاديمية العسكرية الباكستانية في كاكول، وانتظم لاحقاً في سلاح المدفعية، وفي ما بعد تخرج في كلية الأركان العامة في كويتا (عاصمة إقليم بلوشستان)، ثم كلية الدفاع الوطني في راولبندي. ولاحقاً الكلية الملكية للدراسات الدفاعية في بريطانيا.

وخلال سنوات خدمته النشيطة في الجيش، كان يعتبر ضابطا حديثا على الطراز الغربي، حيث وجهات النظر الليبرالية كانت شائعة جدا بين ضباط الجيش الباكستاني قبل حكم ضياء الحق. وكان مشرف نفسه قد درس في معاهد التعليم العسكري في بريطانيا.

وفي سيرته الذاتية التي تحمل عنوان «على خط النار»، يروي حادثة منعه من دعوة موسيقيين إلى برنامج ثقافي في كلية الدفاع الوطني عندما كان يعمل معلما عام ١٩٨٠.

ويروي الجنرال مشرف في سيرته الذاتية قائلا: إنه «في عام ١٩٨٠ كنا نعد للاحتفال بالعيد الخامس والسبعين لتأسيس الكلية.

وكان من المقرر أن يحضر المناسبة الرئيس ضياء الحق. ولهذا كنت أعد برنامجا خاصا للأمسية. وقد فعلت ذلك عبر أداء تقوم به جماعة فنية باكستانية.

وكانت هذه الجماعة تضم أفضل الموسيقيين والراقصين من النساء والرجال. وقبل يومين من المناسبة تلقيت مكالمة هاتفية مستعجلة من آمر الكلية، أبلغني أن الرئيس لا يحب تقديم أي غناء أو رقص على الأقل من جانب النساء».

وبعد فترة قصيرة من مجيئه إلى السلطة وفي مناسبات كثيرة بعدئذ، عبر مشرف عن إعجابه بالزعيم التركي كمال أتاتورك.

ولم يكن مشرف، الابن الأوسط لدبلوماسي، الأكثر تألقا في عائلته، ولكنه حقق أمجادا شخصية في النشاطات الرياضية للمدرسة. ويشير زملاؤه الضباط إلى أنه «لم تكن هناك لعبة لم يكن قادرا على ممارستها»، بل إنه حقق فوزا في رياضة كمال الأجسام في السنوات الأولى من حياته ضابطا في الجيش.

وجاء من عائلة مثقفة من الطبقة الوسطى تتمتع بمواقف ليبرالية. فقد عمل والده في وزارة الشؤون الخارجية الباكستانية، وكانت أمه تعمل أيضا وتقاعدت من عملها في منظمة العمل الدولية عام ١٩٨٦.

وقد ترقى الجنرال مشرف في الجيش، على الرغم من حقيقة أنه لا ينتمي إلى طبقة الضباط البنجاب المهيمنة على الجيش الباكستاني، وإنما لعائلة تتحدث الأوردو في كراتشي، من الجماعات التي لا تحتل مكانة مهمة في الجيش.

وترقى الجنرال مشرف إلى منصب رئيس الأركان عام ١٩٩٨ عندما استقال قائد جيش باكستان القوي الجنرال جيهانجير كرامات، بعد يومين من الدعوة إلى إعطاء الجيش دورًا أساسيًّا في عملية صنع القرار في البلاد.

وأشار بعض المعلقين المستقلين إلى أن رئيس الوزراء آنذاك نواز شريف اختار الجنرال مشرف قائدا للجيش، لأنه بالضبط لا ينتمي إلى طبقة الضباط البنجاب. وقالوا إن رئيس الوزراء كان يعتقد أن الخلفية الاثنية لمشرف ستجعله عاجزا عن بناء قاعدة قوة.

وكان مشرف قد شارك في الحرب الهندية الباكستانية عام ١٩٦٥ ضابطا برتبة ملازم ثان في فوج المدفعية الميداني، ولاحقا في الحرب الهندية الباكستانية عام ١٩٧١ قائدا لسرية في القوات الخاصة الباكستانية.

وفي وقت لاحق اعترف بأنه «بكى فعلا» عندما سمع بالأنباء «المقرفة» لاستسلام باكستان إلى الهند في نهاية حرب عام ١٩٧١.

وغالبا ما يوصف الجنرال، من جانب زملائه القدامى، بشخص كان يرغب على الدوام بالانتقام لهزيمة باكستان على أيدي الهنود عام ١٩٧١. وغالبا ما وجدت مشاعر الانتقام هذه سبيلها إلى تصريحاته كزعيم عسكري والخطط التي يعدها في هذا الإطار.

وفي سبتمبر ١٩٨٧، كان قائدا لقوة كوماندوز خاصة تشكَّلت حديثا في قاعدة خابالو (كشمير)، وشن هجوما غير ناجح للاستيلاء على مواقع بيلافون لا العسكرية الهندية في سياشين غلاسيير، في أعلى ميدان قتال في العالم بين الهند وباكستان.

وعين الميجور جنرال مشرف في يناير (كانون الثاني) ١٩٩١ قائدا لفرقة مشاة. ولاحقا رقي إلى لفتنانت جنرال. وفي أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩٥، تولى قيادة الفيلق الهجومي في الجيش الباكستاني في شمال البلاد.

وفي عام ١٩٩٨ وبعد استقالة الجنرال جيهانجير كرامات تمت ترقيته على يد نواز شريف وأصبح رئيسا لقيادة الأركان. ونجح الجنرال مشرف في قيادة انقلاب

عسكري ضد نواز شريف. وكانت تلك اللحظة هي الأولى في تاريخ باكستان، التي يسيطر فيها الجيش على السلطة، نتيجة لمواجهة بين حكومة مدنية والقيادة العسكرية.

وبدأت المواجهة حينما أعلن رئيس الوزراء آنذاك عن قراره بتنحية برويز مشرف من رئاسة قيادة الأركان.

صعد مشرف، الذي كان خارج البلد بطائرة ركاب عادية للعودة إلى باكستان. ورفض جنرالات الجيش قبول إقالة مشرف وأمر نواز شريف مطار كراتشي بعدم السماح للطائرة بالهبوط على مدارجه. وخلال الانقلاب نحى الجنرالات رئيس الوزراء ووضعوه تحت الإقامة الجبرية، ثم أرسل لاحقا إلى المنفى. وبوصوله إلى السلطة، أصبح مشرف خامس عسكري يصل إلى سدة الحكم منذ عام ١٩٥٦ حيث حكم العسكر ٣٠ سنة، بينما حكم المدنيون ١٣ سنة فقط منذ الاستقلال.

يقول المسؤولون الهنود: إن الجنرال مشرفًا العقل المفكر وراء اندفاع القوات الباكستانية إلى موقع هندي على خط السيطرة في كشمير وكارغيل، أثناء نزاع كارغالي مع الهند عام ١٩٩٨، لذلك فإن تصرفهم تجاهه ظل متصلبا خلال الأيام الأولى من الحوار بينه وبين القيادة الهندية.

كان الجنرال مشرف أول مسؤول باكستاني كبير يعترف بأن الوحدات الباكستانية دخلت قطاع كشمير الهندي خلال القتال. وسابقا كانت باكستان قد قالت، إن كل القوات تعود لناشطين إسلاميين.

كانت الخلافات حول كارغالي وراء المواجهة بين الجنرال مشرف ورئيس الوزراء السابق نواز شريف، التي أدت إلى مواجهة بين القيادة العسكرية والحكومة المدنية، والتي ترتب عنها وصول مشرف إلى الحكم يوم ١٢ أكتوبر ١٩٩٩.

وكان نزاع كارغالي هو الأخير الذي سمح الجنرال مشرف فيه للأصوليين الإسلاميين، كي يحاربوا ضد جارتهم الهند. ومن جانبها فإن الهند اتهمت باكستان بدعمها للأصوليين لتنفيذ غزوات عسكرية داخل أراضيها وجلبت الطرفين إلى نزاع عسكري واسع على الحدود الدولية الفاصلة بينهما.

وفي مديح غير متوقع قال الجنرال مشرف، إن الجماعات الإسلامية المتطرفة، التي تقاتل القوات الهندية في كشمير الهندية هي التي وراء منع الهند من كسب كارغالي.

وبالنسبة لمشرف يعتبر نزاع كارغيل نقطة تحول، ذلك أنه لم يستول على السلطة فحسب في باكستان، بل أعاد توجيه ماكينة الدولة ضد الجماعات الإسلامية المتشددة المتمركزة في باكستان، التي تشن حربا في أفغانستان والشطر الهندي من كشمير. اللحظة الثانية الحاسمة لدى مشرف، جاءت بعد هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ عندما أصبحت باكستان تحت ضغوط واشنطن بغرض حملها على دعم مجهودها العسكري ضد تنظيم القاعدة ونظام طالبان في أفغانستان.

ويقول الجنرال مشرف إن أحداث ١١ سبتمبر غيرت مجرى حياته ومهنته، وقال في هذا السياق إنه لم يكن يعرف أنه سيجد البلاد في الخط الأمامي لحرب أخرى "حرب ضد اشباح"، على حد وصفه.

سمح مشرف للولايات المتحدة باستخدام مجال باكستان الجوي لشن هجمات على أهداف في أفغانستان، الشيء الذي تسبب في اندلاع احتجاجات عنيفة من جانب الجماعات الإسلامية. ووصفه كثيرون بالخيانة، إلا أن مشرف يقول: "لا يمكن التلاعب بمستقبل ١٤٠ مليون شخص. حتى القانون الإسلامي ينص على أنه إذا واجهنا صعوبتين أو شرين من الأفضل أن نختار أهونهما".

بعد وقت قصير من وقوفه إلى جانب الولايات المتحدة شن مشرف حملة مشددة على العناصر المتشددة والانفصاليين الإسلاميين، كما قاد حملة واسعة

لـ" الإسلام المعتدل"، على حد وصفه، إلا أن كل ذلك لم يكن بدون ثمن. إذ أصبح مشرف هدفا مباشرا للجماعات المتشددة والمتطرفين داخل القوات المسلحة، وهي العناصر المعارضة لوقوف باكستان إلى جانب الولايات المتحدة في الحرب ضد الإرهاب.

تعرض مشرف إلى أربع محاولات اغتيال شارك في اثنين منها على الأقل بعض صغار الضباط في الجيش الباكستاني، إلى جانب محاولات أخرى لم يعلن عنها رسميا.

ويزعم مشرف، على الرغم من استيلائه على السلطة بواسطة انقلاب عسكري، يزعم أنه الحاكم العسكري الوحيد الذي لم يفرض أحكاما عرفية على البلاد، كما أنه كثيرا ما يعبر عن ميله إلى الديمقراطية "

جاء أيضا في سيرته: " أعتقد بقوة في أنه ليس هناك دولة يمكن أن تتقدم بدون الديمقراطية، إلا أن الديمقراطية يجب أن تكون على نحو يناسب سمات وخصوصيات الدول"، إلا أن منتقديه يرون أن الديمقراطية المفصلة على مقاسات محددة، التي أتى بها الجنرال مشرف لباكستان لم تجلب سوى الفوضى إلى نظام الدولة السياسي. ويقول هؤلاء إن مفهوم البرلمان الكامل تحت مظلة عسكرية لا يعدو أن يكون نكتة كبيرة.

■■■



شاه إيران.. وحكاية "كرسى الحلاق" الأمريكى!!



يقول وليم سوليفان آخر سفير أمريكي في إيران قبيل رحيل الشاه في كتابه : "أمريكا وإيران " : " التفت الشاه نحوي وقال : إن هناك مؤامرة أجنبية تنشط ضدي.. وأنا لا أستغرب أن يفعل ذلك السوفييت والإنجليز، لكن مما يحزنني من الأعماق أكثر من أي شيء آخر هو دور وكالة المخابرات الأمريكية " سي . آي . إيه " في هذه المؤامرة، ولا زلت أسأل نفسي عن الأسباب التي جعلت المخابرات الأمريكية تشترك في المؤامرة؟.. ما الذي اقترفته ضد أمريكا حتى تعاملني بهذه الطريقة القاتلة " ؟

وفي كتاب " الشاه وأنا " وهي مذكرات وزير البلاط " أسد علم " فاقرأ السنوات بل الشهور الأخيرة لحكم (شاهنشاه آريا مهري) أي ملك الملوك سيد الآريين.

شيء عجيب ما حدث للشاه في آخر أيامه. ولكي تفهم ما حدث تذكر ماذا تعمله الأسماك الصغيرة لكي تهرب من الأسماك الكبيرة. إنها تعكر المياه وتختفي في هذه العكارة. وفي حالة الشاه، فإن السمكة الكبيرة هي التي تعكر الماء حتى لا تستطيع الأسماك الصغيرة أن تجد ملجأ أو مهرباً من أنياب السمكة الكبيرة. والسمكة الكبيرة هي أمريكا!

فكان في إيران اضطراب في السلطة وانفصال عن الشعب. وعن الملالي.. وانقطاع التيار الكهربي والمياه أيضاً. حتى مدينة (قم) وهي بلد الخوميني، كانت تعاني من انقطاع الكهرباء والماء أياماً..

وهناك خلافات بين كل الأسلحة. ومن أشهر الخلافات: من الذي يخدم طائرة الإمبراطور؟ هل هو سلاح الطيران الإمبراطوري أم شركة الطيران الإيرانية.. وارتفاع أسعار البترول، وقبل ذلك موافقة الرئيس نيكسون على بيع طائرات متقدمة لإيران بألوف ملايين الدولارات أي بكل ما لديهم من فلوس..

ثم جاء الرئيس كارتر وزوجته.. ورقص الرئيس مع الشاهبانو. أي الإمبراطورة ورقص الإمبراطور مع زوجة كارتر.. وأثناء الرقص قال الرئيس للإمبراطورة: إن إيران هي جزيرة الأمان في الشرق الأوسط..

ولم يكن يعلم أن المخابرات المركزية قد أعدت كل شيء لاستقبال لاستقبال ما هو آت والشاه لا يدري فقد عكروا حوله الحياة الاقتصادية والسياسية والعائلية. ولم يعد يعرف رأساً من قدمين وشمالا من جنوب. وأصبح جاهزاً للسقوط. وسقط!

في طهران، وبالتحديد في قصر نياوران الإمبراطوري، كان شاه إيران، محمد رضا بهلوي، وضيفه الرئيس الأمريكي جيمي كارتر يحتفلان ويتبادلان النخب احتفالاً بليلة رأس السنة الميلادية في ٣١ ديسمبر ١٩٧٧، عندما وقف كارتر رافعاً كأسه لتحية مضيفه الإمبراطور الإيراني قائلاً "جلالة الشاه، أهنئكم على تمكنكم من الحفاظ على مملكتكم كبحيرة هادئة وآمنة في هذا العالم المتلاطم الأمواج والمتنوع العواصف".

وبعد عشرة أشهر من هذا الحديث المبهج للأسارير الملوكية الفارسية، وذلك الاحتفال الملوكي الأخير برأس السنة الميلادية في إمبراطورية الطاووس الإيراني، وبالتحديد في أكتوبر ١٩٧٨، وفي ذات القصر، كان الإمبراطور الإيراني محمد رضا بهلوي يستقبل الجنرال هايزر، مبعوث الرئيس الأمريكي، والسيد وليم سوليوان، السفير الأمريكي في طهران آنذاك، ليسلماه رسالة الإدارة الأمريكية المتضمنة طلباً مباشراً من جلالة الشاه بمغادرة إيران، و"ترك الجمل بما حمل"، وتسليم إمبراطوريته ومملكته للقيادة الجديدة ليحكموا إيران بنظام حكم جديد، لم يسبق

أن عرف له نظيراً في العالم، وهكذا خرج محمد رضا بهلوي من إيران مستسلماً للإرادة الأمريكية ليعيش متشرداً في المنافي إلى أن مات دون أن تقدم له الولايات المتحدة أي نوع من أنواع المساعدات، حتى الإنسانية منها!

في عام ١٩٧٧، أعلن (بريجينسكي) على الملأ رأيه بأن التمسك بالإسلام هو حصن ضد الشيوعية، ففي مقابلة مع جريدة (نيويورك تايمز) بعد الثورة الإيرانية، صرح (بريجينسكي) أن واشنطن سترحب بقوة الإسلام التي بدأت تظهر في الشرق الأوسط، لأنها كأيدلوجية تتعارض مع تلك القوى في المنطقة، التي يمكن أن تكون مؤيدة للاتحاد السوفيتي.



الرئيس الأمريكي كارتر وزوجته روزالين والشاه والشاهبانو في آخر زيارة للشاه لأمريكا.

ولقد أعاد سكرتير الرئيس (كارتر) الصحفي (جودي باول) هذا الرأي في ٧ نوفمبر ١٩٧٩، وذلك بعد ثلاثة أيام من أخذ ٥٣ من الرهائن الأمريكيين في طهران.

وعلى الرغم من أن مصادر موثوقة تقول إن (بريجينسكي) يكاد يكون على جهل تام بالظروف السياسية في الشرق الأوسط، إلا أنه كان مشغولاً باستخدام الأديان والمذاهب الدينية، كأدوات للحرب السياسية، فهو قد تدرب على أيدي اليسوعيين في جامعة (ماكجل)، وقد قال إنه يعتبر نفسه قريباً من اليسوعيين في طريقة تفكيرهم، إلى درجة أنه رقى إلى درجة عضو شرف في جمعيتهم.

وكان بريجينسكي قد ألقى خطاباً أمام الجمعية السياسية الخارجية في واشنطن في ٢٠ ديسمبر ١٩٧٨، وهو أول خطاب يكشف فيه عن التفكير الاستراتيجي الجديد للولايات المتحدة، والذي يركز فيه بشكل خاص على مبررات وجود أمريكا في مناطق استراتيجية فى العالم.

وفي المذكرة الرئاسية رقم ١٨ في صيف عام ١٩٧٧، أمر الرئيس كارتر بإجراء مراجعة شاملة للوضع العسكري للولايات المتحدة، وقد ارتكز بريجينسكي في نظريته على ضرورة التحالف مع قوى التغيير الجديدة والتودد إليها حالما تنتصر فقال ما نصه:

" إن الأمن الأمريكي القومي يعتمد على قدرته على تقديم توجيه إيجابي لهذه العملية الصاخبة من اليقظة السياسية والموجات الثورية التحررية، وهذا يعني أن على الولايات المتحدة أن تنغمس انغماسا نشطا في الشؤون العالمية لتعزز صلاتها بالتطورات عن طريق التزامها بالتغيير الإيجابي فقط، ذلك أننا إذا خلقنا عراقيل مصطنعة في وجه التغيير من أجل الحفاظ على الوضع الراهن فإننا سنعزل أنفسنا فقط وسنهدد أمننا القومي".

وفي ذروة الأزمة ضد الشاه أصدر بريجينسكي تصريحه الشهير، الذي يقول فيه: " إن المنطقة تشكل هلالاً للأزمات يمتد من شمال وشرق أفريقيا، عبر الشرق الأوسط وتركيا وإيران والباكستان ".

وأضاف : " في هذا الجزء من العالم، يقوم الاتحاد السوفيتي بلعبة للسيطرة على منابع النفط في الخليج، والتي تعتمد عليها صناعة الغرب".

ولم تكن الفكرة جديدة، فقد اقترح بريجينسكي في يوليو ١٩٧٨ بحث هذه الفكرة، حيث يرى أنه إلى جانب الاستفادة من تنظيمات اليسوعيين، ومختلف المنفيين من أوربا الشرقية، وتطوير ورقة الصين في آسيا، يمكن للتعاون من التنظيم الإسلامي أن يساعد على تطويق الاتحاد السوفيتى بجيوش معادية له أيدلوجيًّا.

يضاف إلى ذلك أن الأمريكيين كانوا على ثقة، من أن الطبقة المتوسطة قد تشربت جماهيريا الثقافة الغربية، وأصبحوا لا خوف عليهم من الشيوعية، لكن الأمريكيين كانوا في حاجة إلى طبقة أخرى لدعم العناصر المتطرفة والمعادية للنفوذ السوفيتي، وأنه إذا كانت سيطرتهم على عقول الطبقة المتوسطة تتم عبر أجهزة الإعلام والأنماط الاستهلاكية، فإن السيطرة على الطبقات الفقيرة لا تكون بغير رجال الدين، الذين وإن كانوا يعتبرون من الطبقة المتوسطة، لكنهم يسيطرون في نفس الوقت على الطبقات الدنيا، والتي هو في حاجة إلى استخدامها الآن.

ويزيد من أهمية رجال الدين في إيران، في نظر بريجينسكي أنهم المجموعة الوحيدة في إيران المهيأة للدخول في أنشطة المعارضة، لأنها تملك نظاما متقدما للاتصالات والتسهيلات المحلية، في شكل مؤسسات دينية كالمساجد وكمؤسسة " إرشاد حسينية " المرتبطة بها، وكل ذلك يجعلهم يتمتعون بحصانة في مواجهة بطش الشاه.

وبناء على ذلك وفي ديسمبر ١٩٧٨، وهو الوقت الذي تصاعد فيه المد الثوري ضد الشاه قررت لجنة التنسيق الخاصة لمجلس الأمن القومي بشكل سري، زيادة إذاعات وكالة المخابرات الأمريكية باللغات السائدة في المناطق الإسلامية السوفيتية زيادة كبيرة.

كذلك تقول الأميرة أشرف شقيقة الشاه: " إنه في السبعينيات راح الإعلام الغربي يعدد ويضخم مشاكل وأخطاء الشاه، وكان هناك نحو ستين جمعية ومجلة، بالإضافة إلى الدوريات الأمريكية كلها تنشر مقالات معادية للشاه، وكانت ترسل بالبريد لعشرات الألوف من الإيرانيين داخل وخارج إيران، وإن بعض هذه الدوريات كان يصدرها محترفون، يتلقون تمويلا مكنهم من إخراجها في شكل جذاب، جعلها تنجح في شن حرب باردة ضد الشاه.

ولقد ثبت أنه كان هناك قدر من المعلومات المتوفرة عن طبيعة الخميني ونواياه، وكانت كتبه موجودة في مكتبات الجامعات الأمريكية، وكان هناك العديد من الباحثين الأمريكيين في الولايات المتحدة، الذين يعرفون تعاليمه معرفة جيدة، وكان البروفسور (مارفين زونس) من جامعة شيكاغو، قد أجرى نقاشاً مطولاً معه، نقل تفاصيله لعدد كبير من المسئولين بوزارة الخارجية الأمريكية بعد ذلك بوقت قصير، وقال هذا الأستاذ الجامعي، الذي كان مهندس الحرب النفسية ضد (الشاه) إنه وجد نفسه في مواجهة (الخميني) أمام شخص متشدد بدرجة كبيرة.

وعلاوة على ذلك فإنه منذ إقامة الخميني في فيلته الصغيرة بحي (نوفل – لو–شاتو) بباريس أصبح الخميني على اتصال بالصحافة والتلفزيون، ولكنه في نفس الوقت كان موضع متابعة مستمرة من المخابرات المركزية الأمريكية، التي قامت باستئجار منزل بالقرب من فيلا الخميني وأجرى أعضاء السفارة الأمريكية اتصالات منتظمة مع أقرب مستشاري الخميني أمثال (بني صدر) و(صادق قطب زاده) و(إبراهيم يزدي) الذي يحمل جواز سفر أمريكي ومتزوج من أمريكية، وأول من استخدم لتنفيذ فكرة الانقلاب في إيران، حين أسس منظمة الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة، وجند لها الطلبة الإيرانيين وغير الإيرانيين، وكان همزة الوصل بين رجال المخابرات الأمريكيية و(الخميني) للإعداد لقلب عرش الطاووس في إيران، حيث يعيش في الولايات المتحدة منذ ثمانية عشر عاما، ورفضت

زوجته (سرور). التي تقيم بصورة دائمة مع أطفالها الستة في مدينة (هويستون) الأمريكية، رفضت العودة إلى إيران أو التنازل عن جنسيتها الأمريكية.

لكل ذلك، اقتنعت أمريكا بفكرة الدولة الدينية (الإسلامية) ورصدت إمكاناتها المادية والإعلامية لخدمتها.

لم يكن برويز مشرف هو الأول الذي تستخدمه أمريكا ثم تبيعه، لتنقل الرهان على جواد آخر، ولن يكون بالطبع الأخير، فكراسي الحكام بالنسبة لأمريكا ككرسي الحلاق، إذا ما انتهى دور زبون يأتي دور الزبون الآخر، وهكذا كان حال شاه إيران الراحل !!

يقول أحمد مهابة آخر قنصل مصري في إيران في كتابه " إيران بين التاج والعمامة" عن الدور الأمريكي في القضاء على أكبر حليف لواشنطون في التاريخ الحديث إنه عندما كان يعيش آية الله الخميني في منفاه بجنوب العراق بين كربلاء والنجف الأشرف في ظل حماية النظام العراقي المنهار، كان مثال الهدوء والسلام والوئام إلى درجة أن النظام العراقي البائد كان يتركه في صومعته الهادئة بينما كان صدام حسين يحصد رؤوس رجال الدين الشيعة من المعارضين العراقيين.

عمت إيران الشاه في أوائل عام ١٩٧٩ مظاهرات عارمة من قبل كافة القوى الإيرانية من فرس وكرد وأذربيجانيين وتركمان وبلوج وعرب وأرمن. وكان قد ضغط النظام الشاهنشاهي على النظام العراقي البائد بطرد آية الله الخميني من العراق، حيث كان يربط النظام الإيراني البائد علاقات جيدة مع نظام البعث العراقي طبقا لاتفاقية الجزائر لعام ١٩٧٥ والتي بموجبها انهارت الثورة الكردية بين ١٩٦١- ١٩٧٥ والتي كان يقودها الراحل مصطفى البرزاني.

طُرد آية الله الخميني من العراق إلى فرنسا عام ١٩٧٨، ومن هناك كان آية الله الخميني يصدر الأوامر بتنظيم المظاهرات وقرع طبول الحرب ضد الشاه محمد رضا بهلوي وسلطته الفردية.

وكان آية الله الخميني يبعث بأشرطة مسجلة بصوته لتحريض الجماهير الإيرانية بكل طوائفها واتجاهاتها السياسية لعزل الشاه وإسقاط نظامه.

واستخدم الخميني أسلوب ناجع لجذب الجماهير إلى خيمته الدينية، وهو أسلوب الإقناع بأن الحرية قادمة وأن الشعوب الإيرانية ستعيش في أجواء ديمقراطية.

كما وعد الخميني كافة الشعوب الإيرانية بحقها في التمتع بحقوقها، فوعد الخميني الشعب الكردي بحقه في الحرية والحقوق القومية (خود موختاري) أي الحكم الذاتي. كما وعد الليبراليين بالمشاركة في السلطة الديمقراطية المرتقبة بعد سقوط الشاه، ووعد الراديكاليين بحكم الإيران، ووعد الشعوب الإيرانية كلها بمجيء عهد ديمقراطي بعيد عن السلطوية الوحيدة الجانب.

استطاع آية الله الخميني بعقله الديني الوحيد الجانب أن يدفع العقول التي تفكر تفكيرا متعددة الجوانب أن تنخرط تحت لوائه الديني الشمولي. وكانت الجماهير تواقة للحرية والديمقراطية، ويبدو بأنها كانت تفكر بالخلاص من سلطة الشاه كخطوة أولى، لبناء إيران ديمقراطي. بينما كان آية الله الخميني يفكر بتنظيم الجماهير لإسقاط الشاه كخطوة أولى، ومواجهة الكرد والليبراليين والشيوعيين والراديكاليين في المراحل التالية.وكانت النتيجة أن انتصر العقل الديني.

و كان الرئيس جيمي كارتر يراقب الأحداث في إيران عن كثب، وكانت توجد قاعدة عسكرية أمريكية في إيران الشاه قوامها أربعون ألف جندي أمريكي مزودين بأرقى أنواع الأسلحة والرادارات وأجهزة التجسس على الدول العربية والاتحاد السوفيتي السابق.

كما كانت لإسرائيل علاقات جيدة مع نظام الشاه، ولكل من إيران وإسرائيل سفارة في البلد الآخر.

وكان بريجنسكي العقل المفكر لجيمي كاتر، وهو في الأصل بولوني كان يشغل منصب مستشار الرئيس كارتر لشؤون الأمن القومي، جاء بنظرية جديدة ملخصها "تبديل العساكر برجال الدين".

كان بريجنسكي ينظر إلى الأنظمة التي تحكمها توجهات دينية أنظمة حليفة للولايات المتحدة الأمريكية، كباكستان المسلمة في الوقت الذي كان للهند علاقات جيدة مع الاتحاد السوفيتي. أما المثال الثاني فهو أفغانستان، ودعم الولايات المتحدة لطالبان ضد الوجود السوفيتي هناك، حتى تمكن طالبان من السيطرة على أفغانستان، قبل أن ينقلب طالبان على أمريكا.

وعلى هذا الأساس اعتبر بريجنسكي بأنه من مصلحة أمريكا نهاية حكم العساكر في إيران وتبديله برجال الدين، لذلك أصدرت الأوامر للقاعدة العسكرية الأمريكية بعدم التدخل لصالح شاه إيران.

كما وقفت فرنسا موقف التأييد لإيصال تلك الأصوات الخمينية من خلال الإذاعات وأشرطة الكاسيت وما شابه إلى الجماهير الإيرانية. فكانت الثورة. إنها كانت ثورة الشعوب الإيرانية، وليست الثورة الإسلامية كما يحلو للبعض أن يقول. كانت ثورة الفرس والكرد والأذر والتركمان والأرمن والعرب بمساندة ودعم أمريكيين لدك حصون النظام الشاهنشاهي.

حاول الشاه الإيراني أن يقوم ببعض الإصلاحات وذلك بتعيين رئيس وزراء جديد يتمتع بسلطات واسعة بينما سافر الشاه إلى الخارج. لكن الثورة استمرت، وشملت كل مرافق الحياة، وسيطرت على الأوضاع نسبيا في شباط عام ١٩٧٩.

من الغريب أن الولايات المتحدة التي كانت تربطها بإيران أقوى العلاقات الإستراتيجية ترفض استقبال الشاه الإيراني محمد رضا بهلوي بعد خروجه من إيران لأسباب، قيل إنها "تضر بالأمن القومي الأمريكي". فليس لأمريكا صديق دائم ولا عدو دائم إنما مصلحة دائمة، مستثنيا منها إسرائيل التي تمثل إحدى أقطاب المصلحة الأمريكية الدائمة في الشرق الأوسط لامتصاص القوة السياسية والعسكرية والفكرية العربية الإسلامية.



كان الراحل أنور السادات رجل الأزمات، وكان له الجرأة الكافية أن يستقبل الشاه الإيراني البهلوي في القاهرة، تكريما منه لذلك اليوم الذي وقف الشاه إلى جانبه بتصدير النفط إلى مصر في حرب أكتوبر ١٩٧٣.

كان الرئيس السادات أكثر أخلاقية في السياسة من بريجنسكي. فالطبيعة العربية طبيعة الكرم والوفاء حتى في السياسة مستثنيا منها طبعا طبيعة صدام حسين الذي كان عدوانيا وساديا، وهي حالة نفسية فردية لدكتاتور لا يعرف القيم الإنسانية. في حين نجد أن الشاه كان قد خان والده رضا خان، وانقلب عليه وعزله لينفرد بالسلطة، فانقلب عليه الشعب ليعزله.

فالكراسي السياسية في العالم بالنسبة لأمريكا ككرسي الحلاق، إذا ما انتهى مفعول دور زبون يأتي دور الزبون الآخر.

وكان الدور الأمريكي قد برز في إيران بجلاء منذ عام ١٩٥٣، إثر تدخلها في إيران لتدبير انقلاب ضد رئيس الوزراء الإيراني محمد مصدق، الذي قام بتأميم صناعة النفط وأعلن قطع العلاقات السياسية بين إيران وبريطانيا في ذلك الوقت.

وبعودة الشاه إلى الحكم، تعاظم النفوذ الأمريكي وخفت نظيره البريطاني، واعتبر شاه إيران أن حكومته مدينة للولايات المتحدة، ولذا توثقت العلاقات الإيرانية- الأمريكية.

وخلال الفترة ١٩٦٢-١٩٧٨ لعبت إيران دور شرطي المنطقة بدعم أمريكي، وتبادل نظام شاه بهلوي والحكومة الأمريكية المصالح، التي رافقها تزايد عائدات النفط وتعزيز القوات المسلحة الإيرانية وضرب المعارضين في الداخل من خلال مظلة دعم أمريكية

وأمريكا صنعت الإرهاب وبكت على ضحاياه وساعدت شاه إيران في بناء المعتقلات وتقوية قبضة السافاك، ثم تخلت عنه بعد استهلاكه ووقفت مع صدام في حربه ضد إيران، ثم ابتسمت له بعد أن استخدم المواد الكيماوية في قتل آلاف من أكراد شعبه.

كانت العلاقات الدبلوماسية الأمريكية-الإيرانية في عهد شاه إيران "محمد رضا بهلوي" تتصف بالمتانة والجودة وكان الشاه -إلى منتصف السبعينيات من القرن الماضي- يُعتبر أحد حلفاء أمريكا الموثوق بهم والحارس الأمين للمصالح الغربية في منطقة الخليج في الوقت الذي كان يُعد جيشه من أقوى جيوش المنطقة من ناحية الإعداد والتسليح والتدريب العسكري والإمكانيات الحربية وكان تسليحه

مزدوجاً (أمريكيًّا وروسيًّا) في آن واحد. وكان الشاه خريج عدة أكاديميات حربية في كل من بريطانيا وأمريكا وضابطاً حربيًّا هو نفسه الذي بنى ذلك الجيش القوي مستخدماً ثروة البلاد النفطية بهدف استعادة بناء مجد فارس حيث صُنِّف جيشه في عهده كخامس أقوى جيش في العالم.

أمريكا عززت علاقتها بشاه إيران ودعمته باعتباره شرطي الخليج انطلاقا من مبدأ أرساه الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون بعد التورط في حرب فيتنام بإيجاد بدلاء لبلاده لتحقيق المصالح الاستراتيجية الكونية الأمريكية وكان يتصور كذلك أن إسرائيل تقوم بدور مماثل في قلب الشرق الأوسط.

وغزت الولايات المتحدة فيتنام في منتصف الستينيات واستطاعت المقاومة بوسائل محدودة دحر الاحتلال وكبدته خسائر دفعت الإدارة الأمريكية إلى سحب قواتها في مطلع السبعينيات تحت ضغط الرأي العام المعارض للحرب.

وقال ليش إنه مع سقوط شاه إيران الذي أطاحت به الثورة الإسلامية التي قادها الزعيم الراحل آية الله الخميني عام ١٩٧٩ ومع الحرب العراقية الإيرانية التي استمرت ثماني سنوات من عام ١٩٨٠ وحتى عام ١٩٨٨ بدأت واشنطن تنظر إلى الرئيس العراقي (السابق) صدام حسين على أنَّه رجل الدرك (الشرطي) الجديد في المنطقة، ربما يقوم بالدور الذي لم يقم به الرئيس المصري (السابق) أنور السادات حق قيامه وهو قيادة الإجماع العربي المعتدل نحو السلام مع إسرائيل.

و هكذا تذبح أمريكا أصدقاءها وتتخلى عنهم كما حدث مع شاه ايران وصدام حسين مع العام ١٩٧٩ وتحديدا الشهر الأول منه، غادر شاه إيران بلاده، بعد أن وصلت خططه في قمع الثورة الشعبية اللاهبة، طريقا مسدودا لا رجاء فيه.

ومع مطلع شهر من العام نفسه، كانت تحط طائرة آية الله الخميني الفرنسية الصنع، في مطار طهران، فيما كانت بحار جماهيرية لا نهاية لها، تستقبل الشيخ

الجليل، الذي استطاع بأشرطة تسجيله وبازاره وجموع شعبية ساخطة، ضد الشاه وتاريخه وسياساته، ومسالك الأبهة في مناسباته، مثل إحياء القرن (الكذا) لولادة قورش، وما جري في هذه المناسبة من استجلاب اواني الفضة المملوءة بطعام ساخن من مطعم مكسيم الباريسي، والعديد الوافر من الضيوف ذوي التيجان الإمبراطورية والملكية والرئاسية، حيث يكفي الاعتذار عن الحضور، ليشكل مشكلة مع نظام الشاه المدلل عالميا، أمريكيا وصهيونيا أيضا.

كان الشاه موضع مقت من شعبه البالغ خمسة وخمسين مليونا في حينه، وقد جلب عليه طالع شؤمه، أنه في أخريات ايامه، بعد أن زهد من حياة البذخ والقصور، والجواري والإماء، وموائد العالم الخضراء والحمراء، وقيادة السيارات الإيطالية (السبور) أنه كان قد قرر إنفاق ثروات نفطه، على التنمية بدلا من البذخ، وعلي الجيش بدلا من القصور والجواري، ثم على الصناعة والزراعة في وجهة تحديث، كي يماهي بين إمبراطوريته كتاريخ، وبينها كواقع في العصر، إذ استشعر كرتونية العرش بلا حداثة.

كانت رؤى الإمبراطور، الذي انتقل من مرحلة الشباب إلى الكهولة، ما زالت على الورق، أو ربما في دماغه ليس أكثر، لكن الساكنين في دماغ الإمبراطور، من التبعية البهلوية أو البهائية أو الاستخباراتية الإيرانية، كانوا يمدون خطوطا إخبارية تصل إلى واشنطن قبل أن تصل إلى بوابات القصر الإمبراطوري، وكان هؤلاء خليطا من فارسية - ألمانية تدين بالولاء للإمبراطورة المظلومة ثريا، أو أنهم خليط من فارسية - انكلوساكسونية (آرية) كان لهم الفضل في استرداد عرش الشاه من براثن مصدق ونظامه الوطني، بداية الخمسينيات.

لم تبد الولايات المتحدة، نتيجة إلمامها بمآرب الشاه البعيدة، أي استعداد لمناصرته مع قرب وقوع نظامه في الحفرة، بل لعلها تجاهلت ما كان يجري في أكناف بلاد لم تقصر في تقديم كامل ثرواتها وواقعها وموقعها (ضد السوفييت في حينه)، لمدة نصف قرن كامل، انطلاقا من نهاية الحرب العالمية الثانية، وما يزيد على هذه المدة، إنطلاقا من بداية اكتشاف النفط في المنطقة عموما.

على الضفة الأخرى كان الشاه الإيراني مهموما بترقية أجندة الآخرين على أرضه، وهو ما دفع الرئيس الأميركي كارتر حينها إلى وصف بلاده بجزيرة سلام في منطقة مضطربة، ومع كل الخدمات التي قدمها الشاه الإيراني للسياسة الأميركية، نجد تلك المعاملة القاسية وغير الأخلاقية واللاإنسانية من قبل الإدارة الأميركية، وقد تجلى النفاق الغربي بأبهى صور شاه ايران (٢٦ أكتوبر ١٩١٩ إلى ٢٧ يوليو ١٩٨٠)

ولد الشاه محمد رضا بهلوي في ٢٦ أكتوبر ١٩١٩ في مدينة طهران الإيرانية، وقد نودي بمحمد شاه وريثا للعرش عام ١٩٢٦ م لأنه كان الابن الأكبر لشاة إيران رضا بهلوى ، وقد حكم الشاة محمد رضا بهلوي إيران في الفترة من ١٩٤١-١٩٧٩ وكان هو الشاه الأخير الذي حكم إيران ٣٨ عاما وخلعته الثورة الإسلامية بقيادة الخومينى في إيران عام ١٩٧٩.

محمد رضا بهلوى تلقى تعليمه في المدرسة الداخلية السويسرية "لا روسي"، ثم أكمل تعليمه في إيران في الأكاديمية العسكرية في طهران (الكلية الحربية) ١٩٣٥ .

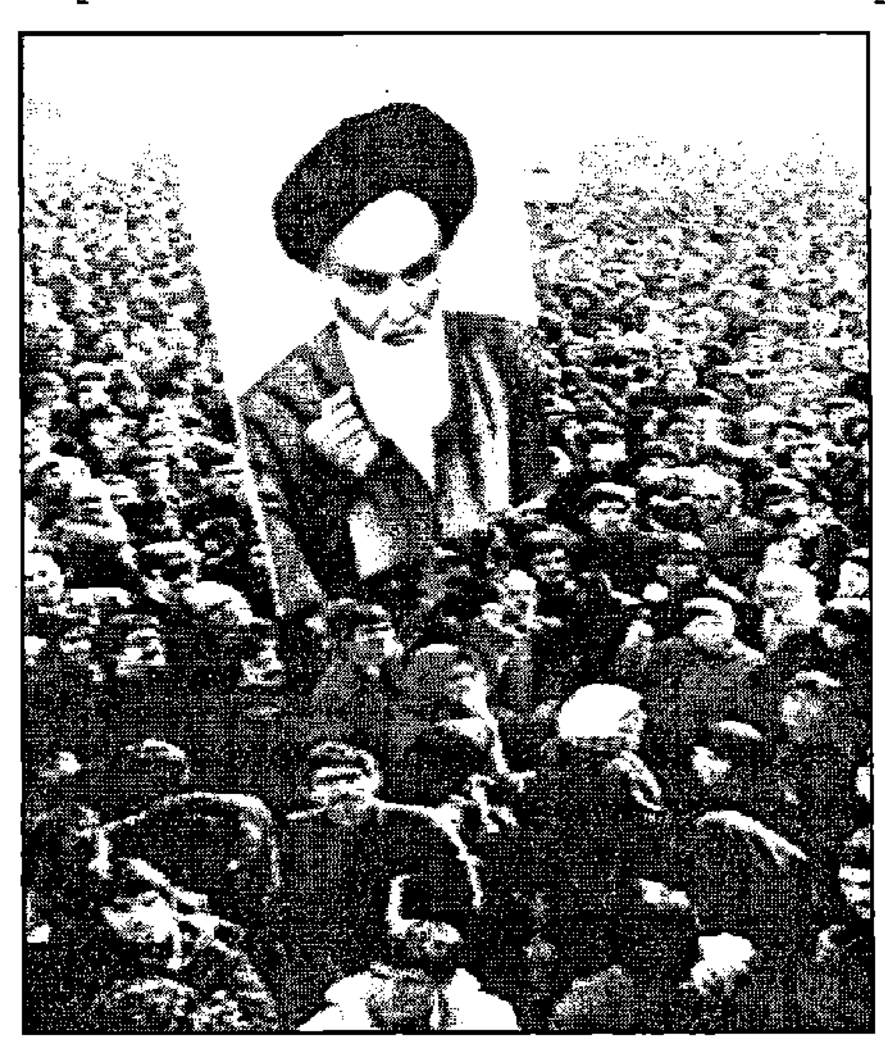
تزوج أخت الملك المصري فاروق الأول في عام ١٩٣٩ وانفصل عنها في ١٩٤٩ وتزوج بعدها مرتين في ١٩٥٠ و١٩٥٩ .

في عام ١٩٤١ تخوف الحلفاء من تعاون شاه إيران رضا بهلوى مع النازية الألمانية وخوفاً من جنوحة ناحية أدولف هتلر في الحرب العالمية الثانية وتزويده بالنفط ، مما دفعهم إلى احتلال جزء كبير من إيران وإكراه شاه إيران رضا بهلوى على التنازل عن العرش ونفيه خارج البلاد، واستدعوا ابنه لتولي الحكم إذ هو الوريث الشرعى للعرش وبهذا أصبح محمد رضا بهلوي شاه إيران .

وفي عام ١٩٤٩ نجا من محاولة اغتيال محققة من قبل أحد أعضاء حزب توده اليساري . وفي مابين عامى ١٩٥١ – ١٩٥٣ شكل رئيس الوزراء الإيراني الأسبق محمد مصدق حكومة قصيرة وقد شغل بختيار منصب وكيل وزارة العمل .

ثم تطور خلاف بينه وبين محمد مصدق أحد المتحمسين القوميين. مما اضطره إلى الهرب لفترة وجيزة ، لكنه سرعان ما عاد بفضل انقلاب مضاد دعمته المخابرات الأمريكية والبريطانية أيضاً، وعندما عاد الشاه محمد رضا بهلوي بالقوة إلى إيران فتح بختيار مكتبا خاصا وعمل بالمحاماة.

وبدأ الشاة محمد رضا بهلوى برنامجه الإصلاحي عام ١٩٦٣ بالتعاون مع الولايات المتحدة أطلق عليه "الثورة البيضاء"، يتضمن إعادة توزيع الأراضي بين المواطنين، وعمليات بناء واسعة، والقضاء على الأمية وتحرير المرأة. وقام الشاه بتقطيع الأراضي الزراعية الكبيرة إلى قطع صغيرة استفاد منها ٤ ملايين فلاح إيراني، وسمح للمرأة بالتصويت في الانتخابات. وبفضل إجراءاته الزراعية عاشت إيران في فترتي الستينيات والسبعينيات فترة انتعاش اقتصادي .



الثورة الإيرانية هزمت الشاه ولم يستطع حلفاؤه الأمريكيون إنقاذه !!

ولكن التنفيذ العملي للبرنامج أدى إلى مزيد من التمييز الاقتصادي بين الناس، وتوزيع عوائد النفط بشكل عادل، مما عرضه لمزيد من موجات الانتقاد الواسعة لا سيما من علماء الدين الذين غضبوا من سياسته المتعاونه مع الغرب.

أما من الناحية السياسية، فحين اعتلى الشاه العرش مرة أخرى عمل على إحداث تغييرات سياسية لدعم أركان حكمه، وكان على رأسها إلغاء الأحزاب السياسية، والإبقاء على الحزب الحاكم، وأعاد جهاز " السافاك " أو الشرطة السرية للحياة، وهو الجهاز الذي قام بأعمال تتنافى مع حقوق الإنسان، غير أن ممارسات السافاك خلفت له الكثير من الأعداء، وأرغم مرة ثانية على مغادرة إيران، ولكنها كانت هذه المرة بلا رجعة.. إذ فشل في قمع المظاهرات الاحتجاجية، والحد من تأثير الخوميني على الشعب من منفاه في باريس

حاول الشاه في يناير ١٩٧٩ احتواء ثورة الإسلاميين داخل إيران فعين بختيار رئيسا للوزراء، فانتزعت منه عضوية حزب إيران.

وأثناء توليه منصبه الجديد حاول بختيار أن يقوم ببعض الإصلاحات الداخلية ففكك "السافاك" (البوليس السري) وأطلق سراح المعتقلين السياسيين وأعطى ترخيصا للعديد من الصحف المعارضة، لكن كل تلك الجهود توقفت بعد عودة آية الله روح الله الخميني من منفاه في فرنسا في الأول من فبراير ١٩٧٩، وبالرغم من الشعبية الكبيرة التي كانت للإمام الخميني فإن بختيار ظل على موقفه المعارض لتلك الثورة التي يعتبرها مناهضة للمفاهيم الليبرالية والعلمانية الغربية التي كان يؤمن بها.

انهارت حكومة بختيار بسرعة بسبب الخلافات التي دبت بينه وبين قادة الثورة الإسلامية، فاختفى عن الأنظار إلى أن استطاع الفرار إلى فرنسا في أبريل من العام نفسه، وهناك أسس حركة المقاومة الوطنية في المنفى.

في ١٦ يناير ١٩٧٩، هرب شاه بهلوي خارج البلاد، وعاد الخميني وتسلم القيادة.

وفي يناير ١٩٧٩ هاجم الإيرانيون السفارة الأميركية في طهران، وطالبوا بالشاه مقابل إطلاق سراح الرهائن المحتجزين في السفارة.

أما الشاه فقد اتخذ بنما مستقراً له وساءت حالته الصحية حيث أنه كان مريضا بالسرطان وذهب للعلاج في أمريكا، فلما استقرت حالته الصحية طالبته أمريكا بالمغادرة إلى أن قبله السادات في مصر واستضافه حتى توفى يوم ٢٧ يوليو ١٩٨٠.



الرئيس المصري الراحل أنور السادات وأسرة الشاه أثناء مراسم دفنه بمسجد الرفاعي بعد أن وافته المنية بالقاهرة منفاه الأخير!!

كان كريستوفر مونتايغ وودهاوس يتساءل عما إذا كان أحد ساعد في نجاح الثورة الإسلامية في إيران، لقد كان العميل السري الأعلى مقاما في "عملية الجزمة" Boot عام ١٩٥٣، للإطاحة برئيس وزراء إيران الديمقراطي محمد مصدق.

إنه وودهاوس الذي أعاد شاه إيران مدة ربع قرن، وتُوج الشاه "شاهنشاه" أي ملك الملوك، "ونور الآريين".

كان الانقلاب على مصدق وعودة الشاه عملية وقف وتأخير للتاريخ، وقد وجدت الولايات المتحدة في تأميم شركة النفط (AIOC) سببا كافيا للتدخل العسكري وإنهاء حكومة مصدق، ولم تتغير طريقة التفكير عام ٢٠٠٣ أي بعد خمسين سنة عندما قام المحافظون الجدد الذين يحكمون الولايات المتحدة الأميركية بغزو العراق لأجل تغيير النظام السياسي هناك.

وهكذا صار الشاه شرطي الغرب، الحاكم المستبد المطلق الحكيم دون أن يعتبر دكتاتورا يجدر أن تجرد لوقف استبداده حملة لأجل الحرية مثل عملية "حرية العراق" وأصبح معقِلا ضد التوسع السوفياتي جنوبي غربي آسيا، وحارسا لإمدادات النفط.

ولكن حكم الشاه لم يكن مستقرا كما يدعي مساندوه، إذ كانت هناك أعمال شغب وانتفاضات ضد النظام طوال الستينيات، وحصل ٤٠٠ انفجار بين عامي ١٩٧١و١٩٧٥، وفي عاشوراء (ذكرى مقتل الإمام الحسين بن علي) رضى الله عنهما من عام ١٩٦٣ أدان آية الله الخميني حكم الشاه وشجبه واتهمه بالفساد.

أوقِف الخميني فورا وسيق إلى طهران، فحصل انفجار شعبي وأصبح الخميني زعيما للمعارضة، وعندما ألقى خطابا أدان فيه إعطاء القوات الأميركية حصانة تمنع ملاحقتهم للجرائم المرتكبة داخل إيران، في اليوم التالي نفي الخميني إلى تركيا.

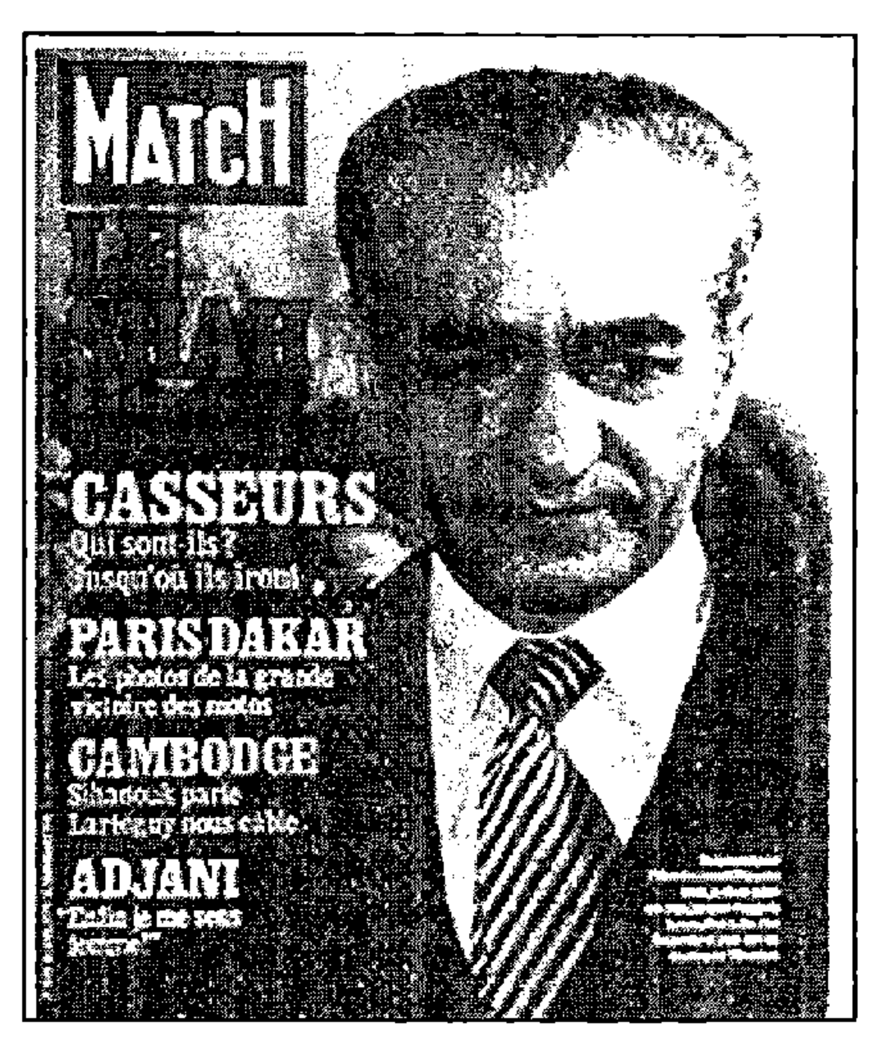
ثم انتقل الخميني من تركيا إلى مدينة النجف الشيعية في العراق، حيث أعلن صراحة دعمه للفلسطينيين، وسجلت خطبه على أشرطة وزعت عبر إيران، ولما لم يستطع الشاه أن يوقف انتشار خطب الخميني المسجلة طلب من النظام السياسي في العراق إبعاده، فانتقل إلى باريس، حيث حظي بإعجاب الصحافة الدولية المستمر.

وعاد الخميني من باريس على متن طائرة فرنسية مقدمة له ليعود بها إلى وطنه، وبعد أربعة أيام أعلن تشكيل حكومة مؤقتة برئاسة مهدي بازركان، وحان الوقت لتصفية رجال الشاه.

كل يوم تستيقظ لتقرأ أسماء الرجال المدانين، وترى "السافاك" يسقطون أمام فرق الإعدام، حتى أنهم لم يستطيعوا إنقاذ نعمة الله نصري رئيس "السافاك" الذي حمل فرمان الشاه إلى مصدق طالبا استقالته عام ١٩٥٣وهو نفسه الذي رتب لزيارات بن غوريون وغولدا مائير ورابين لطهران التي كانت ترتب في الخفاء.

وفي آخر المطاف مات الشاه في القاهرة عام ١٩٨٠ وأودع الثرى في قبر متواضع في مسجد الرفاعي.

كان مسؤولو الأمن في الدولة الإسلامية الجديدة مقتنعين بأن بعض أعضاء الحكومة الجديدة يتطلعون إلى الولايات المتحدة شريكا ممكنا لا شيطانا أكبر كما أوحت بذلك مظاهرات الشوارع.



دموع الشاه بعد تخلي حلفائه الأمريكيين عنه على غلاف مجلة " باري ماتش " الفرنسية !!

وبعد الاستيلاء على السفارة الأميركية عام ١٩٧٩ بواسطة الطلبة المسلمين المتبعين لخط الإمام، وجد رجال الأمن أطنانا من أوراق المراسلات الدبلوماسية الأميركية ممزقة، وقضوا بعد ذلك شهورا من أجل إعادة جمعها وتلصيقها.

وكان في هذه الأوراق كمية محرجة من المواد حول عباس أمير انتظام، نائب رئيس مجلس الوزراء واتصالاته بالحكومة الأميركية، ثم بدأ ذلك بشكل رسمي حين بقيت السفارة الأميركية مفتوحة بعد الثورة.

كانت الثورة الإيرانية عاصفة هبت على العالم مازالت تداعياتها مستمرة لم تتوقف، إذ أتت بالسفن الحربية الأميركية إلى المنطقة، ثم بالحرب العراقية الإيرانية، ثم الحرب على العراق واحتلاله .

وقد أخبرت السفارة انتظام بأن الولايات المتحدة ترغب في تطبيع العلاقات مع إيران بسرعة ثابتة، فأجاب بحسب الوثائق بأن حكومته أيضا تريد إقامة علاقة طيبة مع الولايات المتحدة، وقد صرح رئيس مجلس الوزراء بازركان بذلك علنا.

وعندما كشفت الاتصالات بين انتظام ووكالة الاستخبارات الأميركية (CIA) في الملفات الممزقة خسر بازركان وانتظام حظوتهما، وأوقف انتظام وحوكم بتهمة الخيانة العظمى وسُجن مدى الحياة.

عمل على إعادة جمع الأوراق الممزقة فريق كبير من المتطوعين استطاعوا على مدى ست سنوات إعادة تجميع ٢٣٠٠ وثيقة تحوي تاريخا سريا ممتدا بين عامي ١٩٧٢ و١٩٧٩.

كان الموظفون البريطانيون يعتقدون أن السيطرة على بلاد ما بين النهرين تؤمن مصالحهم في النفط الإيراني، وقد صُمم احتلال البصرة ليحقق هذا الغرض، ولكن تشكلت فكرة بدأ يدركها الجميع حتى الصحفيين، مفادها أن مشاريع بريطانيا للعراق قائمة على أوهام.

وهكذا وجدت بريطانيا بعد ستة أشهر من احتلال العراق في مواجهة ثورة شاملة، واعتبر الموظفون البريطانيون في العراق أن المسؤول عن العنف في العراق اضطراب سياسي قادم من خارج العراق، وأن سوريا قد تكون متورطة فيما يحدث في العراق، ويمكن بسهولة أن تقرأ الادعاء الأميركي نفسه بعد ٨٣ سنة.

وجرى قتال في مدينة الكوفة وحصار بريطاني للنجف بعد قتل أحد الموظفين البريطانيين، ولم يرجع ويلسون ذلك إلى القومية، بل إلى الفوضى والتعصب.

ويمكن بسهولة أن تقرأ بدلا من الكوفة عام ١٩٢٠ الكوفة ٢٠٠٤، وبدلا من النجف ١٩٢٠ اقرأ النجف ٢٠٠٤، وبدلا من يزدي ١٩٢٠ إقرأ آية الله على السيستاني الكبير ٢٠٠٤، وبدلا من البدر ١٩٢٠ اقرأ مقتدى الصدر ٢٠٠٤، وبدلا من "الفوضى والتعصب" ١٩٢٠، اقرأ "بقايا صدام والقاعدة" ٢٠٠٤.

ونشب تمرد آخر في منطقة الفلوجة، حيث قتل الشيخ ضاري (حفيد الشيخ حارث الضاري الذي يرأس اليوم هيئة علماء المسلمين في العراق) ضابطا "الكولونيل جيرالد لكمان"، وقطع خط السكة الحديدية بين الفلوجة وبغداد، فتقدم البريطانيون نحو الفلوجة وكبدوا القبيلة "قصاصا ثقيلا".

ويعرف موقع هذه المعركة اليوم باسم "خان الضاري" وتكبد البريطانيون ٤٥٠ قتيلا في التمرد العراقي، وأكثر من ١٥٠٠ جريح، وفي ذلك الصيف قدرت .إ. لورانس نتائج البطش البريطاني "بقتلهم حوالي عشرة آلاف عربي".

وفي عام ٢٠٠٣ شهد الموقع نفسه مقتل أول جندي من قوات الاحتلال الأميركي بقنبلة على جانب الطريق، وتحولت الوعود البريطانية ثم الوعود الأميركية بالحرية ودعاوى ترحيب الناس بالبريطانيين والأميركان إلى عمليات واسعة من الغضب والانتقام.

ولجأ الأميركان إلى قصف جوي لا يميز بين المدنيين والمقاتلين، ودمرت البيوت والقرى، وأبيد مشاركون في حفل عرس بإحدى القرى على الحدود السورية العراقية، وحدث الأمر نفسه في إحدى قرى أفغانستان، وقصفت المساجد، وقتل من لجأ إليها، وأجهز على الجرحى بدم بارد.

كما كان صدام يحاول القضاء على حزب "الدعوة" كامتداد عسكري دينى، كان الخميني من جهته يحاول إزالة "مجاهدي خلق" كفرع من فروع حزب البعث.

أوائل عام ١٩٨٠ حصلت حوادث عنيفة على طول الحدود الإيرانية العراقية لعدة شهور، ونقل عن وزير الخارجية الإيراني صادق قطب زاده قوله إن حكومته مصممة على قلب حكومة البعث التي يرأسها عميل الولايات المتحدة الأميركية صدام حسين.

كان الإيرانيون يشتكون غالبا من أن الطيران العراقي يدخل أجواءهم، وكان يتم تبادل إطلاق النار عبر الحدود في الاتجاهين، واتضح عدم إمكان تفادي النزاع، لكن لم يجتمع مجلس الأمن ليناقش الاعتداءات المتبادلة، حتى غزا العراقيون الأراضي الإيرانية.

سماها صدام حسين "الحرب الخاطفة" واعتبر العراقيون أنفسهم منتصرين قبل حصول النصر، وكانوا يحتفلون قبل إنجاز النجاح، وأعطي الصحفيون الحرية في ميدان المعارك، وقد جاء التصريح من صدام نفسه، حتى كان باستطاعتهم أن يستأجروا السيارات بدون مراقبة.

وفي ٢٩ سبتمبر ١٩٨٠ وبعد أسبوع من الغزو العراقي كانت قذائف الإيرانيين تسقط حول الفاو بمعدل واحدة كل ٢٥ ثانية، وبدأ إدراك واضح بأن النصر لن يكون يسيرا كما تريد السلطات العراقية أن تعتقد.

وفي واشنطن ولندن كان "الخبراء" العسكريون والجنرالات المتحجرون يتشدقون بنوعية الجيش العراقي العالية، وخرائب إيران بعد الثورة، والقوات العراقية المجهزة بشكل واسع بالأسلحة السوفياتية.

ولكن في ٣٠ سبتمبر بعد ثمانية أيام من الغزو، لم يستطع العراقيون أن يتقدموا إلا إلى مسافة ١٥ كلم عن "خرمشهر" المرفأ العباسي القديم، الذي كان أكبر مرفأ لإيران، وعلى مقربة من عبدان دون تطويقها.

وفي ٥ أكتوبر دخل العراقيون "خرمشهر" أخيرا، والصحافة معهم فوجدوها محروقة محطمة، وكان العراقيون يحاولون أن ينقذوا عرب إيران، ولكن لم يكن باستطاعتك أن ترى إلا طرقا مدمرة وأعمدة تلغراف مكسورة وحوانيت محروقة، فبدأ العراقيون يتعلمون في يوم أن النصر لن يكون لهم على الأقل لأسابيع أو أشهر بل إلى سنوات.

وأصبح العرب الذين وضعوا ثقتهم في صدام ينتابهم الخوف من أن يخسر الحرب التي دعموها بابتهاج، ولم يكن العرب وحدهم الخائفين من انكسار صدام، فقد كانت الولايات المتحدة الأميركية تزود العراق بصور فضائية عن الخطوط الإيرانية في المعركة منذ الأيام الأولى للحرب، وكان سيل من المستشارين الأميركيين غير الرسميين يزور بغداد بانتظام منذ ذلك التاريخ.

يقول التاريخ الرسمي الإيراني للحرب: إن العراق استعمل الأسلحة الكيميائية ضد الإيرانيين بتاريخ ١٣ يناير ١٩٨١، متسائلين من أين تأتي المبيدات؟

عندما كاد العراق يغرق فرقاطة أميركية أُلقي اللوم على إيران، ولكن عندما هاجمت "القاعدة" أميركا بعد ١٤ سنة أُلقي اللوم على العراق.

وكان الجواب أن بعضها جاء من ألمانيا، ولكن بتاريخ ٢٥ مايو ١٩٩٤ أصدرت إحدى لجان مجلس الشيوخ الأميركي تقريرا جاء فيه أن الولايات المتحدة الأميركية زودت حكومة العراق بمواد ساعدت على تطوير البرامج الكيميائية والبيولوجية وبرامج الصواريخ بما فيها مصنع لتسهيل إنتاج المواد الكيميائية الحربية ورسومات تقنية وتجهيزات تعبئة للحرب الكيميائية.

وقد استعمل العراق الغاز لمعاودة الاستيلاء على الفاو عام ١٩٨٨ ولم يظهر العالم أية مبالاة. وقبل ذلك كانت القوات العراقية قد ألقت على بلدة حلبجة الكردية على مدى يومين الغاز المركب من سيانيد الهيدروجين بمساعدة شركة ألمانية وقتلت ٥٠٠٠ مدني.

وفي واشنطن أرسلت وكالة المخابرات الأمريكية مذكرة إلى سفاراتها في الشرق الأوسط تذكر فيها أن إلقاء الغاز قد يكون من جانب الإيرانيين.

وعند الاستماع إلى أقوال ريغان يظن المرء أن إيران هي التي بدأت غزو العراق عام ١٩٨٠، وأن إيران هي التي تستعمل الأسلحة الكيميائية ضد العراق، وأن إيران

هي التي حددت المنطقة البحرية المحظورة في الخليج عام ١٩٨٤، وهي التي أشعلت ناقلات النفط في الخليج.

من أكثر من عشرين سنة وكثيرون يلحون على فرح ديبا الامبراطورة السابقة وآخر إمبراطورة على نشر مذكراتها. وبعد هذا الإصرار الطويل على الرفض استطاع الناشر الفرنسي برنار فيكو بمثابرته وإصراره أيضا ان يقنع أرملة شاه إيران على كتابة سيرتها الذاتية التي نشرت حديثا وتلقفتها المكتبات في فرنسا وألمانيا وانجلترا واسبانيا والولايات المتحدة وصدرت تحت عنوان فرح بهلوي.. حياتي ويضم الكتاب قصة حياة غير عادية منذ الأيام الأولي للقاء فرح ديبا وشاه إيران حتى وفاة الشاه في منفاه ومرورا بالأوقات العائلية السعيدة وانقلاب النظام في إيران وقيام الجمهورية الإسلامية.. إنه كتاب مليء بالأحداث التاريخية والمواقف الإنسانية.

وقد روت أرملة الشاه الراحل الشاهبانو فرح ديبا في مذكراتها مأساة زوجها وأسرته مع الأمريكيين، وكيف تنكروا له، بل وساعدوا على سقوطه، وجعل أيامه الأخيرة أكثر مرارة !!



فرح ديبا الإمبراطورة قبل أن يتبخر الحلم !!

وباستثناء الرئيس الراحل أنور السادات، الذي وجد لديها الكثير من الإشادة والإطراء، تناولت إزاء زعماء الدول الذين خانوا الشاه رغم استمرارهم في التظاهر بالولاء له حتى النهاية وبالطبع كان الرئيس الأمريكي في مقدمة هؤلاء .

وفي كتابها تشعر فرح ديبا بالألم إزاء الكثير من الملوك والرؤساء ورؤساء الحكومات الذين توددوا ونافقوا واستغلوا محاباة الشاه لهم قبل التخلي عنه في وقت حاجته.

ويلحظ القارئ المرارة في الفصول التي خصصتها فرح ديبا لهجرة الشاه النهائية إلى الولايات المتحدة. وما كتبته ديبا إلى خطأ اعتقاد من يظنون أن قوة عظمى على استعداد للتضحية بمصالحها من أجل الصداقة. فقد ظل الشاه صديقا وحليفا للولايات المتحدة منذ منتصف الخمسينيات على الأقل. وفي واقع الأمر، فإن واحدة من أهم نقاط الهجوم على حكمه من جانب أعدائه السياسيين الكثيرين أن نظامه أصبح جزءا من شبكة أميركية عالمية للهيمنة على العالم .

و بالطبع ديبا كانت محقة في هذا، ففي عام ١٩٧٩ لم يكن لدى الولايات المتحدة حليف وصديق مقرب مثل الشاه. وفي نفس الوقت تمكن الشاه بمرور الزمن من تأسيس علاقات صداقة متينة مع الكثير من الأميركيين المنفذين.

فقد ساعد على تمويل حملات انتخابية لرؤساء أميركيين وأعضاء في الكونغرس وحكام ولايات على مدى ما يزيد على ثلاثة عقود. كما تمكن من رشوة صحافيين أميركيين أغدق عليهم هدايا ثمينة مثل الكافيار والسجاد الفارسي والساعات الذهبية وعطلات الترف والرفاهية، كما احتفى بمن يطلق عليهم "الشخصيات التلفزيونية" خلال زياراتهم لطهران.



وقد حصل الشاه على شهادات دكتوراه فخرية من ٢٢ جامعة أميركية، بما في ذلك أكثرها شهرة في العالم. وضمت قائمة " الأصدقاء الشخصيين " له العديد من رجال الأعمال والمصرفيين وحتى نجوم السينما الأميركيين.

وظل الشاه يعتقد أنه حظي بكل ما حظي به من اهتمام وتشريف من أجل شخصه، ربما لأنه كان يعتقد أنه مفكر عظيم أو مصدر للمعرفة.

ولم يدرك أنه اشترى كل ذلك بالمال تماما كما يشتريه أي شخص آخر. إلا أن الشاه لم يجد وقت الضيق أيا من أصدقائه الاميركيين بجانبه.

كان الإمبراطور السابق، الذي أجبر على مغادرة الوطن إلى المنفى واستضافه السادات في القاهرة، يعاني من السرطان، وفي حاجة إلى علاج طبي غير متوفر في القاهرة. وقد رفضت فرنسا وبريطانيا السماح بمنحه تأشيرة دخول. وكان عليه اللجوء إلى الولايات المتحدة.

غير إن ادارة كارتر كانت مترددة في البداية في إصدار تأشيرة دخول للشاه. خشية من احتمال وفاته وتحميلها مسؤولية ذلك، وفي النهاية وافق كارتر على إصدار تأشيرة لمدة ثلاثة أشهر على أساس " إنساني ".



ولكن وفقًا لرواية فرح ديبا التفصيلية عما حدث، فقد جرى كل شيء لإشعار الشاه بأنه شخصية غير مرغوب فيها في الولايات المتحدة. فقد طلب منه الذهاب فورا إلى مستشفى نيويورك وعدم مغادرة حجرته إلا لأغراض طبية داخل المستشفى. ولم يتصل

به أي من أصدقائه الاميركيين، ولم يبعث أحد بباقة زهور. وكان العاملون في المستشفى عدوانيين. فبعد مشاهدة التلفزيون، الذي كان يعرض آنذاك صور الأسرى الأميركيين في طهران، اعتبروا الشاه طاغية تسبب في متاعب لنفسه وللولايات المتحدة.

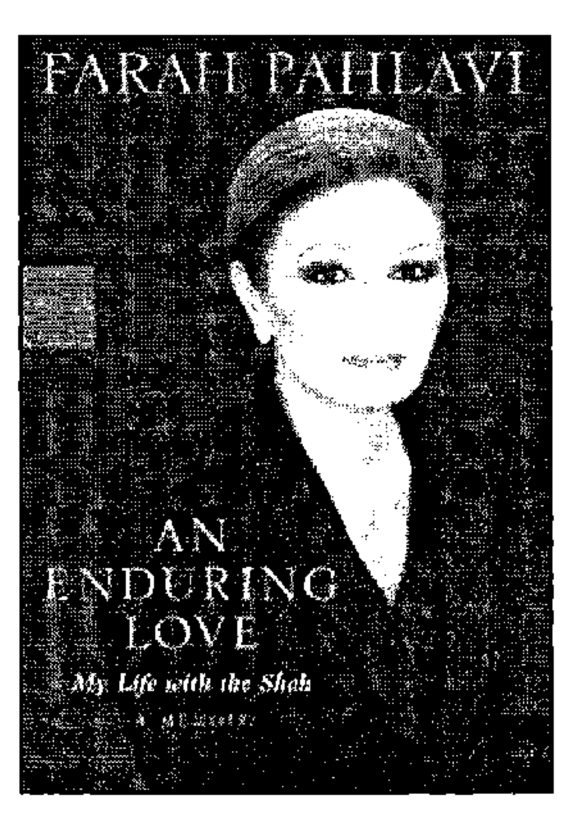
غير أن الأسوأ لم يحدث بعد، فقد وافقت إدارة كارتر التي كانت تجري مفاوضات سرية مع النظام الخميني في إيران، على تحويلٍ الشاه إلى سجين افتراضي مقابل الإفراج عن الأسرى الأميركيين في طهران. فأبلِغَ الشاه وزوجته فرح بأن عليهما مغادرة نيويورك لجهة غير معلومة. ثم نقلا إلى قاعدة جوية في سان أنطونيو بولاية تكساس، حيث ألقي الشاه في غرفة صغيرة بلا نوافذ، بينما وضعت فرح في غرفة لها باب لا يمكن فتحه من الداخل. وأبلغا أن عليهما مغادرة الولايات المتحدة بعد إيجاد دولة أخرى مستعدة لاستقبالهما. رواية فرح عن أحداث تجربة الترحال الطويلة من مصر إلى المغرب، ثم إلى الولايات المتحدة والمكسيك، ثم إلى بنما وإلى مصر مرة أخرى، مؤثرة للغاية لأنها لم تسمح لمرارتها بالظهور على السطح. إن المعاناة بكرامة هي دائما من علامات الروح العظيمة، وكانت فرح تملك تلك الروح.

غير أن المجال الذي لم تكن فيه مخلصة تماما هي روايتها عن السياسة الإيرانية في عهد الشاه. فقد حاولت أن تنسب كل الأمور الجيدة للشاه ولنفسها، بينما حملت رجال السياسة والبيروقراطيين وغيرهم مسؤولية الأشياء غير الحميدة. وادّعت أن الشاه لم يعرف باستخدام التعذيب في السجون الإيرانية ضد السجناء السياسيين، وهو أمر غير صحيح. ففي نظام مركزي مثل النظام الإيراني في عهد الشاه، يستحيل عدم إبلاغه بمثل هذه الموضوعات الحساسة.

حقيقة الأمر أن التعذيب توقف عام ١٩٧٦، عندما أمر الشاه بوضع حد له لظروف لا يمكن شرحها هنا. كما أن فرح لم ترد أن تعترف بأن الشاه، خلال العقد الأخير من حكمه، أبعد نفسه عن شعبه، مستسلما للوهم القائل إنه يمكن أن يلعب دورا عالميا. ونادرا ما كان يتجول داخل إيران في سنواته الأخيرة. وكان الإيرانيون يرونه خلال

زياراته الرسمية للدول الخارجية واجتماعاته بالزعماء العالميين. وتحولت طهران في تلك الأيام إلى مركز للسياسة الدولية. ونادرا ما كان يوم يمر دون أن يصل زعيم عالمي في زيارة للبلاد. وكان من ضمن هؤلاء رؤساء الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي والصين وفرنسا وألمانيا، ورؤساء وزارات اليابان والهند وبريطانيا. وكان المشاهير أيضا يزورون طهران زرافات ووحدانا. وكان الكتاب المشهورون، ونجوم السينما والموسيقيون والفنانون ورجال الأعمال يحرصون على الزيارة مرة في السنة على الاقل.

كان هؤلاء يزورون الشاه ويمدحونه، كما كانوا، بوعي أو بلا وعي، يدفعونه نحو تضخم الذات. والنتيجة كانت أن الشاه صار يشعر أن مشاكل إيران، البائسة والصغيرة، أصغر من أن تشغل انتباهه السامي. وقد أجرى خلال العشر السنوات الأخيرة من حكمه عددا كبيرا من المقابلات مع الصحافيين الأجانب ووسائل الإعلام الأجنبية ولكنه أجرى مقابلتين فقط مع صحافيين إيرانيين. وقال في واحدة من تلك المقابلتين: «شكرا لله أنه ليست لدينا أية مشاكل في بلادنا. وهكذا نستطيع أن نساعد الأمم الأخرى على حل مشاكلها».



مذكرات فراح ديبا " حياتي مع الشاه " التي فضحت فيها الانتهازية الأمريكية !!

وعن فترة المنفى التي دامت ١٤ شهرا تذكر فرح ديبا بكل امتنان الأيام التي أمضتها في مصر بعد دعوة السادات لاستضافة الشاه وأسرته في مصر وتقول:

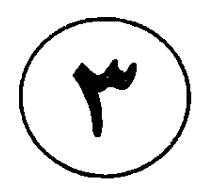
عشنا ١٤ شهرا في تنقلات مستمرة وسط آلام عديدة وإهانات بالغة.. وفي محاولة لتخفيف عذاب هذه الفترة العصيبة وجدنا الرئيس السادات والسيدة قرينته في انتظارنا عند سلم الطائرة وذلك بعد عودتنا من المغرب ثم بنما.. البساط الأحمر ممتد أمامنا وأيضا حرس الشرف على الجانبين.. تأثر الشاه جدا وملأت الدموع عينيه.. وكما سبق أن فعل السادات من ١٤ شهرا تقدم واحتضن الشاه بكل حرارة.. وكان الشاه ضعيفا جدا.. قام الرئيس المصري بإعداد قصر القبه لإقامتنا حيث الحديقة الواسعة المحيطة به تعزلنا عن ضجيج المدينة.. وأجريت للشاه كل الرسميات قبل أن يصحبه السادات إلى مستشفى المعادي للقوات المسلحة وهناك تم تخصيص جناح للشاه.. سمحت الظروف الصحية لإجراء العملية الجراحية باستئصال الطحال كما سبق أن نصح بذلك البروفيسير فلاندرين خلال إقامتنا في بهاماس ومن يومها وهذه العملية تؤجل.. وسمحت الظروف أيضا ليحضر أبناؤنا من الخارج.. ولأول مرة منذ فترة طويلة يتجمع شمل الأسرة من جديد دون خوف أن يتم طردنا في اليوم التالي.. ومضت خمسة أيام قبل التدخل الجراحي وخمسة أيام طويلة عشتها في توتر كبير العملية الجراحية نجحت تكنيكيا ولكن يوم ١٦ يوليو ١٩٨٠ تأزم الموقف بسرعة وازداد خطورة.. الصمت المطبق يسود جناح الشاه والحزن يخيم على المكان.. وأذكر خاصة المشهد المؤثر لابنتنا الكبري فرح ناز وكانت جاثية عند الركن الأيمن للسرير ممسكة بيد والدها وتنهال عليه بالتقبيل وعند الركن الأيسر استمرت مراقبتنا لحالة الضغط وعملية نقل الدم.. وعند الصباح كان الشاه قد فارق الحياة.. ومن تحت وسادة الشاه المسجي سحبت كيسا صغيرا به قليل من تراب أرض إيران كنت قد حملته معي ونحن في طريقنا إلى المنفَى ظلت فرح ناز عند طرف سرير والدها وابننا رضا يجثو تحت قدميه..

وأنا من الطرف الآخر بجانب الأطباء.. أخذ الشاه نفسين قصيرين وبعد زفير طويل جمدت حركته.. وكانت النهاية.

وهكذا آل حال شاه إيران، فقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وضاقت عليه نفسه، وظن أن لا ملجأ له إلا أمريكا فخذلته ورفضت استقباله مع أنها هي التي صنعته. وعندما تشفع لأولاده أن يتابعوا دراستهم سمحت لهم بدون رفقة الوالدين. وعندما شكا من المرض قالوا له بعد وساطات وتوسلات إنها إقامة للعلاج فقط فإذا قضيت خرجت ولم تعقب. وبعد العلاج دفع بعربة من البوابة الخلفية للمستشفى فخرج من حيث تخرج النفايات وتدخل البضائع. وعندما أصبح في (باناما) عند ديكتاتور صغير قطعوا عنه التليفون وبدأوا يخططون لتسليمه للحكومة الإيرانية الجديدة. وعندما أوى في النهاية إلى طاغية مثله بكى سوء الحال وانقلاب الزمن وتنكر الأصدقاء ونفض أمريكا يدها منه إلى درجة أن أفردت له ملفاً بعنوان (الخازوق) وأن يخاطبه مسئول أمريكي بقوله: يا صاحب الجلالة يظهر أنك مختل عقليًّا. وأن يبتلع أحد سماسرته سبعين مليون دولار بضربة واحدة فيعض الشاه على أسنانه محنقاً إنها سبعون مليوناً فهل ضاعت في أنابيب المجاري ؟!.

وفي النهاية كاد أن يموت الشاه غيظاً فحبس نفسه في حجرة عندما علم أن رجل أعماله (بهبهانيان) اختفى مثل الملح في الماء بمئات الملايين من الدولارات وهو لا يستطيع أن يقاضيه أو يرفع عليه دعوى لأنها كانت صفقات سرية.

■■■



صدام حسين
ما أشبه اليوم بالبارحة!!



كان الرئيس العراقي الراحل الذي لطالما خدم الأمريكيين، لكي يجعلوا منه شرطيا للخليج، ليحل محل الشاه المخلوع، أول من غدرت بهم أمريكا وأذلتهم من القادة ولن يكون بالطبع آخرهم !!

فقد دفعت واشنطن صداما لحرب غير مبررة مع جارته إيران، وأعطته السفيرة الأمريكية ابريل جلاسبي الضوء الأخضر لغزو الكويت، ثم شنت أمريكا حربها الأخير على العراق بدعاوى باطلة لاستنزاف ثرواته وتفكيكه وإذلال صدام ومحاكمته وإعدامه.

وهكذا تنكر الأمريكيون لصدام بعد أن أيدوا انقلابه على السلطة في العراق، ودعموا نظامه، بل وزودوه بأسلحة كيماوية محرمة دوليا، ولا يخفى على أحد أن السياسة الأمريكية، وهذا معروف للجميع، هي التي صنعت ودعمت نظام صدام الدكتاتوري، حيث سكتت عن أعماله الإرهابية وحروبه العدوانية قبل أن تنقلب عليه وتقرر إهدار حكمه ودمه وشعبه وثرواته في إطار استراتيجية جديدة رسمتها بالتعاون مع حليفتها إسرائيل لم يكن له فيها أي دور، بل بدا كمعوق لها، يتعين إزالته !!

وقد استخدم الأمريكيون صداما بمنتهى الدهاء والمكر، فصدام الذى كان الذراع الأمريكية لتحجيم الثورة الإسلامية فى إيران، وصدام الذى استأذن السفيرة الأمريكية قبل غزو الكويت ففرحت وأعطته الضوء الأخضر، وصدام الذى

أدخل الجيش الأمريكى للمنطقة لأول مرة فى التاريخ ليطردوا جنوده من الكويت، وصدام الذى هدد كل جيرانة فدفعهم للاستنجاد بأمريكا ، والنتيجة تحول الشرق الأوسط ساحة لعربدة الأمريكيين، وصدق المسئول الإسرائيلى الذى قال: " إن نجاح إسرائيل لا يعتمد على ذكائها وإنما على غباء أعدائها " !!



اللقطة الشهيرة لمقابلة صدام مع رامسفيلد الذي وصل بغداد لبحث سبل تقديم الدعم لصدام في حربه مع إيران !!

صناعة الطغاة أمر ليس بتلك الصعوبة خاصة في العصر الحديث وبعيد الحرب الكونية الثانية، وبدء الصراع من أجل النفوذ الدولي بين القطبين الكبيرين الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفييتي القديم أثناء الحرب الباردة، حيث بداية نشاط وكالة المخابرات الأمريكية في صناعة الطغاة في العالم الثالث، وكان نصيب البلدان الخارجة لتوها من الهيمنة الاستعمارية البريطانية والفرنسية نصيب الأسد من ذلك المسعى، وكان صدام حسين أحد أولئك الطغاة.

وقد عرفت شعوب العالم الثالث ملازمين ونواب ضباط وعرفاء وجنودا، وحتى مدنيين وضعوا رتبا عالية على أكتافهم ليصبحوا جنرالات يسومون شعوبهم العذاب، بعضهم تم التخلص منه كالعريفين بوكاسا وموبوتو، وآخرون لازالوا يحكمون باسم الشعوب، ولا يزالون ينتهكون حرمتها باسم حماية الثورة، بينما دارت الدنيا على أحد الجنرالات المزيفين وهو صدام حسين ووضعته الأم الحاضنة أمريكا في قفص الاتهام جزاء تعديه وتجاوزه على الخطوط الحمراء التي رسمتها له طوال هيمنتها وسيطرتها عليه هو الذي جاءت به للسلطة في ٨ فبراير ١٩٦٣.

فيوم كانت المعارضة العراقية تصرخ بأعلى أصواتها محاولة تنبيه العالم بالصوت والصورة، والوثائق والشهود للناجين من مجازر حلبجة والأنفال، وسُم الثاليوم والخارجين من أقبية النظام السرية والشهادات الحية للخارجين على النظام، وضحايا الانتفاضة الشعبية في عام ١٩٩١ من القرن الماضي، والعدد الكبير من شهداء البرزانيين، وآل الحكيم، كل ذلك لم ينفع مع العالم الحر الذي كان يتعامل مع صدام حسين بكل جدية وبدون تحسس من نظامه. حتى أمريكا نفسها الأم الرءوم والحاضنة الأولى لنظامه لم تقلب له ظهر المِجَنِّ إلا بعد أن قررت تصفيته بأن تركته يعتدى على إحدى حليفاتها، ويهدد بصورة جدية منابع النفط التي تسيطر عليها باحتلاله للكويت عام ١٩٩٠.

ففي حربه مع إيران كان هناك فريق كامل من وكالة المخابرات الأمريكية "سي . آي . إيه" متواجدا في بغداد باعتراف وفيق السامرائي أحد أعمدة سلطة القمع الصدامية خاصة في حربه ضد إيران. حيث كانت طائرات الأواكس المتواجدة في المنطقة تزود العراق بكل تحركات القوات الإيرانية، وكانت المشارك الأساسي في عملية إعادة الفاو للعراق وطرد القوات الإيرانية منها.

وشاركت كل دول العالم الغربي بتزويد النظام الدكتاتوري بكل وسائل القمع والقتل والإبادة البشرية من دون استثناء ومن ضمنهم من كان ينادي بإحلال السلم في العالم من المنظومة الاشتراكية السابقة.

وشمرت أمريكا عن سواعدها لدعم النظام الدكتاتوري في حربه الكارثية ضد إيران. وكانت قوات أمريكية تبدأ العمل منذ منتصف الليل حتى طلوع الفجر لنقل المعدات والأسلحة على اختلاف أنواعها لصب الزيت على النار المشتعلة بين الدولتين.

ثم وبقدرة قادر عرفت أمريكا التي كانت تختلق عدم درايتها بما يفعله الدكتاتور في داخل وطن مستباح اسمه العراق، أن هناك دكتاتورا اسمه صدام حسين. يومها بدأت عملية هدم تدريجي لسلطة الطاغية ولكن بأمر وإصرار أمريكي بحت.

ولم تسمح أمريكا أن يجري تحول للسلطة في العراق بالطريق الديمقراطي السلمي، وذلك بتطبيق أحد قرارات مجلس الأمن الدولي لتحرير الكويت وهو القرار ٦٨٨ الذي كان يدعو لإجراء الانتخابات في العراق وإشاعة الديمقراطية، بل أصرت على السير قدما في الإعداد للحرب على النظام بالنهج العسكري دون اللجوء لمجلس الأمن الدولي واستصدار قرار ملحق بالقرار ٦٨٨، وضمن البند السابع الذي يلزم السلطة العراقية بقوة المجتمع الدولي إجراء انتخابات ديمقراطية، وتحت رعاية المجتمع الدولي والأمم المتحدة.

ولأن أحدا من صنائعها قد انتهت صلاحيته وتطلبت الظروف الدولية وما جرى على الساحة الدولية من تغييرات بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، وغياب العالم الاشتراكي الند القديم للولايات المتحدة الأمريكية، فقد أسرعت الخطى نحو الحرب على النظام الدكتاتوري الحليف القديم بغية إزالة العصابة الحاكمة وتغييرها حسب الطلب الأمريكي بوجوه جديدة، لكن الرياح لم تَجْرِ بما اشتهته أمريكا فكانت عملية التغيير وبالا عليها .

وإذا عدنا للتاريخ القريب وتفحصناه نرى أن ليس شخص صدام الهزيل هو من صنع تلك الهالة الكبيرة حوله خلال ثلاثة عقود ونصف، بل إن هناك خطة كانت معدة لظهور هذا الدكتاتور منذ بداية ستينيات القرن (العشرين).

لذلك فلا غرابة حينما قال الرئيس الأوغندي السابق عيدي أمين - عندما شاهد أول مرة صدام حسين - إنه شاهده في إسرائيل في ستينيات القرن الماضي عندما كان — أي عيدي أمين — يتدرب على الطيران الحربي فيها. أو ما كتبه خالد جمال عبد الناصر نجل الرئيس الراحل عبد الناصر عن اختفاء صدام حسين أثناء فترة لجوئه لمصر.

كذلك القصة التي رواها العماد مصطفى طلاس في كتابه نقلا عن الرئيس عبد الناصر الذي أخبرهم في إحدى لقاءاتهم معه بأن الرئيس السوفييتي إليكسي كوسيجين قد أخبره بأن هناك جاسوسا وسط الزعماء العرب، ويريدون التأكد منه تماما.

وفي مؤتمر القمة العربية الذي عقد في القاهرة في سبعينيات القرن الماضي إثر القتال الذي جرى بين الأردن والمنظمات الفلسطينية، والذي توفي عبد الناصر إثره مباشرة أخبرهم بان السوفييت قد أكدوا له بأن توقعهم صحيح والشخص الذي شخصوه من الأول هو صدام حسين.

وروى ضابط مصري برتبة عالية لراديو صوت أمريكا في ثالث يوم لاحتلال جيش صدام للكويت حادثة تثير الغرابة تماما عن صدام حسين والتي حدثت أيام كان لاجئا في مصر، حيث قال: إنه كان ضابطا برتبة صغيرة -آنذاك - وحضرت إحدى بنات الليل للمخفر الذي كان يعمل به تشكو طالبا عربيا أطفأ سيكارته في مناطق حساسة من جسدها بعد قضاء وقت ممتع معها.

لذلك أرسلتها للطبيب الشرعي كما قال الضابط الذي زودها بتقرير عن مناطق الإصابات والحروق في جسدها، ولذلك سارعت لإلقاء القبض عليه بعد مداهمة شقته، ولم يمر وقت طويل على اعتقاله واستجوابه حتى وصلني تلفون من مكتب وزير الداخلية آنذاك يأمرني بإطلاق سراحه فورا.

وهذا التصرف جعلني أتميز غيضا وأتحين الفرص للقبض عليه مرة ثانية، حيث وضعته تحت المراقبة ووصلتني معلومات عن زيارات متعددة للشقة التي يسكنها الطالب المذكور، فاستصدرت أمرا من النائب العام وداهمت الشقة وبعد تفتيشها عثرت على ضالتي وهي رسالة تطلب الاهتمام بتقوية التنظيم، مع وجود مسدس.

وعند وضعه في الحجز اتصل بي بعد اقل من ساعة مكتب الرئيس عبد الناصر يأمرني بإطلاق سراحه حالا. وبذلك عرفت مكامن القوة التي تقف وراءه، وتركت ملاحقته.

لذا فلا غرابة أن يعود البعث مرة أخرى للسلطة ويسحب البساط في يوم ٣٠ يوليو١٩٦٨ من تحت أرجل شركائه من محور النايف – الداوود، ويصفي بعد ذلك من خلال مكتب حنين كل من يشك بولائه لمحور صدام – البكر، ويصعد صدام حسين بقدرة قادر من حارس يقف برشاشه خلف البكر يوم ٣٠ يوليو ١٩٦٨ إلى نائب للبكر متخطيا كل القيادات البعثية، رغم معرفتهم جميعا أن من كان يدل رجال الأمن على بيوت (الرفاق) يوم انقلاب شريكهم عليهم في ١٨ سبتمبر ١٩٦٣ العقيد عبد السلام عارف هو نفسه صدام حسين.



صدام وأسرته في أيام السلطة والسطوة قبل أن تبيعه أمريكا !!

وقد جاهدت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية لكي يكون صدام حسين رجلها القوى في المنطقة بعد رحيل شاه إيران، وسقوط إيران بيد رجال الدين الإيرانيين المتشددين بقيادة المرحوم الخميني، لذلك وقفت بكل قوتها هي وحلفاؤها في المنطقة من دول الخليج لدعم ومساعدة نظام صدام حسين ماديا ومعنويا وإعلاميا لكي لا يخسر المعركة ضد إيران. ولعب تأميم النفط في العراق وزيادة أسعاره في منتصف سبعينيات القرن الماضي دورا مهما في تسليح الآلة العسكرية البعثية، وتوفير غطاء ديماجوجي من خلال رشاوى النفط للعديد من الكتاب والصحفيين والسياسيين لكي يرسموا هالة خرافية كبيرة حول شخصية صدام حسين، واستمر هذا الخداع للعالم حتى بعد سقوط القناع العروبي الذي تلبس به صدام حسين ونظامه القمعي إثر هزيمته المخزية من الكويت بعد تحريرها على يد قوات التحالف الدولي، وتعرض الشعب العراقي لحصار مزودج، حصار النظام الفاشي القمعي من الداخل، والحصار الاقتصادي من الخارج. وظلت نفس الأبواق السابقة تزمر وتطبل لـ (القائد الضرورة) وتسبح وتمجد بحمده ليل نهار من على فضائيات العروبة دون أن يرف لها جفن، وهي ترى آلاف الأطفال يموتون يوميا بسبب نقص الدواء والغذاء بينما القائد مستمر في بناء قصوره الفارهة ومنتجعاته العديدة.



وعندما حانت ساعة القصاص الأمريكي من النظام الذي تخطى كل الخطوط الحمر بدون تروٍّ أو تفكير بالراعي الأمريكي تعالى صراخ غلاة العروبيين، متنادين باسم خالد بن الوليد وصلاح الدين الأيوبي، رمز النصر العربي والإسلامي بغية إنقاذ (بطلهم) الأسطورة، خاصة بعد هروبه مع كبار جنرالاته (الشجعان) أمام أول دبابتين أمريكيتين دخلتا ساحة الفردوس يوم ٩ أبريل٢٠٠٣، ليخسر (بطل العروبة) امتحانه العسير أمام أمه الرءوم التي أرضعته حليب الوطنية أمريكا.

وهكذا كان فقد صنعت إدارة المخابرات المركزية الأمريكية البعث وصدام حسين بيديها، وعندما حانت ساعة التخلص منه داست عليه بقوة وعنف بقدميها.

نعم .. أمريكا هي التي صنعت نظام صدام نهاية الستينيات من القرن الماضي، (العشرين) وهي التي أمدته بكل أسباب الحياة والاستمرار والصمود بوجه العراقيين على مدى (٣٥) عاما عجافًا، إذ ظلت، حتى السنوات الأخيرة من عمره، تقدم له الكشوفات السرية، بأسماء وعناوين قادة التحركات المناهضة له والتواريخ المحتملة لتنفيذها، والتي كانت تستهدف إسقاطه، وتغيير الأوضاع في العراق، بجهد عراقي وطني بحت .

كما أنها تعتبر السبب الحقيقي والمباشر، الذي يقف وراء المقابر الجماعية التي امتلأت بها أرض العراق من أقصاه إلى أدناه، بعدما حنث الرئيس الأميركي جورج بوش الأب بوعده للعراقيين بمساعدتهم على التخلص من النظام، وأنه سيمنعه من قمعهم إذا ما ثاروا ضده، وذلك بعيد حرب تحرير الكويت، وأنه سوف لن يتخلى عنهم أبدا مهما كانت الظروف، ولما تبين له، ولعدد من الأنظمة العربية، أن الرياح تجري بما لا تشتهي السفن، أوعز للنظام بأن يستخدم كل ما يملك من أنواع الأسلحة الثقيلة والخفيفة لقمع المنتفضين في (١٥) محافظة من أصل (١٨) هي مجموع المحافظات العراقية، عندما أعطى الضوء الأخضر لقادة فيالق قوات الحرس الجمهوري، التي حافظت عليها أميركا من انفراط عقدها أو التدمير في حرب

الكويت، لساعة العسرة، لدرجة أن وزير الدفاع العراقي آنئذ (سلطان هاشم) فتح فاه مندهشا، وهو يصغى إلى قرار القائد الأميركي شوارزكوف بالسماح له باستخدام الطائرات السمتية ضد الانتفاضة، والتي كان محرما على النظام استخدامها .

كما أن أميركا هي المسؤولة المباشرة عن جريمة النظام في حلبجة، والتي راح ضحيتها (٥) آلاف شهيد وأكثر من (١٥٠) ألف جريح ومشوه ومعاق ومشرد ترك أرضه التي ماتت فيها الحياة بسبب استخدام النظام للسلاح الكيمياوي، تلك الجريمة التي ظلت تتستر عليها واشنطن سنين طويلة قبل أن تأذن للإعلام بالحديث عنها وتحميل النظام مسؤوليتها .

وهي المسؤولة، قبل ذلك، عن ضحايا حروب النظام ضد الشعب الكردي والانتكاسة التي أصيبت بها حركة التحرر الكردية عام (١٩٧٥) والتي راح ضحيتها الآلاف من الضحايا والمشردين .

وهي المسؤولة عن حرب النظام ضد الجارة الشرقية إيران طوال (٨) سنوات، كان ضحيتها مليون قتيل ومعوق، بالإضافة إلى المرض المزمن الذي أصيبت به ميزانية العراق، والذي لا زالت تئن تحت وطئته حتى الآن والى ما شاء الله .

أميركا هي التي صنعت النظام البائد، وهي التي ساندته بكل السبل، وهي التي أسقطته في نهاية المطاف، مثله في ذلك، مثل كل تجاربها مع الأنظمة الاستبدادية والشمولية التي تصنعها وتدعمها، ومن ثم تغيرها متى ما انتهت مصالحها معها، أو تكشفت عوراتها بشكل لا يسمح التغطية على جرائمها .

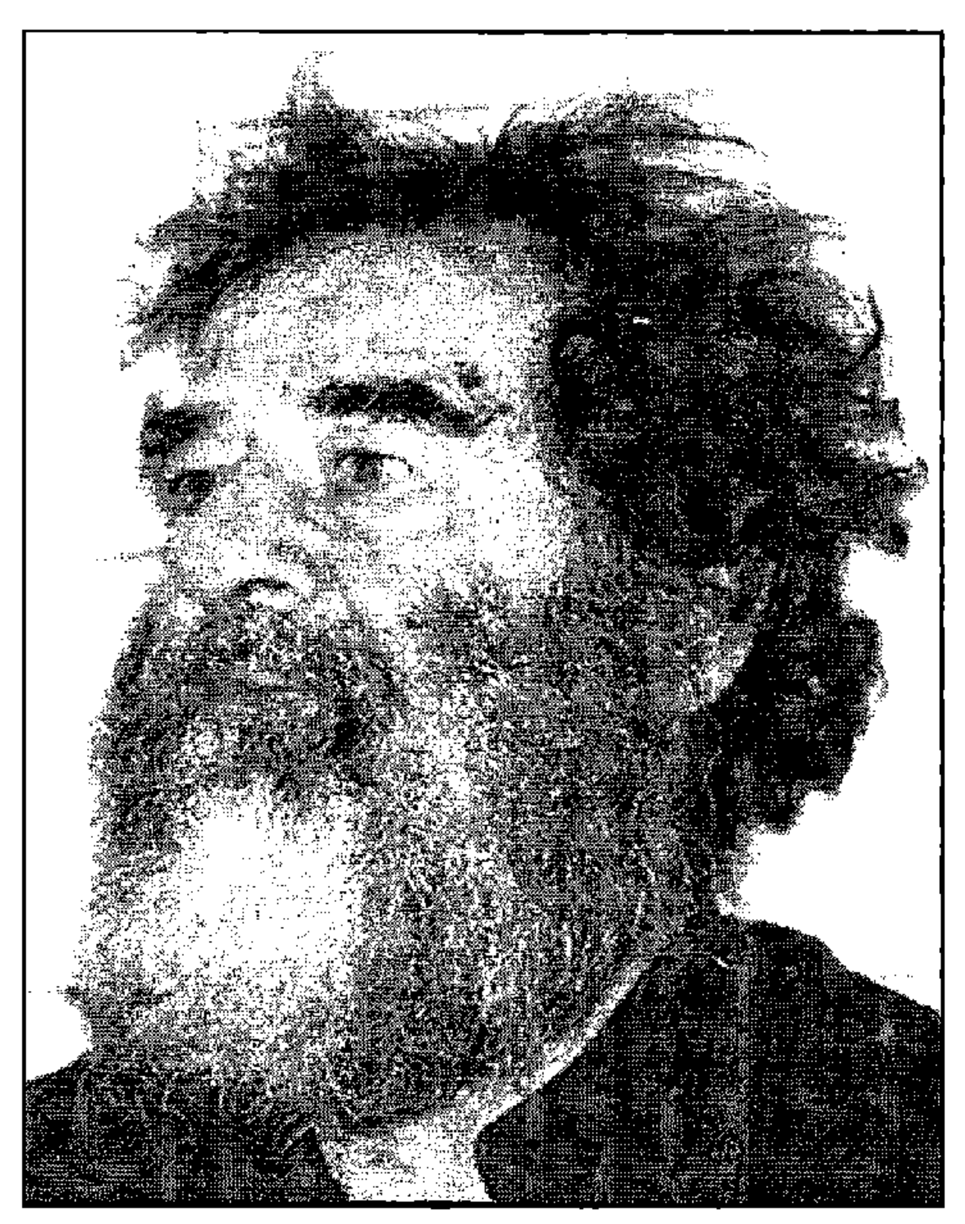
وقد كشف مسؤول كبير في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية الـ "سي.آي.إيه" في كتاب صدر مؤخرًا، أن المخابرات الأمريكية هي التي لعبت الدور الرئيسي في تنظيم وإعداد عملية الانقلاب التي قام بها حزب البعث ضد عبد الكريم قاسم العام ١٩٦٣ وأدت إلى الإطاحة به وبنظامه وإلى بدء حكم صدام حسين وحزب البعث.

هذا السر المهم كشفه "جيمس كريتشفيلد" المسؤول عن نشاطات وعمليات المخابرات الأمريكية في الشرق الأوسط في مطلع الستينيات، فقد أكد كريتشفيلد أن المخابرات الأمريكية هي التي لعبت الدور الأساسي والحاسم في عملية الإطاحة بعبد الكريم قاسم ونظامه وتأمين نجاح انقلاب حزب البعث عليه في ٨ فبراير ١٩٦٣م، لأن قاسم كان ينوي احتلال الكويت وضمها إلى العراق وهو سعى إلى تحقيق ذلك العام ١٩٦١، ولأن قاسم اتخذ أيضًا قرارات وإجراءات سياسية ونفطية متعارضة مع المصالح والتوجهات الأمريكية، وأوضح كريتشفيلد أن عناصر المخابرات الأمريكية تولت آنذاك تنظيم وتنسيق نشاطات وتحركات الانقلابيين البعثيين انطلاقًا من مقر السفارة الأمريكية في بغداد، وتأمين نجاح هذا الانقلاب الذي شكل في رأيه "ضربة معلم" للمخابرات الأمريكية و" انتصارًا كبيرًا لها " .

هذا الانقلاب المدعوم أمريكيًّا والذي أتى بعبد السلام عارف رئيسًا للعراق خلفًا لقاسم، مهد الطريق، بعد خمس سنوات من الاضطرابات والتقلبات في العراق، لانقلاب ١٧ يوليو ١٩٦٨ ولحكم أحمد حسن البكر ونائبه صدام حسين الذي أصبح في يوليو ١٩٧٩ حاكم العراق المطلق . وقام في أغسطس ١٩٩٠م بتحقيق ما عجز عنه عبد الكريم قاسم أي احتلال الكويت !!

نقطة هامة أخرى، أود الإشارة إليها هنا وهي ؛ أن واشنطن سعت طوال عمر النظام البائد إلى الإمساك بخيوط التغيير المحتمل في بغداد من تلابيبها، للحيلولة دون نجاح أية عملية تغيير محتملة بعيدا عن السيطرة ولو عن بعد ، بدءا من قصة الانقلاب العسكري المعروفة نهايات العام (١٩٦٩) عندما أوعزت ألـ (سي آي إيه) إلى جهاز المخابرات السرية الإيراني (السافاك) تسليم قائمة الانقلابيين الذين حاولوا تغيير النظام بمساعدته، إلى شخص الطاغية صدام حسين الذي كان آنئذ مسؤول ما يسمى بـ (مكتب العلاقات العامة) في القصر الجمهوري (جهاز المخابرات فيما بعد) ، وانتهاءً بالكشوفات التي

قدمتها إلى الطاغية في العام (١٩٩٦) عندما حاول عدد من كبار ضباط الجيش العراقي، وبالتعاون مع عدد من قادة حركة المعارضة العراقية آنئذ، الاعتماد على واشنطن لتنفيذ خطة انقلاب عسكري تغير الأوضاع، وتضع حدا لاحتمالات الحرب والغزو والاحتلال، تلك الخطة التي تبين أنها كانت (استدراجية) وقع المخططون في شباكها، بعد أن تبين للأميركان بان ليس من المصلحة تنفيذ مثل هذه الخطة في الوقت الحاضر.



إن كل المعلومات الخاصة والموثقة تدل على أن واشنطن أجهضت كل المحاولات الوطنية التي رمت إلى تغيير النظام في العراق، ليس فقط رغبة في استمرار النظام لحين حلول موعد قطافه حسب الرؤية والمصلحة الأميركية، في محاولة منها لتدجين الشعب العراقي وقواه الوطنية، من جانب، والاستمرار في ابتزاز دول المنطقة، من جانب آخر، فحسب، وإنما كذلك للاحتفاظ بأوراق اللعبة بيدها بالكامل، لتتصرف كيفما تشاء، ومتى تشاء، وبالطريقة التي تشاؤها هي دون غيرها ،وحتى أنها اختارت طريقة الغزو العسكري والاحتلال، بعد أن أوحت للمغفلين، وكأنها الطريقة الوحيدة الممكنة لإنقاذ الشعب العراقي من مخالب النظام الديكتاتوري، ولا سبيل لإسقاطه سوى الاحتلال .

لم يكن أحد يرغب بالغزو العسكري والاحتلال كطريقة لتغيير النظام في بغداد، سوى النظام البائد والأميركان، كل لحاجة في نفس يعقوب أراد قضاءها .

لقد نجحت واشنطن في إسقاط صنيعتها النظام الشمولي، إلا أنها فشلت في تحقيق كل الأمور المعلنة الأخرى، وبقيت الديمقراطية موالا يغنيه الأميركيون على الأطلال في العراق، من دون أن يرى العراقيون أي نور حتى الآن في نهاية النفق .

ومن إسقاط عميلها صدام، واختطاف بلد بحجم العراق، اختلقت واشنطون " إدارة بوش " الأكاذيب والافتراءات، لتخفي نيتها المبيتة لارتكاب جريمتها الكبرى.

انظر إلى السيناتور جاي روكفيلر رئيس لجنة الاستخبارات التابعة لمجلس الشيوخ الأمريكي يقول في التقرير الصادر بتاريخ ٥ يونيو عام ٢٠٠٤ ما يلي: "لطالما عمدت إدارة بوش مراراً وتكراراً، في غمرة انهماكها بالتهيئة لشن حرب وإعدادها لملف مقتضياتها وحشدها لذرائع نشوبها، إلى تقديم المعلومات الاستخباراتية باعتبارها حقيقة مسلمة لا مرية فيها، في حين أن هذه المعلومات كانت في واقع الأمر متضاربة ولا يمكن إقامة أدلة داحضة قطعية تعضدها، بل ولم تكن حتى موجودة . واستدرج الشعب الأمريكي جراء ذلك إلى فخ توهم أن التهديد الذي يمثله العراق أعظم بكثير جداً مما هو عليه في الحقيقة".

بعبارة أخرى، خدعت إدارة بوش الرأي العام الأمريكي وأغرقته بطوفان من الأكاذيب أغشت بصره وحجبت عنه الحقيقة. إلا أن كتاباً جديداً صدر مؤخراً لفنسنت بغليوسي، وهو أحد ألمع وأنجح مدعي النيابة العامة في أمريكا، تجاوز حتى هذه القنطرة في كشف خفايا هذا التزييف والتضليل وذهب أبعد من ذلك في تبيان الحقائق ورسم الخطوط العريضة لإقامة دعوى ورفع قضية ترمي إلى ملاحقة بوش قضائيًّا وتجريمه وإدانته بالقتل.

وخلال سيرته العملية في أروقة النيابة العامة في مقاطعة لوس أنجلوس، اضطلع بغليوسي بالعديد من المهام القضائية ونهض بدور المدعي العام في ١٠٥ من أصل ١٠٦ محاكمات جنائية تجري بحضور هيئات محلفين، بما فيها ٢١ قضية صدرت بحقها أحكام إدانة بالقتل دون أن يخسر واحدة منها.

وكانت قضية شارلز مانسون أشهر المحاكمات التي تألق فيها وأبدع وأمدته بالأساس الذي أقام عليه كتابه بعنوان "هلتر سكلتر"، وهو أكثر الكتب التي تتناول جرائم حقيقية مبيعاً في تاريخ النشر كله. وكان الكتاب قد نشر في عام ١٩٧٤ وتوالت طبعاته بصورة مدهشة وفاز بجائزة ادجار عام ١٩٧٥. وشقت ثلاثة من كتب بغليوسي طريقها إلى ذروة المجد لتحتل المرتبة الأولى في لائحة الكتب الأكثر مبيعاً في الولايات المتحدة.

وفي أحدث كتبه بعنوان " مقاضاة جورج دبليو بوش بجريمة القتل" يقول بغليوسي إنه حشد كل العناصر والمقومات وأرسى كل الدعائم لرفع دعوى قضائية ضد بوش قوية الأسانيد مدعمة بالحجج تدينه وتثبت دون أدنى شك أنه اقتاد أمريكا بالخداع، وزج بها في أتون حرب، بعدما ضللها بالإتيان بذرائع واهية لفقت الحجج في ثناياها واستخدم الكذب والتزوير لتبرير شن حرب على العراق وغزوه دون أي مسوغ قانوني. لذا فإن بوش مذنب ضالع في ارتكاب جرائم قتل ومسؤول عن هلاك ما يزيد على أربعة آلاف جندي أمريكي في تلك الحرب. ويرى بغليوسي أن القضية التي يعد ملفها ويستكمل جمع أدلتها سوف تؤدي بالتأكيد إلى مقاضاة بوش وتوجيه الاتهام له بارتكاب جريمة قتل من الدرجة الأولى وإدانته في المحاكم الأمريكية. وقال بغليوسي: "لقد أقمت الصرح القانوني ضده، وجئت بالأدلة الدامغة التي تجرمه وتسلحت بكل الدعائم القانونية لمقاضاته".

ويتعلق أحد الأمور المحورية في القضية التي يعدها بغليوسي بأول خطاب ألقاه بوش وتناول فيه العراق وصدام حسين وكان ذلك يوم ٧ أكتوبر من عام ٢٠٠٢ في

مدينة سينسناتي في ولاية أوهايو. وتحدث بوش آنذاك إلى جمهرة حاشدة من الأمريكيين ليقول لمواطنيه إن الزعيم العراقي يشكل خطراً داهماً يحدق بالولايات المتحدة. وحاول بوش إقناع هذا التجمهر القومي بأن هذا الخطر الماحق يتمثل إما بمهاجمة صدام حسين لأمريكا بأسلحة الدمار الشامل، أو بإعطاء هذه الأسلحة للجماعات الإرهابية، كي تلحق الأذى بالولايات المتحدة. وقال بوش إن الهجوم يمكن أن يشن في أي يوم ليوحي بذلك بأن الخطر وشيك، وأن التهديد بالغ الخطورة.

غير أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية "سي. آي. إيه" كانت قد بعثت لبوش في الأول من أكتوبر من عام ٢٠٠٢، أي قبل ستة أيام من إلقائه خطابه، بتقريرها الشامل عن تقديرات أجهزة الاستخبارات القومية الأمريكية لعام ٢٠٠٢، وهو تقرير تعده أجهزة الاستخبارات الأمريكية ووكالاتها الست عشرة. وينص التقرير بوضوح في صفحته الثامنة على أن صدام حسين لم يكن يشكل خطراً داهماً يهدد الأمن القومي الأمريكي، وأنه لن يتحول إلى تهديد حقيقي إلا إذا تخوف من قيام أمريكا بمهاجمته، وأحس بأن هجومها وشيك.

وبتعبير آخر، نحن نعرف يقيناً أن بوش كان يكذب حين تكلم يوم ٧ أكتوبر من عام ٢٠٠٢ وأخبر الرأي العام الأمريكي أن الخطر وشيك، لأن هذا التهويل والتزييف كان يتناقض تماماً مع ما أبلغته به وكالة " سي. آي. إيه " من معلومات.

وأمرت إدارة بوش " سي. آي. إيه " في وقت لاحق، بأن تصدر نسخة ملخصة رفعت عنها السرية توجز فيها تقرير الأول من أكتوبر السري وتطلقها كي يطلع عليها الرأي العام. وحذفت في تلك الخلاصة المنشورة المعروفة باسم الورقة البيضاء كل كلمة تتعلق بالاستنتاج الذي خلصت إليه وأجمعت عليه وكالات الاستخبارات القومية الأمريكية، والذي يرى أن صدام حسين لم يكن ليشكل خطراً داهماً وتهديداً وشيكاً.

و التقى جورج بوش وتوني بلير في يوم ٣١ يناير من عام ٢٠٠٣، أي قبل شهرين من شن الحرب التي كان هدفها ظاهريًّا نزع أسلحة التدمير الشامل من العراق، في

البيت الأبيض، بستة من كبار مساعديهم، بمن فيهم مستشارة جورج بوش للأمن القومي كوندوليزا رايس وكبير مستشاري بلير للشؤون الخارجية ديفيد مانينغ.

وأصدر مانينغ بعد الاجتماع مذكرة من خمس صفحات ممهورة بعبارة "سري للغاية"، وأورد في المذكرة ما قد قيل في الاجتماع. وكتب مانينغ يقول إن بوش وبلير أعربا عن شكوكهما بأن يتم بالفعل العثور على أية أسلحة دمار شامل في العراق.

وفي الحقيقة استبد القلق ببوش الذي كان يتوجس من احتمال الإخفاق في العثور على أسلحة دمار شامل في العراق، وكان هذا التخوف يؤرقه إلى درجة أنه ناقش ثلاثة سبل لاستفزاز صدام حسين وإقحامه في مواجهة عسكرية. واشتملت هذه الخيارات المقترحة، حسبما قال بوش، على تحليق طائرة "يو تو" وطائرات تجسس واستطلاع أخرى فوق العراق، على أن تصطبغ بشكل زائف بألوان هيئة الأمم المتحدة.

وأضاف بوش أنه إذا قامت القوات الجوية العراقية بمهاجمة هذه الطائرات فسوف يشكل هذا خرقاً لقرارات الأمم المتحدة، وبذا يوفر الذريعة والمبرر لشن الحرب على العراق.

وهكذا نرى بجلاء أنه بينما كان جورج بوش يخبر الشعب الأمريكي أن العراق كان يمثل خطراً داهماً يحدق بالولايات المتحدة، ووكالة " سي . آي . إيه " تقول له إن صدام حسين لن يشكل خطراً إلا في حال استفزازه، كان الرئيس الأمريكي يخطط لغزو العراق سراًّ وذلك باستفزاز العراق واستدراجه إلى مواجهة توفر ذريعة للهجوم.

ويعلق بغليوسي على هذا بقوله: لو كان لدى بوش أدنى شك في أن صدام حسين يمتلك حقاً أسلحة دمار شامل يمكن أن تهدد أمريكا لما كانت فكرة استفزازه خطرت على باله على الإطلاق، إذ ليس في الدنيا كلها رجل واحد عاقل يمكن أن يقدم على

استفزاز رجل يخشى في الأساس من أنه يوشك أن يقتله ولديه القدرة لإنفاذ رغبته. لذا فإن بوش كان يدرك يقيناً أن العراق لم يكن يمتلك أسلحة دمار شامل.

ورغم أن العديد من كتب بغليوسي، كما أشرنا آنفاً ذاعت شهرته حتى طبقت الآفاق فصار من أكثر الكتب مبيعاً في العالم، فإنه وللمرة الأولى خلال سيرته العملية التي تمتد لثلاثين سنة يتجاهله التلفزيون الوطني الأمريكي وتشيح الصحافة المطبوعة بوجهها عنه، وتكاد تغضي تماماً عن أحدث كتبه، وسط الأصوات المتعالية المنادية بالحرب وسياسة التضليل الإعلامي التي قادتها إدارة بوش باستخدام أبواق إعلامية متهودة !!

وقد وصفت شبكة "سي . إن . إن" التجاوب الأمريكي مع الكتاب بأنه "تعتيم إعلامي حقيقي"، إذ رفض المذيع الشهير في تلفزيون الولايات المتحدة لاري كينغ استضافة بغليوسي، وكذلك صنعت وكالة "إن بي سي" وشبكة "كوميدي سنترال" في برنامجها "ذا ديلي شو". بل رفض راديو "إيه بي سي" حتى الإعلان عن كتاب بغليوسي. ويروي بغليوسي كيف أن أحداً ممن يعتد به في تيار الإعلام الرئيسي في الولايات المتحدة لم يقبل أن يجري مراجعة أو تقييماً للكتاب، وأشاح الجميع بوجههم عنه وتجاهلوه تماماً.

ويكشف جورج تينيت المدير السابق لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية "سي. آي . إيه" في مذكراته "في قلب العاصفة" كيف حاولت إدارة الرئيس جورج بوش – قبل إعلان الحرب على العراق، من خلال وكالته وعملائها اغتيال الرئيس الراحل صدام حسين، خلال تواجد فرق "سي . آي. إيه"

وفي هذا الجزء الخاص بصدام من مذكرات تينيت يروي لنا أن "الشهواني قائد قوات صدام الخاصة كان عميلاً للأمريكيين وكيف التقاه تينيت بنفسه سرًّا في خيام سي . آي . إيه بصحراء العراق قبل الغزو بشهور قليلة !!

يقول تينيت : " عملنا في الداخل العراقي فيما وراء المناطق الشمالية، ووصلنا حتى حدود الدول المجاورة من الجنوب والشرق. وقدمنا للعسكريين الأمريكيين رؤية واضحة وشفافة للاتصالات التي كنا نجريها، وتقديم القوات الأمريكية الخاصة لعملاء لنا داخل العراق الذين نأمل في قيامهم بتأمين عملية انشقاق عدد من وحدات وضباط الجيش العراقي وتمردهم على نظام صدام متى بدأت الحرب البرية، بحيث تنضم إلينا هذه الوحدات المنشقة، أو تستسلم لنا " !!.

ويواصل تينيت : " في النهاية كانت المحصلة هي انشقاق عدد قليل من الوحدات العراقية ولكن الأهم أن الكثير من وحدات جيش صدام التي لم تنشق لم تحارب أيضاً.

وقد كانت قوات جيش صدام النظامية تدرك أنها ستواجه الموت إذا ما تقدمت لمواجهة القوات الأمريكية، وتدرك أيضاً أن قوات الحرس الجمهوري العراقي خلفهم وما لم يساندوا نظام صدام فسوف يقتلونهم. وقد اختارت الاستسلام على القتال بعد أن نقل عملاؤنا رسالة تشجعهم على الاستسلام بدلاً من دفعنا لقتلهم"..

ويمضي تينيت فيقول : " لكن ظهرت مشكلة لم تكن في الحسبان، وهي ماذا سنفعل مع العدد الهائل من الجنود الذين استسلموا، والمفروض أن نعاملهم وفق اتفاقات جنيف. وسبب المشكلة هي أن عدد الأسري الهائل في حاجة لقوات أمريكية تفوق الأعداد الموجودة على أرض العراق. ونتيجة لهذا فقد تم إبلاغ جنود وضباط الجيش العراقي من خلال منشورات ألقتها الطائرات العسكرية الأمريكية، أن ألقوا بأسلحتكم وعودوا لبيوتكم. وقد تلقى العراقيون الرسالة بترحاب بالغ، ونفذوا ما دعتهم إليه عن طيب خاطر بمجرد أن سمعوا الطلقات الأولى لقواتنا " !!

و يتابع تينيت : " فيما بعد وبالتحديد في ٢٣ مايو ٢٠٠٣ ،عندما أراد الحاكم العسكري الأمريكي للعراق جيري بريمر مواجهة الانتقادات الموجهة إليه وتبرير موقفه بتسريح الجيش العراقي رد بقوله إن الجيش حل نفسه بنفسه. وقد يكون

بريمر قد أصاب كبد الحقيقة، ولكن الجيش العراقي قد حل نفسه ولكن مضطراً وبدرجة كبيرة بسبب الخوف من عواقب القتال، مع الأخذ في الاعتبار أن عدداً كبيراً من الجنود قد احتفظوا معهم بأسلحتهم، وهم يعودون لبيوتهم، ولم يكن لديهم ما يساعدهم على إعالة عوائلهم " !!

و يقول : " كنت قد قمت بعدة زيارات لضباط الـ " سي. آي. إيه "، قبل الحرب، في قواعدهم السرية المنتشرة في الصحراء شرق وجنوب العراق، بعيدة عن الأعين، وكان دورها هو تزويد الخلايا التي شكلناها من رجال القبائل العراقيين بالسلاح لدخول المدن والقيام بعمليات استطلاع وتخريب، قبل نقل حصيلة ما جمعوه من معلومات إلى قواتنا العسكرية " .

و يوضح تينيت : " كان هؤلاء الضباط الذين التقيت بهم يقيمون منذ شهور في خيام للإعداد للحرب، وكانوا يترقبون بدء الحرب بفارغ الصبر . وبعض هؤلاء الضباط كانوا من صغار السن، ومعظمهم كان في أول مهمة خارجية له، وبالنسبة لعدد كبير منهم كنت أول مدير مخابرات أمريكية يخدمون معه لحداثة عهدهم بالخدمة في " سي. آي. إيه "

و يقول : " وقد حاولت في هذه الزيارة أن أرفع من معنوياتهم، وأن أجعلهم يدركون كم أنا فخور بهم، وواثق من قدرتهم على مواجهة التحدي. ولكنني في قرارة نفسي، كنت أعرف أن عدداً كبيراً منهم قد يلقي حتفه بمجرد اندلاع الحرب !!

و يتذكر تينيت : " في إحدي زياراتي للعراق سرا قبل الحرب التقيت في خيامنا الصحراوية مع مجموعة من العسكريين العراقيين في مقدمتهم اللواء محمد عبد الله الشهواني قائد قوات صدام الخاصة أثناء الحرب العراقية الإيرانية. وكان قد تم تقديم الشهواني لـ " سي. آي. إيه " في عام ١٩٩١، ليصبح بسرعة أكبر شركائنا العراقيين في سعينا للإطاحة بصدام " !!

و يوضح تينيت : " كان الشهواني، الذي بدأ سجله العسكري طياراً حربياً، نموذجاً للرجل الذي يعتمد عليه الأمريكيون لا سيما وأنه يتمتع بالحظوة والمكانة لدي العراقيين، بعد ما أظهره من قدرات ومهارات في الحرب ضد إيران وقيادته لطائرة مقاتلة وشنه هجوماً ناجحاً ضد موقع إيراني محصن أعلي تبة. سرعان ما علا نجمه بعده، وتقلد على إثره الأوسمة، ثم أصبح قائداً لقوات صدام الخاصة ".

ومن هنا – والكلام لتينيت – " فقد استطاع هذا الرجل إقامة شبكة لنا من العملاء داخل العراق. ولكن في منتصف التسعينيات تم اكتشاف أمره، على أيدي أجهزة الأمن العراقية، فأمر صدام بإعدام أبنائه الثلاثة، واستمر الشهواني رغم ذلك في التعاون معنا لإقامة شبكة لنا من العملاء داخل العراق، من مهامها أن تكون همزة اتصال بيننا وبين الزعامات الدينية والقبلية في الشهور المؤدية للحرب في ربيع عام ٢٠٠٣فشلنا في إقناع زعماء جماعة دينية في الشمال بالتعاون فقبلوا بـ ٢ مليون دولار

وكانوا يأتوننا بـ ٤ ضباط جيش على الأقل كل أسبوع لكي نتخذهم عملاء !!

و"من خلال الشهواني استطعنا تجنيد العشرات من ضباط وجنود الجيش العراقي، وتمكنا من خلاله باستخدام آخرين لتأمين وحماية الكباري والجسور المنتشرة على نهر الفرات، والمؤدية إلى بغداد، لتسهيل عملية دخول قواتنا البرية العاصمة وإسقاط النظام. كما استطعنا بمعاونة الشهواني تجنيد بعض الضباط والجنود للعمل على منع صدام من إحراق خطوط أنابيب بترول الجنوب " !!

ويقول تينيت : " مع اقتراب الحرب، انتقل كبير ضباطنا في بغداد " شارلي أس " – اسمه الحركي – إلى الدوحة، حيث بقي إلى جوار الجنرال تومي فرانكس، ليصبح أحد أهم أفراد الفريق العسكري الأمريكي " .

و"كانت مهمة رجلنا " شارلي أس " مع فرانكس هي نقل المعلومات إليه من

خلايانا داخل العراق، ومساعدته على تحديد الأهداف، التي يتعين ضربها، والأهداف التي لا ينبغي أن يشملها القصف. على سبيل المثال، تم توجيه أمر لمقاتلة أمريكية بقصف موقع يتحصن داخله أحد أبرز قيادات مخابرات صدام، واستمات تشارلي لإلغاء الأمر، واستبداله بأمر للقوات بالعمل على اعتقاله حياً، لأنه حسبما أكد رجلنا سيكون كنز معلومات وقد كان "

و " في الشمال، حققت فرق " سي. أي. إيه " خلال الفترة ما بعد شهر يوليو عام ٢٠٠٢، نجاحاً هائلاً في تجنيد أعداد كبيرة من العملاء العراقيين الراغبين في العمل معنا على الإطاحة بنظام صدام، رغم عدم وجود غطاء عسكري لحماية فرقنا هذه، وانتشار عيون صدام من قوات أمنه في المنطقة "

و يواصل تينيت : " كانت هناك جماعة تجمعها روابط مذهبية وكانت مهمة لنا على وجه الخصوص. وقد استطعنا إقناع زعمائها بأننا جادون في سعينا للإطاحة بصدام، ولكن لم ينجح مسعانا في كسب ولاء هذه الجماعة إلا بعد أن سلمنا هؤلاء الزعماء مليوني دولار، فراحوا على الفور يتعاونون معنا، ويمدوننا بالمعلومات. وكانت هذه الجماعة تأتي إلى ضباطي بأربعة ضباط عراقيين على الأقل كل اسبوع يعلنون انضمامهم إلينا "

و يقول تينيت : " استطاع رجالنا ومن خلال اختراقهم لشبكة اتصالات صدام، تتبع حركته داخل بغداد في فترة ما قبل الغزو بقليل "

و " قبل يومين فقط من المهلة التي قدمتها إدارة بوش للنظام العراقي للانصياع لمطالبها وشروطها وإلا تكون الحرب، علمنا من أحد مصادرنا أن هناك اجتماعا لصدام وجميع أفراد أسرته بما فيهم ولداه عدي وقصي، وأن الاجتماع سيكون في مزرعة زوجة صدام في " الدرة ". وأن هدف الاجتماع هو تحديد ما يمكن عمله حال وقوع الغزو الأمريكي. وقد مرر مصدرنا هذه المعلومات إلى فرق الـ " سي. آي. إيه " في شمال العراق، وعلي الفور طيروا الخبر إلى الجنرال تومي فرانكس وفريق عمله العسكري.

وفي صباح اليوم التالي ١٩ مارس، أبلغنا المصدر أن صداما سيذهب مرة أخري إلى مزرعة زوجته بـ " الدرة " مساء ذاك اليوم، وتأكد رجالنا من هذه المعلومة من مصادر أخرى بمنطقة المزرعة نفسها " .

و هنا يقول تينيت : " فما كان مني، وبمجرد علمي بأنباء اجتماع صدام المرتقب إلا أن اصطحبت نائبي ماجلوغلين معي، إلى مكتب وزير الدفاع دونالد رامسفيلد، الذي كنت قد طلبت لقاءه على الفور، وفي جراج السيارات لمحت أحد كبار مساعدي المسئول عن العمليات في الوكالة، فقلت له : تعال معنا. وبمجرد إطلاعي رامسفيلد على ما لدي، رد بأن عملاً عاجلاً لابد من اتخاذه ما دمنا نعلم مكان صدام يقينا"

و يقول تينيت : " طلبت الرئيس بوش، وطلبت الترتيب لكي نلتقيه في البيت الأبيض على الفور، لوجود أمر هام لا يمكن تأجيله " !!

و" قبل الدخول فاجأنا رامسفيلد، الذي كان يصطحب معه رئيس أركانه ديك مايرز، بأن " كوندوليزا رايس وأندي كارد موجودان فوق مع الرئيس ".. وما هي لحظات حتى طلب بوش من باول أن ينضم إلينا " .

و يوضح تينيت : " وقد أبلغت أنا ونائبي ماجلوغلين الرئيس بما لدينا، وقلنا إن هذه المعلومات موثوق فيها، ولكننا لا نستطيع أن نقسم بأنها صحيحة بنسبة ١٠٠٪، ولا نستطيع أن نقسم أيضاً أنها ليست خدعة، ولكننا نعتقد أنها معلومات جيدة جداً، مع احتمال أن يغير صدام مكانه، حتى نضرب هدفاً خاطئاً فيستخدم هذا في حرب دعاياته.. والحقيقة أن توجيه ضربة لمكان صدام لم يكن بالقرار السهل" .

و" قلنا للرئيس إنه ليس من المحتمل أن نتمكن من الحصول على أية معلومات إضافية لمساعدته على اتخاذ القرار. ولكن بعد لحظات حصلنا بالفعل على المزيد. فقد تلقينا في الحال مكالمة حولت لي من مصدر لنا بالمنطقة يؤكد أن حرس صدام وقوات أمنه شوهدت تصل المنطقة تباعاً، وأن هناك شائعات بأن الرئيس العراقي سيصل فيما بين الساعة ٣ والساعة ٣,٣٠ فجراً بتوقيت بغداد "

ويمضي تينيت فيقول : " ما هي لحظات حتى جاءنا بلاغٌ آخر عبر خط تيليفوني آمن من رئيس فريق عملياتنا السرية بالعراق يوضح فيه بأن صدام سيجتمع وأسرته في " ملجأ " بالمزرعة موضحاً أنه خندق محصن تحت الأرض، لن تخترقه صواريخ طائراتنا من طراز " كروز ". وهذا معناه أننا سنكون في حاجة إلى قنابل ذكية "!!

ويعترف تينيت : " الحقيقة، لقد كنا على شفا لحظة فارقة.. لحظة اتخاذ القرار.. وبعد أن استجمع الرئيس نفسه، وقطع الغرفة جيئة وذهاباً.. أمر بتوجيه الضربة. وصدرت الأوامر لتومي فرانكس في الدوحة واستعد الطيارون، وجهزت مقاتلاتنا بي – ٢، واتخذت القنابل المضادة للأنفاق تحت الأرض أماكنها على قاذفات الطائرات، وتمني الجميع ألا يكون مع صدام في الفيلا بالمزرعة أطفال ونساء كثيرون، حتى لا نتعرض لمشكلات على الساحة الدولية "

ويقول : " بعد قصف مكان اجتماع صدام، أبلغنا مصدر لنا أنه قد تم انتشال جثة تشبه كثيراً صدام من مكان الهجوم. وقد منينا النفس بأن تكون هذه هي بداية الحرب التي ستكون بالتأكيد أقل تكلفة، في ضوء مقتل رأس النظام "

ويقول تينيت : " لكن لسوء الحظ لم يحدث ما تمنيناه. وعلمنا أنه كان هناك فعلاً اجتماع، ولكن في مبني مجاور للمبني الذي استهدفناه، ثم علمنا فيما بعد أن صداما وولديه لم يكونوا من بين الموجودين، وأن مصادرنا كانت تبلغنا بما تعتقده، وليس ما تراه بأم أعينها "!!

من الواضح أن الولايات المتحدة وجدت نفسها بعد الحرب العالمية الثانية قوة عظمَى بديلة لبريطانية التي أدركت هي الأخرى هذا التحول في ميزان القوى العالمية ولكي يكتمل لدى الولايات المتحدة عناصر القوة لا بد لها من تأمين مصادر الطاقة والتي تمكنها من الحفاظ على قوتها او الاستمرار في الاحتفاظ بهذه القوة.

ومن المعلوم أن الولايات المتحدة حليف قديم لبريطانيا ولا يمكن للولايات المتحدة أن تخسرحليفها التقليدي، فلا يزال التهديد السوفيتي يمثل خطر كبير

على مصالح الغرب ثم إن بريطانيا لا تزال تحتفظ بقوتها، وهذا يعني أن على الولايات المتحدة أن تتعامل بأساليب أكثر حكمة في السيطرة على مصادر الطاقة. منها المساهمة في عملية التغير والتي اجتاحت الشرق الأوسط، فمن الممكن أن تكون الولايات المتحدة قد ساهمت في وصول البعث إلى السلطة كما تشير إلى ذلك معظم المصادر، ومن الممكن أن يكون صدام حسين قدم إلى الحكم بدعم أمريكي. ربما تكون أمريكا قد استخدمت صداما كأداة للوصول إلى الأهداف الاستراتيجية دون علمه كما يرى ذلك الدكتور يوسف حمدان. أو أنه تصرف وفق سياسة خططت له من قبل الولايات المتحدة ومهما يكن من أمر فإن صدام حسين اختط سياسة مهدت لدور كبير للولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط. فمثلاً تاميم النفط عام ١٩٧٢ أقصى الشركات الغربية من العمل في العراق، فلم تجد الشركات الأمريكية بعد الاحتلال الأمريكي للعراق أي مشكلة في السيطرة على منابع النفط في هذه المنطقة الحيوية. كذلك حروبه مع إيران ساهمت في إحداث شرخ كبير في العالم العربي والإسلامي ثم جاءت حربه مع الكويت والتي أضعفت الصف العربي والذي لم يتمكن منذ ذلك التاريخ من إتخاذ أي موقف مهم إزاء قضايا أمتنا العربية.

إذاً هذه الأحداث لم تزعج بريطانيا رغم إدراك فرنسا للخطر الذي لعبته أمريكا حيث بدأت تعرض هذه التوجهات محذرة الدول الأوربية من المخطط الخطير الذي قد تتعرض له أوربا لو تمكنت أمريكا من السيطرة على منابع النفط. وسواء أدركت بريطانيا هذا المخطط أو أنه يجري بعلم منها أو أنها ساهمت في وضع لبناته الأولى فهي لم تعارض التوجه الأمريكي بل إنها وقفت بكل قوة إلى جانب الولايات المتحدة.

الولايات المتحدة عرضت أهدافها وبشكل واضح من خلال ما قاله الرئيس بوش أن المثلث الكوري الشمالي الإيراني العراقي يمثل محور الشر، وبدأت اللعبة من أفغانستان ثم العراق والأنظار تتجه نحو إيران ثم كوريا، إذاً الخيوط واضحة فنفط الخليج لا بد من أن يكون أهله أمناء عليه وقد تحقق ذلك من خلال القضاء

على الأنظمة الثورية التقليدية والتي لا تنسجم والتوجهات الجديدة للسياسة الامريكية.

وعليه فإزالة صدام ما هو إلا سيناريو أمريكي تخفي وراءها مآرب كثيرة وكبيرة. فالسيطرة على العراق يمكنها مراقبة تحركات إيران العسكرية والسياسية وتقطع عليها الطريق لإقامة أي تحالف مع العالمين العربي أو الإسلامي.. كذلك مراقبة النشاط النوويا الذي يجري في المنطقة ولا شك أن تواجد الولايات المتحدة في هذه المنطقة يمكنها من احتواء تلك النشاطات.

يصف البعض السياسة بأنها لعبة قذرة يمارسها السياسيون وغالباً يكون لهذه اللعبة ضحايا وطبيعي فإن اللعبة السياسية في العراق يكون ضحيتها الشعب.

عملية التدخل في الشؤون الداخلية للدول هي لعبة سياسية اعتمدتها الدول العظمى في تنفيذ مأربها وتحقيق ما ينسجم وإستراتيجيتها، وليس خفي على أحد ما قامت به هذه الدول خلال الحرب الباردة من تدخل واضح في شؤون العالم بصورة عامة ودول العالم الثالث بشكل خاص حتى إن التغيرات التي حدثت وتحدث خلال تلك المرحلة كان يخطط لها في دهاليز عواصم الدول العظمى.

والعراق دولة من دول العالم لثالث، مثل حلقة مهمة في هذا الصراع، فتاريخه المعاصر يوضح تلك الصورة حيث شهدت البلاد سلسلة من الانقلابات العسكرية وبصورة منظمة أخفت وراءها بشكل او بأخر دور للقوى الغربية في زعزعة استقرار هذا البلد.

إن ما حدث في العراق لم يعط الانطباع الواضح للدور الذي لعبته القوى الغربية في عمليات التغير تلك التي تصاحب كل انقلاب عسكري يحدث في العراق والتي بدأت مع اعتلاء الملك غازي بن فيصل لعرش العراق، وانتهى مع الاجتياح الأمريكي للعراق في ٩ أبريل ٢٠٠٣.

ومع ظهور الوثائق التي أزاحت الكثير من الغبار الذي أخفى تحته حقيقة السنين المرة التي عاشها ويعيشها العراق بدأت الصورة تتضح شيئا فشيئا. فعملية التغير التي رافقت انقلاب فبراير ١٩٦٣ هي الحلقة المكملة لهذه الاستراتيجية والتي بدأت خطوطها مع انقلاب بكر صدقي إلا إن أغراضها لم تتضح ... ولو تخطينا فترة الحكم الملكي ومرحلة الزعيم قاسم والتي اهتم بها كثير من الباحثين وتناولنا المرحلة التي رافقت انقلاب ٨ فبرابر ١٩٦٣ لنغطي جانبا مهما من اللعبة.

فما حصل في هذا اليوم هو عملية إقصاء للحزب الشيوعي العراقي أما الهدف الثاني فهو التهديد الذي مثله عبد الكريم قاسم على المصالح الغربية في العراق. في حوار جمعني مع الدكتور مكرم الطلباني القيادي البارز في الحزب الشيوعي العراقي ((سابقاً)) أوضح فيه أن الإدارة الأمريكية كانت قلقة جداً من تصرفات قاسم وأن صالح مهدي عماش اخبره بأن سفير الولايات المتحدة في لبنان طلب من أحد الضباط العراقيين نقل هذا القلق إلى قاسم مع تحذيره بأن الولايات المتحدة لا يمكن لها أن تقف مكتوفة الأيدي إزاء التهديد الذي يضر بمصالح الولايات المتحدة الحيوية، وقد أكد القائم بالأعمال الأمريكي روي ملسورن في رسالة تبودلت بينه وبين السفير البريطاني في ٢٨ يناير ١٩٦٣ حيث أوضح ذلك بقوله (إن وزارة الخارجية الأمريكية تفكر أنه حان الوقت لترد تهجم قاسم المستمر.. وإن الوقت قد حان للبدء ببناء رصيد من معارضي قاسم، من أجل اليوم الذي يحدث فيه تغير في الحكومة في بغداد. أما طريقة التغيير فقد تحدث عنها الملك الراحل الحسين بن طلال عاهل الأردن خلال لقائه بالصحفي المصري المعروف محمد حسنين هيكل حيث أفصح بأن هناك لقاءات واجتماعات بين ممثلين عن حزب البعث والمخابرات الأمريكية، الهدف منها تنسيق جهود الطرفين للإطاحة بقاسم.

ويبدو أن ثمرة هذا التنسيق هو انقلاب ٨ فبراير والذي أبدت الولايات المتحدة الأمريكية ترحيبها لعملية التغير التي رافقت هذا الانقلاب الأسود فقد تحدث مدير قسم الشرق الأوسط في الخارجية الأمريكية يوم ٨فبرابر ١٩٦٣ عن هذا الانقلاب

وأبدى ارتياح الولايات المتحدة لوصول حزب البعث إلى السلطة في العراق حيث قال : " إن انقلاب ٨ فبراير لو نتج نظاماً ذا طبيعة بعثية فإن سياساته سوف تكون مقبولة على الأرجح من قبل الولايات المتحدة " . إلا أن البعث لم يستمر طويلاً في الحكم، حيث تمكن المشير عبد السلام عارف من إزاحة البعث وبدأت الصورة اكثر غموضا من ذي قبل. فإذا كانت الولايات المتحدة هي التي أوصلت البعث إلى السلطة فما هو غرضها من إقصائه وبهذه السرعة؟

ولنترك الحديث عن الأيدلوجيات والمبادئ التي تحملها الأحزاب أو القيادات السياسية ونتحدث عن المخططات الاستراتيجية للدول الغربية في العراق والتي كانت تهدف إلى تأمين مصالحها الحيوية والسيطرة على هذه المنطقة.

قلنا إن قاسما وبعض رفاقه قُتلوا عقب انقلاب ٨فبراير، وأن قسما من الضباط الأحرار قد سبقوا قاسم حين قُتلوا تباعا وبأحداث حملة طابع مأساوي في بعض جوانبها كأحداث الموصل وما رافقها. ولم يتوقف مسلسل القتل بين قيادات الضباط الأحرار بمقتل الزعيم قاسم وتوالت أحداث القتل والتصفيات التي رافقت انقلاب ٨ فبراير حيث تم إعدام واغتيال قادة بارزين اتهموا أنهم شيوعيون أو تهم تخفي وراءها أغراضا سياسية وبعد إزاحت البعث بدأت موجة من التصفيات بين بعض الزمر البعثية (فقتل على صالح السعدي، فؤاد الركابي....) الخ ثم تحطمت طائرة المشير عارف وقُتل معه عدد من قادة الثورة ولم ينته هذا المسلسل الدموي حتى بعد وصول البعث إلى السلطة مرة أخرى عام ١٩٦٨ م.

قادة انقلاب يوليو ١٩٦٨ حملوا معهم هذه المرة وجوها جديدة ومبادئ جديدة غير تلك التي حملها الضباط الأحرار في الجمهورية الأولى أو الثانية.

ولنراجع جانبا من العلاقة بين البعث والولايات المتحدة. الولايات المتحدة تغاضت عن ما يتعرض له الشعب العراقي من قتل وتشريد إبان حكم البعث، الولايات المتحدة دعمت العراق في حربه ضد إيران من خلال تزويد القوات الجوية

العراقية بعدد من الطائرات السمتية. الولايات المتحدة لم تعلق عما تعرضت له أحد مدمراتها الحربية في الخليج من قبل القوة الجوية العراقية وهي قادرة على الرد، عدد كبير من المسؤولين الأمريكان كانوا يقومون بزيارات بين الآونة والأخرى إلى العراق رغم حملات الإعلام المتبادلة بين الجانبين فرامسفيلد قام بزيارات عديدة إلى العراق كذلك قام وفد من الكونجرس الأمريكي بزيارة للعراق ومنها ذاك الذي ضم السناتور روبرت دول والذي يقول عن هذه الزيارة ((أنها ودية وإيجابية))،هناك تبادل تجاري كبير بين الجانبين ويمكن الاطلاع على العقود التي كانت تبرم بين الجانبين، لم تعلق الولايات المتحدة عما حدث في أهوار جنوب العراق خلال الحرب العراقية الإيرانية، تغاضت الولايات المتحدة عما حدث للأكراد في حلبجة وفي معارك لأنفال، قام السلاح الجوي الأمريكي بتقديم دعم واضح للجيش العراقي خلال انتفاضة ١٩٩١ .

هناك العديد من الأسئلة التي تطرح نفسها. إذا كان العراق لا يمثل ذاك التهديد للمصالح الأمريكية، وأن قيادة العراق هي حليف يسير على النهج الأمريكي، فما الداعي إذاً لتغيير هذا النظام؟

من الواضح أن الولايات المتحدة أعلنت أنها ترغب في وضع قواتها بصفة دائمة في منطقة الشرق الأوسط .

لقد كان النظام العراقي مرشحاً للسقوط .. ولم يُعد يشك من كان يتتبّع أحداث العراق قبل السقوط في حقيقتين:

الحقيقة الأولى: أن النظام التكريتي أصبح هشاً ضعيفاً في معرض السقوط، ولم يُعد بإمكان النظام الأمني الحديدي الذي أسّسه حزب البعث في العراق أن يقاوم سخط الجمهور وثورة الغضب في الشارع العراقي كثيراً .. وهذه هي الحقيقة الأولى.

والحقيقة الثانية: أن المعارضة الإسلامية هي أقوى البدائل المرشحة للقيام مقام النظام الذي أرهقته الحروب والمغامرات والحماقات التي ارتكبها صدام مرة بعد أخرى.

وكانت هاتان الحقيقتان لا تخفيان على غرف الرصد الأمريكية ... وكانت النتيجة واضحة لدى الأمريكان، إن سارت الأمور على طبيعتها، فسوف يسقط نظام صدام لا محالة، وسوف يحل الإسلاميون محل صدام ونظامه في الحكم في العراق، والإسلاميون - كما هو معروف - حالة سياسية مستعصية على النفوذ الأمريكي.

كل هذه الحقائق كانت تستقطب الاهتمام الأمريكي. فكان لابد من تغيير سريع لمجرى الأحداث .. والآلية الوحيدة التي تغيّر مجرى الأحداث، ويحوّل السلطة في العراق من صدام إلى الأمريكان، هي أن يقوم الأمريكان أنفسهم بإسقاط صدام، لتتحول السلطة من قبضة صدام إلى قبضة الأمريكان، مباشرة، من دون العبور بالشارع العراقي، فينتهي كل شيء، ويصبح الأمريكان وعملاؤهم البدائل الشرعية لنظام صدام .. وهذه خطة دقيقة محكمة، إن سارت الأمور على ما يرومه الأمريكان في تحويل مجرى الأحداث من البديل الإسلامي إلى البديل الأمريكي.

وعلى هذا الأساس تمّ سقوط نظام صدام على يد الأمريكان مباشرة، ووضع الأمريكان أيديهم على كل شيء.

ففي التاسع من أبريل ٢٠٠٣ مع دخول القوات الأميركية بغداد سقط نظام صدام حسين الذي أكد حتى اليوم الأخير من حكمه أنه "يضحي بنفسه" من أجل الشعب العراقي ويريد الموت "شهيدا".

واستسلمت بغداد وفر صدام حسين من دون إطلاق رصاصة واحدة أو مقاومة مع أنه كان وعد العراقيين ب"الموت في هذا البلد والحفاظ على شرفنا الذي نستمده من شعبنا".

وأصبح صدام حسين يعيش مختبئا بينما سقطت تماثيله ومزقت صوره أو أحرقت. وبعد ثلاثة أشهر قتل نجلاه عدي وقصي اللذان كانا نسخة مكررة لطغيانه برصاص القوات الأميركية. أما بناته وزوجته فقد هربن إلى الخارج.

ووضع صدام حسين الذي نشرت صور اعتقاله المهين في جميع أنحاء العالم في سجن أميركي قرب مطار بغداد.

وفي المحكمة التي مثل أمامها في قضية الدجيل بدا صدام حسين وكأنه لم يفقد شيئا من طبيعته المتعالية. ولم يتردد خلال مثوله أمام قاضي التحقيق في التأكيد على أنه "رئيس جمهورية العراق والقائد الأعلى للقوات المسلحة".

وصدام حسين الذي ما زال يلقى تأييد عدد من "المتمردين" في العراق هو أول رئيس دولة عربي يحاكم لجرائم ارتكبها ضد شعبه. وكان يحاكم أيضا في قضية أخرى تتعلق "بإبادة جماعية" للأكراد خلال حملة الأنفال في ١٩٨٧ و١٩٨٨ في كردستان العراق.

ولد صدام في ٢٨ أبريل ١٩٣٧ في قرية العوجة قرب تكريت (١٥٠ كلم شمال بغداد) من عائلة سنية عربية. عاش طفولة صعبة بعد وفاة والده وهو لم يكمل التاسعة فتولى خاله تربيته وأرسله إلى بغداد للدراسة.

بدأ صدام حسين يتمتع ببعض الشهرة في شبابه إثر مشاركته في ١٩٥٩ في محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم أول رئيس لجمهورية العراق بعد سقوط النظام الملكي.

وأصيب خلال المحاولة في ساقه وفر إلى الخارج لكي يعود بعد أربعة أعوام قبل أن يُلقَى في السجن عام ١٩٦٤ إلا أنه تمكن من الفرار لمعاودة نشاطه السري لحساب حزب البعث.

وقد شارك في ١٩٦٨ في الانقلاب الذي حمل الحزب إلى السلطة الأمر الذي شكل بداية صعوده واعتباره بمثابة الرجل القوي في نظام الرئيس الأسبق أحمد حسن البكر.

وبعد توليه منصب الأمين العام المساعد في حزب البعث تم تعيينه عام ١٩٦٩ نائبا لرئيس مجلس قيادة الثورة ليواصل تدريجيا تعزيز نفوذه.

وأصبح صدام الرجل الأول في العراق في ١٦ يوليو ١٩٧٩ وهو يجمع مناصب رئيس الدولة والأمين العام للحزب ورئيس مجلس قيادة الثورة.

ولم يبد صدام تساهلا حيال أي محاولة للانشقاق فضاعف حركات التطهير باعثا بمعارضية إلى القبر أو المنفى كما استطاع فرض نظامه بواسطة البطش والوحشية. كما شجع الوشايات وعمل على إخضاع وسائل الاعلام بشكل كامل.

وقال دبلوماسيون إن صداما الذي خاض حربا دموية ضد إيران (١٩٨٠-١٩٨٨) وهُزم في حرب الخليج الأولى (١٩٩١) "تفنن في أساليب ضمان بقائه" وكان بارعا في تحويل كل هزيمة إلى انتصار وكل كارثة إلى عيد.

ومع كل مرة أمطرت فيها الولايات المتحدة بغداد بعدد كبير من الصواريخ والقنابل في كانون الأول/ديمسبر ١٩٩٨ وقبل ذلك في ١٩٩٦ و١٩٩٣ كان يعلن انتصاره.

كانت واشنطن ولندن تأملان في رؤيته مطرودا من السلطة عبر انتفاضة داخلية لكن صدام حسين عرف كيف يقمع بالدم والنار انتفاضتي الجنوب الشيعي والشمال الكردي بعد انتهاء حرب الخليج.

وجمع صدام بين الدهاء والميل للعنف في رحلة صعوده من بداياته المتواضعة إلى سدة الحكم حيث مارس سلطة مطلقة في العراق على مدى ثلاثة عقود.

ولكن طموحه المفرط الذي دفعه لغزو إيران والكويت وتحدى حلفائه الأمريكيين السابقين الذين اتهموه بتطوير أسلحة كيماوية ونووية أدى إلى تدمير اقتصاد العراق الغني بالنفط وسقوطه في نهاية الأمر.

وكان صدام قد تعهد بأن يموت وهو يقاتل كما فعل ابناه قبل أشهر ولكنه استسلم دون أن يطلق رصاصة واحدة. وذكر الجنود الأمريكيون أنه كان مشوشا حين وجدوه في حفرة مغطاة بسجادة قديمة قرب كوخ بسيط في بستان للبرتقال.وقال للجنود الذين عثروا عليه "أنا رئيس العراق وأريد التفاوض."

ويتألف الكوخ الذي كان يعيش فيه قرب الحفرة من غرفة واحدة بها سريران وبراد به علبة من عصير الليمون وعبوة مقانق وصندوق مفتوح من الشيكولاتة البلجيكية بينما تناثرت على أرض الغرفة أزواج من الأحذية الجديدة في صناديقها.

وقال جنرال أمريكي إنه وقع في أيدي آسريه "كالفأر" وصدم كثير من العرب الذي أعجبوا بتحديه للولايات المتحدة لاستسلامه بلا مقاومة.

ورأى العراقيون الذين عاشوا لسنوات ينظرون لتماثيله وصوره التي تنم عن كبرياء صورا مهينة لصدام في محبسه من بينها صورة له وطبيب يفحص فمه وقد وخط الشيب لحيته الطويلة التي لم تهذب طوال الأشهر التي قضاها مطارَدا.

وحكم على صدام في نوفمبر بالإعدام شنقا لارتكابه جرائم ضد الإنسانية مثل القتل والتعذيب وغيرها ضد ١٤٨ شيعيا عقب محاولة لاغتياله في عام ١٩٨٢.وأيدت محكمة التمييز الحكم وأعدم شنقا في بغداد يوم السبت.

وفي رسالة كتبت بعد الحكم عليه في نوفمبر تشرين الثاني قال الرئيس المخلوع "ها أنا أقدم نفسي فداء فإذا أراد الرحمن هذا صعد بها إلى حيث يأمر سبحانه مع الصديقين والشهداء. وإن أجل قراره على وفق ما يرى فهو الرحمن الرحيم وهو الذي أنشأنا ونحن إليه راجعون."

ورحب الرئيس الأمريكي جورج بوش بحكم الإعدام واصفا إياه بأنه علامة على الطريق نحو الديمقراطية وقدم المسؤولون الأمريكيون المحاكمة على أنها شفاء للنفوس في العراق لكن العراق واقع في إسار صراع طائفي وعرقي راح ضحيته الآلاف.

تولي صدام الرئاسة في عام ١٩٧٩ بعد أن استغل مهاراته في قتال الشوارع وحياكة المؤامرات للوصول بحزب البَعث إلى السلطة. وأحاط نفسه بأقاربه من تكريت مسقط رأسه واحتفظ بقبضته الحديدية في حكم العراق رغم الحروب والانتفاضات ومؤامرات الانقلاب ومحاولات الاغتيال.

ويقول أعداؤه إن مئات الآلاف قتلوا خلال حكمه القاسي لكنه نجح إلى حد بعيد في احتواء التوتر بين العرب والأكراد وبين الأغلبية الشيعية والسنة الذين كانوا يهيمنون على السلطة.

وكان صدام حليفا للولايات المتحدة التي ساعدته في الحرب ضد إيران ولكن الغرب انقلب عليه عقب غزو الكويت في عام ١٩٩٠.ودخل وصفه لحرب الخليج الأولى بانها "أم المعارك" المعاجم.

ولعدة سنوات قامت السياسة الأمريكية على احتواء صدام ولكن بعد هجمات ١١ سبتمبر أيلول ٢٠٠١ اختار بوش العراق كي يكون الهدف التالي بعد أفغانستان في "الحرب على الإرهاب".

واحتفظ صدام بالسلطة مع إراقة كثير من الدماء عقب هزيمته في حرب الخليج الأولى بعدما اكتفت القوات التي قادتها الولايات المتحدة بطرده من الكويت وأطيح به في نهاية المطاف في حرب سريعة لم تدم أكثر من ثلاثة أسابيع.

ورغم الجهود الأمريكية لاعتقاله فقد نجح صدام في الهروب وعجزت القوات الأمريكية عن اعتقاله لمدة ثمانية أشهر سجل خلالها عدة أشرطة صوتية يسخر فيها من متعقبيه ويدعو العراقيين لمقاومة القوات الأمريكية.

ومنذ اعتقاله في ديسمبر عام ٢٠٠٣ امضي صدام السنوات الثلاث الأخيرة من حياته في قبضة القوات الأمريكية وتناقضت حياته البسيطة في زنزانة في سجن عسكري مع القصور الفاخرة التي اشتهرت بغرف استحمام مزودة بصنابير من الذهب.

وحين بدأت محاكمته في قضية الدجيل في أكتوبر تشرين الأول ٢٠٠٥ مثل أمام المحكمة مرتديا بزة أنيقة واتخذ موقفا متحديا منذ البداية مصرا على أنه رئيس العراق ورفض الاعتراف بالمحكمة التي تدعمها الولايات المتحدة.

وفي يوليو تموز أبلغ صدام المحكمة بأسلوبه الواثق المعتاد مستغلا تصوير المحاكمة تلفزيونيا وحرصا على مكانته في التاريخ أنه ينبغي له بصفته ضابطا في الجيش أن يعدم رميا بالرصاص وليس شنقا.



عراقي يتابع نبأ اعتقال صدام بعد انقلاب الأمريكيين عليه وغزو العراق وإسقاط نظامه تمهيداً لمحاكمته !!

وفي اغسطس ٢٠٠٦ بدأت محاكمة صدام الثانية بتهمة ارتكاب جرائم حرب من بينها الإبادة الجماعية ضد الأكراد العراقيين. ولم تكن تلك المحاكمة قد انتهت عندما اعدم ومن ثم تنقضي الدعوى ضده.

وفي أيامه الأخيرة في السجن الذي تديره الولايات المتحدة دعا صدام العراقيين لوقف الاقتتال فيما بينهم وتركيز جهودهم على قتل الأمريكيين مضفيا على نفسه صورة أبوية في بلد صاغه حكام الاستعمار الأوروبي من خليط من الطوائف العرقية والدينية.

وكرئيس للعراق نادى صدام بأمور متباينة مثل القومية العربية والإسلام والوطنية العراقية وكان يظهر في الزي التقليدي لفلاح عراقي أو في الزي العسكري او بذلة غربية.

وفي أثناء محاكمته كان صدام يظهر مرتديا بذلة بسيطة بلا ربطة عنق ممسكا بالمصحف بينما كان المحامون والمتهمون الذي يحاكمون معه ينادونه باحترام "السيد الرئيس".



هكذا تم التقاط صدام من مخبأه " حفرة العنكبوت " في بداية النهاية !!

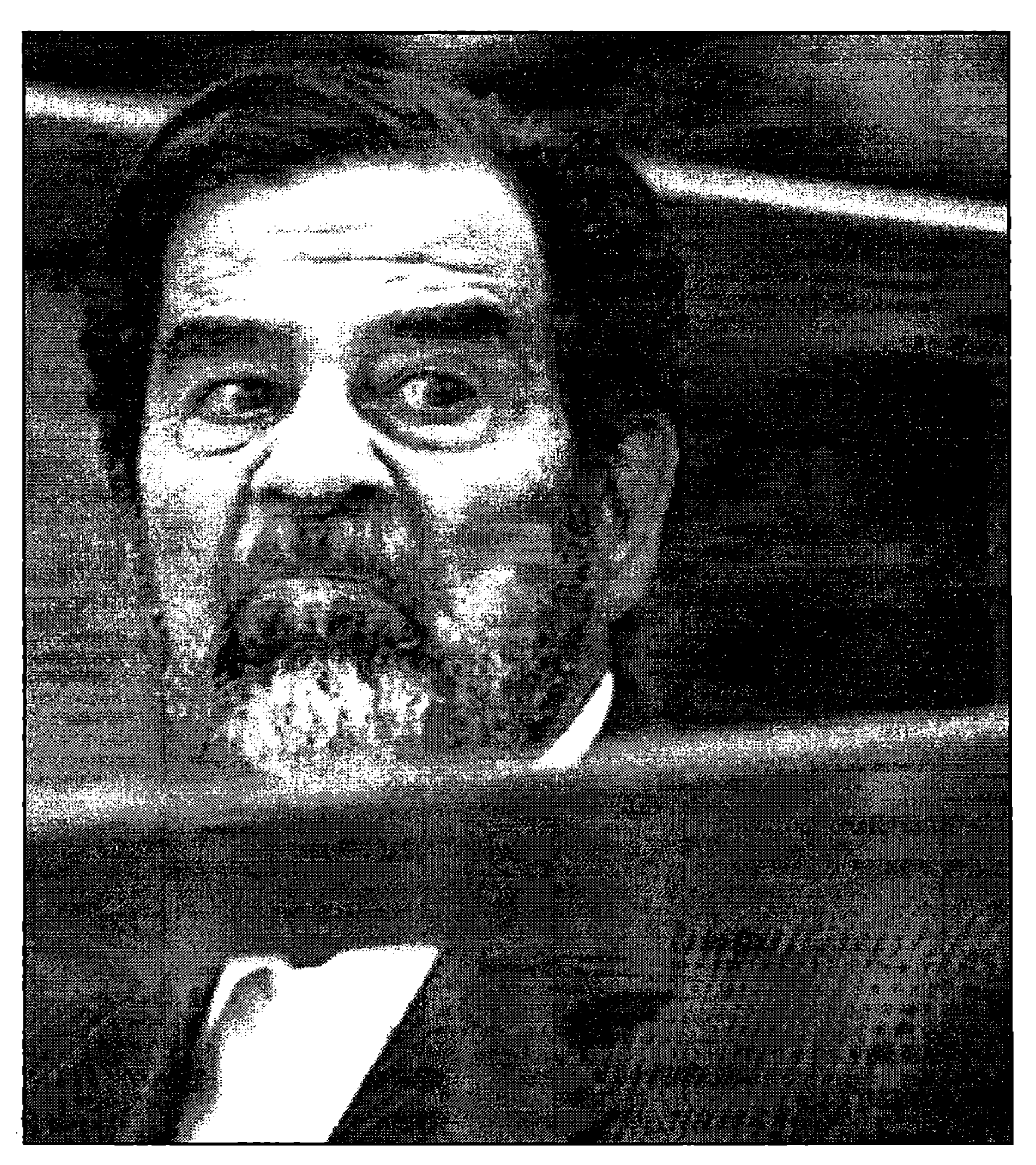
وهكذا لم تتورع أمريكا عن تصفية أجد أقرب أصدقائها وحلفائها القدامى دون رحمة . وقد اعترف بعض الوزراء والمسؤولين المخابراتيين الأمريكيين السابقين في مذكراتهم بأن صداما كان عميلاً للأمريكيين، بل إنه كان صناعة أمريكية، وأن الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريجان قد عمل على إرسال رامسفيلد له لتحفيزه على مهاجمة إيران، التي كانت تقلقهم آنذاك إزاء موقف الخوميني، حيث كانت تعتزم بدعم صدام موازنة ثقل إيران في المنطقة. وعندما بدأت حرب العراق- إيران، دعمت الولايات المتحدة صداما علنًا، حيث زودته بالسلاح والمكونات الكيميائية للقنابل الخانقة.

و يقول رجل المخابرات الأمريكي روجر موريس في مذكراته إن المخابرات الأمريكية المركزية شاركت في انقلابين في العراق خلال الأيام الحالكة للحرب الباردة، أحدهما، كان انقلاب ١٩٦٨ الذي ثبت صداما بإحكام على الطريق إلى السلطة. "هذا يقودك إلى طريق طويل مظلم فيما يتعلق بالتورط الأمريكي"، على حد اعتراف موريس، ضابط في القسم الأجنبي في وزارة الخارجية الذي كان عضوا في مجلس الأمن القومي أثناء إدارات جونسون ونيكسون السابقة ، إضافة إلى أن هذا الغطاء والتغاضي عن جرائم صدام كان باعتراف وزير الخارجية الأسبق جيمس بيكر ذاته في مذكراته بعد حرب تحرير الكويت !!

ويقول دافيد هوكورث ضابط المخابرات الأمريكية السابق قي مذكراته التي تحملها عدة كتب صدرت له، وجعلته من كبار الكتاب الأمريكيين الآن .. يقول كورت في آخر إصداراته التي صدرت عقب غزو العراق :

" أتمنى أن تتوقف أعمال السلب والنهب في العراق وأن يعم السلام على الشعب العراقي البريء الذي عانى الأمرين منذ أن جندت المخابرات المركزية الأمريكية صدام حسين لخدمة المصالح الأمريكيه فى المنطقه قبل نحو أربعين عاما ففي سنوات الحرب الباردة وعندما سيطر شعار " الموت أفضل من الشيوعية " على

الإدارات الأمريكية ذلك الوقت كانت هذه الإدارات الأمريكيه تتحالف مع أي نظام حكم بغض النظر عن ديكتاتوريته أو استبداده مادام مناهضا للشيوعية وكان الأمريكيون على استعداد للتعامل مع أي كان إذا كان سيساعد أمريكا في حربها ضد الشيوعية " .



ويقول : " لذلك فعندما بدا رئيس الوزراء العراقي الأسبق عبدالكريم قاسم التقارب مع الاتحاد السوفييتي في الستينيات وقام بتعيين عدد من الشيوعيين في مناصب حكوميه مرموقة بدأت واشنطن تحاول البحث عن وسيله للتخلص منه " .

و يقول ضابط المخابرات السابق : " في هذا الوقت أعلن مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية " آلان فوستر دالاس " إن العراق هو " أخطر بؤرة في العالم". وهنا ظهر اسم صدام حسين في ملفات المخابرات المركزيه بعتباره معارضا لحكومة عبدالكريم قاسم ولديه استعداد لاستخدام القوة والعنف للوصول إلى أهدافه لذلك تم اختيار صدام للوصول ليكون رجل أمريكا في العراق لمواجهة تهديد نشر صواريخ سوفيتية في العراق أو لضمان استمرار تدفق البترول الخليجي إلى أمريكا وحلفائها الغربيين "

ويواصل كورت : " الحقيقة أن دموية صدام حسين كانت واضحة منذ اشتراكه في محاولات اغتيال سياسيين عديدين خلال الخمسينيات وعندما تولى الحكم في العراق شن الحرب الدموية ضد إيران لمدة ثماني سنوات ثم قام بغزو الكويت عام ١٩٩٠ ورغم كل ذلك لايبدو أن الإدارة الأمريكية أجادت قراءة شخصية صدام حسين من الواضح أن الرجل يفقد أعصابه بسرعة كبيرة ويميل إلى العنف والدموية "

ويوضح كورت : " بعد المحاولة الفاشلة لاغتيال رئيس الوزراء العراقي عبدالكريم قاسم فر صدام حسين إلى مصر حيث التقطته المخابرات الأمريكية ثم عاد صدام حسين بأمان إلى بغداد حيث بدأ يصعد السلم السياسي بسرعة مذهلة وقد أصبح رئيس الجهاز الخاص وهو جهاز مخابرات مرعب تابع لحزب البعث العراقي الحاكم في ذلك الوقت ومن هذه النقطه وبمساعدة المخابرات المركزية الأمريكية واصل الرجل مؤامراته ومذابحه التي تهدف إلى إخلاء الطريق أمامه نحو السلطة المطلقة في العراق "

ويتابع كورت : " بعد قيام الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ وفقدان أمريكا لنظام الشاه الحاكم في إيران الذي كان يعد من أصدقاء أمريكا في المنطقة بدأت المخابرات والإدارة الأمريكية تخلع اللقب على صدام حسين الذي صعد للحكم مع قيام الثورة في إيران "

ويضيف كورت هنا : "عندما تحولت إيران من أقوى حلفاء أمريكا إلى ألد أعدائها بعد الثورة شن صدام حسين حربه ضد إيران حيث تمتع بدعم أمريكي غير محدود ووفرت له الولايات المتحدة الأمريكية كل مايحتاج إليه من أسلحة بما في ذلك الأسلحة الكيماوية والبيولوجية والمعلومات الاستخباراتية عن إيران وقواتها بل إن وزير الدفاع الأمريكي الحالي دونالد رامسفيلد زار صدام حسين في أحد قصوره مبعوثا خاصا للرئيس الأمريكي في ذلك الوقت رونالد ريجان عام ١٩٨٣ ليقدم له شيكا على بياض يضمن حصوله على كل مايحتاج إليه من أسلحة وذخيرة من الترسانة الأمريكية" !!

ويواصل كورت : " بعد أن قام القادة الأمريكيون بتدريب صدام حسين على كيفية استخدام كل هذه الأسلحة المتطورة التي حصل عليها من مخازن الجيش الأمريكي خلال الثمانينيات تصرف الرجل بنفس الحماقه التي تصرف بها الرئيس البنامي الأسبق الجنرال مانويل نوريبجا فقد عض صدام حسين اليد الأمريكية التي أطعمته عندما قام بغزو الكويت عام ١٩٩٠ التي تعد واحدة من أهم مناطق المصالح البترولية في العالم ودولة مستقلة عضو فى الأمم المتحدة" !!

ويقول كورت : " والآن فإن الولايات المتحدة التي أنفقت مليارات الدولارات لتنصيب ديكتاتور العراق ومساندته على مدى سنوات طويلة أنفقت مليارات أخرى للإطاحه به ومن المنتظر ان تنفق المزيد من أجل إقامة حكومة عراقية جديدة مستقرة ولكن هذا يتوقف على عدم لجوء واشنطن إلى الخيار السهل وهو تنصيب ديكتاتور جديد يخدم المصالح الأمريكية الضيقة ويحتاج إلى عشرة أو عشرين عاما حتى تكتشف أمريكا أنه أصبح خطرا على مصالحها فتنفق الجهد والمال والدماء من أجل التخلص منه" !!

و قد يكون من الطريف هنا أن نروي ما كان قد تم الكشف عنه قبل إعدام صدام من تفاصيل الحوار بين صدام ورامسفيلد وبما يؤكد الخداع والزيف الأمريكى، كما جاء في محضر الاجتماع، الذي تم تسريبه، بين صدام ورامسفيلد من مصادر أمريكية موثوق بها، وهذا هو نص المحضر :

في بداية الحديث كان الرئيس صدام يبدو هادئا للغاية، ربما يكون قد فوجئ بأن ضيفه هو رامسفيلد، إلا أنه لم يبد عليه أي توتر عصبي، بدأ رامسفيلد الحديث بالقول:

رامسفيلد: لقد جئت للقائك لأتفاوض معك حول الموقف في العراق، لقد أجرينا اتصالات مع بعض أنصارك داخل وخارج العراق، وقد نصحونا بأن نستمع إليك.

صدام حسين: وماذا تريدون؟ لقد احتلت قواتكم أرض العراق الأبي، وأسقطتم نظام الحكم دون سند من شرعية واعتديتم على سيادة بلد حر مستقل ذي سيادة، وارتكبتم جرائم سيسجلها التاريخ ليكون شاهدا على حضارتكم المخضبة بالدماء، فماذا تريدون بعد كل ذلك.

رامسفيلد (يحاول أن يكتم غيظه): لا داعي للخوض في الماضي لقد جئت خصيصا لأعرض عليك عرضا واضحا ومحددا، وأريد أن أسمع منك إجابة واضحة ومحددة.

صدام حسين (ساخرا): أظنك جئت للاعتذار وإعادة السلطة للعراقيين.

رامسفيلد: ليس هناك ما نعتذر عنه، لقد شكلت خطرا على جيرانك وسعيت لامتلاك أسلحة دمار شامل ومارست الديكتاتورية على شعبك وكان طبيعيا أن نمد أيدينا لشعب العراق لنخلصه من المخاطر التي واجهته على مدي أكثر من ثلاثة عقود.

صدام حسين: أعرف أنك جاهل بالتاريخ، وأعرف أن رئيسك لا يقل جهلا، ولكن يبدو أنكم ظللتم تكذبون حتى صدقتم أنفسكم، إذا كنت تقصد بجيراننا الكيان الصهيوني فنحن فعلا كنا نشكل خطرا ونعد العدة لتحرير أرضنا المغتصبة في فلسطين، وهذه أمنية كل إنسان عربي وليس عراقيا فهذه الأرض عربية وشعبها عربي والصهاينة هم الذين احتلوا الأرض وجاءوا إلينا من كل أنحاء العالم بمساندتكم أنتم وقوَى الاستعمار القديم؟

رامسفيلد: هذه قضايا أمنية، ثم إنه بيننا وبين دول الخليج الأخري اتفاقات أمنية.. لقد جئنا بناء على طلب منهم، لحمايتهم من تهديداتك.

صدام حسين: أليس مضحكا أن يؤتمن الذئب على الخراف.

رامسفيلد: دعك من هذا الهراء، أنا أعرض عليك...

صدام (مقاطعا): قبل أن تعرض عليَّ بضاعتك الفاسدة أنا أسألك: هل وجدتم أسلحة الدمار الشامل في العراق أم لا؟

رامسفيلد (مرتبكا): لم نعثر عليها حتى الآن، لكن حتما سنعثر عليها في يوم مَّا، هل تنكر أنه كانت لديك نوايا لصناعة قنبلة نووية؟

صدام: لم تكن لدينا أسلحة دمار شامل منذ عام ١٩٩١ لقد كنا صادقين ونحن نتحدث مع بعثة التفتيش الدولية، وكنا صادقين في رسائلنا إلى كوفي عنان، وكنتم تعرفون هذه الحقائق، لكنكم كنتم تبحثون عن أية ذرائع كاذبة لاحتلال العراق وإسقاط سلطته الشرعية.

رامسفيلد: لقد استقبلنا العراقيون بسعادة بالغة ورحبوا بنا، وكان السبب هو ممارسات نظامك الدموي على مدى كل هذه السنوات التي حكمت فيها العراق.

صدام: أرجوك يا سيد رامسفيلد.. كفاك كذبا، فأنتم الذين فجرتم شلالات الدماء على أرض العراق، لقد تآمرتم علينا وجئتم ببعض الخونة ليحتلوا السلطة على أرض العراق العظيم.

رامسفيلد: من تسميهم خونة اختارهم الشعب العراقي كقادة له بطريقة ديمقراطية وانتخابات نزيهة لم تحدث في ظل حكمكم للبلاد.

صدام: لقد عرفت أنكم جئتم بجوقة الخونة وفي مقدمتهم الطالباني، (ضحك ساخرا)، العراق العظيم يحكمه الطالباني والجعفري، ألا يدعو ذلك للسخرية؟!.. ثم عن أي انتخابات تتحدث.. هل يجوز أن تجري انتخابات حرة كما تقول في ظل احتلالكم لبلدنا؟ يا سيد رامسفيلد لقد تعلمنا من التاريخ أن المحتل لن يأتي إلا بأعوانه وعملائه، ثم تريد بعد كل ذلك أن تقنعني بأن شعب العراق يتمتع بالحرية والديمقراطية، إنك حقا تهذي.

رامسفيلد (يكتم غيظه بشدة): أنت معزول ولا تعرف حقائق ما يجري في الخارج، إن الشعب العراقي تحرر من ظلمك، ولو رأوك أنت أو أيا من رجالك في الشارع لفتكوا بك!!

صدام: وأنا أراهنك إذا استطعت أن تعلن عن مكان تواجدك في العراق، لو علمت المقاومة العراقية بمكانك لما استطعت أن تخرج حيا، إنني أريد أن أسدي نصيحة إلى رئيسك الغبي، عليك أن تبلغها له وهي أن ينقذ ما تبقي من جنوده، إن الموت يحاصرهم من كل مكان، والتاريخ لن يرحمه.

رامسفيلد: لقد جئت للحديث معك حول عمليات الإرهاب التي يحرض عليها رجالك وينفذونها.. لقد قام رجالك مؤخرا بعملية دنيئة استهدفت سجن أبو غريب، حيث أصابوا وقتلوا أكثر من خمسين أمريكيا، كما أنهم قتلوا عددا من المقبوض عليهم بتهم مختلفة، إن رجالك يستعينون بالإرهابيين من كل أنحاء العالم وهم يهددون التجربة الديمقراطية في العراق.

صدام حسين: وما هو المطلوب بالضبط؟.

رامسفيلد: أنا أعرض عليك عرضا واحدا وهو أن يفرج عنك وتختار لنفسك منفي اختياريا في أي بلد تشاء بشرط أن تظهر على شاشة التليفزيون لتعلن إدانة الإرهاب وتطالب رجالك بالكف عن هذه الممارسات.

صدام حسين: وهل حصلت على موافقة رئيسك على هذا العرض؟

رامسفيلد: نعم هذا العرض تم الاتفاق عليه في جلسة شارك فيها الرئيس ونائبه ووزيرة الخارجية ورئيس جهاز الاستخبارات، وقد كلفت بإبلاغك بهذا العرض.

صدام حسين: إنه ثمن بخس.

رامسفيلد (بلهفة): مستعدون أيضا لإشراك عناصر مقربة منك في الحكم.

صدام حسين: وماذا أيضا؟

رامسفيلد: سنقدم لك إعانة مالية محترمة وسوف يحفظ أمنك وأمن أسرتك في البلد الذي ستختاره.

صدام حسين: هل تريد أن تسمع شروطي؟.

رامسفيلد: يا حبذا.

صدام حسين (بلغة فيها كثير من الغرور والتعالي): أنا أريد أولا منك أن تحدد لي جدولا زمنيا للانسحاب من العراق، وأن تلتزم به حكومتكم أمام العالم، وأن تبدأوا عملية الانسحاب على الفور.

وأنا أطلب ثانيا.. الإفراج فورا عن كافة المعتقلين العراقيين والعرب في السجون التي أقمتموها أو تلك التي قيدتم فيها حرية عشرات الألوف من شرفاء العراق.

وأطلب ثالثا منكم.. التعهد بتقديم التعويضات الكاملة عن الخسائر المادية التي لحقت بالشعب العراقي من جراء عدوانكم على بلدنا منذ أم المعارك في عام ١٩٩١ وحتى اليوم، وأنا أقبل بالاستعانة بلجنة دولية وعربية لتقدير هذه الخسائر.

وأطلب رابعا.. أن تردوا الأموال التي نهبها رجالكم من خزائن العراق ونفطه خاصة هذا المجرم بريمر وأزلامه من الخونة والمارقين.

وأطلب خامسا.. إعادة الآثار التي سرقتموها، فهذه كنوز لا تقدر بمال الدنيا، لأنها تحمل تاريخ العراق وحضارته صحيح أنكم لا تملكون حضارة ولا تاريخا وأن عمر بلدكم لا يتجاوز بضع مئات من السنين، ولكن كل ذلك لا يجب أن يبرر سرقاتكم وحقدكم على حضارة العراق وثروة العراق.

وأطلب سادسا.. أن تسلموني أسلحة الدمار الشامل إذا كنتم قد عثرتم عليها وأن تعيدوا إلينا حياة كل الشهداء الذين أزهقت أرواحهم، وأن تردوا شرف الماجدات العراقيات الذي سلبتموه.

رامسفيلد: هل هذا نوع من السخرية؟

صدام: لا، بل هذه هي الحقيقة المرة، التي تعرفونها.. يا سيد رامسفيلد أنتم ارتكبتم أكبر جريمة في التاريخ ضد بلد عربي مسالم.. لقد التقينا سويا في الثمانينيات، هل تذكر عروضك؟

رامسفيلد: دعنا من الماضي، نحن بصدد إعادة تقييم مواقفنا منكم ومن العديد من القوي التي ناصبتنا العداء في الماضي، نحن قررنا أن نتحاور مع الإسلاميين المعتدلين، وليس لدينا مانع في وصولهم للسلطة عبر صندوق الانتخاب بل الأهم من ذلك أننا قررنا أن نفتح قنوات للحوار مع منظمات مثل حماس والجهاد وحزب الله، وأيضا منظمات أصولية أخرى في العالم كله، بل حتى لدينا مشروع للاتصال بحركة طالبان في أفغانستان لدراسة مشاركتها في السلطة مقابل التخلي عن السلاح.

صدام: إذن بدأتم تعيدون التفكير في نهجكم الخاطئ؟

رامسفيلد: إنه التطور الطبيعي للأمور، نحن نسعي إلى نشر الديمقراطية في كافة البلدان والحركات الخاضعة للاستبداد.

صدام حسين: أفلحتم إن صدقتم، أنا أعرف حقيقة أهدافكم، وإذا كنتم صادقين حقا فعليكم أن تبدأوا فورا أنتم وحلفاؤكم الانسحاب من العراق، وعليكم أيضا أن تراجعوا موقفكم الداعم لإسرائيل. إنني أعرف أن رئيسك عنيد ومكابر وليس صادقا.

رامسفيلد: إنه رئيس ديمقراطي منتخب، وليس حاكما دمويا مثلك.

صدام: الإرهاب صناعتكم والكذب أسلوبكم.

رامسفيلد: إن هذا العرض هو فرصة تاريخية لكم، سنفرج عنك وسنتشاور معك في كل ما يخص شئون الحكم في العراق، إذا رفضت هذا العرض فالفرصة لن تعوض.

صدام حسين: أنا لا أبحث عن الفرص، ولا أبحث عن طريق لإنقاذ رقبتي من حبل المشنقة التي نصبتموها للعراق كله، لو أردت ذلك لقبلت بالعرض الروسي وأنقذت ولديَّ وحفيدي من الشهادة، أنا لا أعرف ما هو مصير أسرتي وبناتي وأحفادي، ولكن ثق أنني مهتم بكل مواطن عراقي وبمستقبل العراق العظيم أكثر من اهتمامي بنفسي وأسرتي.

لقد سبق أن عرضتم عليَّ قبل ذلك عن طريق رجالكم أن أقرَّ بأن أسلحة الدمار الشامل هربت إلى سوريا وقلتم إن الثمن هو الإفراج عني، فرفضت وها أنذا أكرر الرفض مرة أخري.

رامسفيلد: أنا لا أريد منك رفضا، أنا أريد منك التفكير، نحن نعاود تقييم مواقفنا في الوقت الراهن، نحن نريد وقف الدماء التي تتدفق من كلا الجانبين، ولذلك يأتي عرضنا من منطق القوة وليس من منطق الضعف.

لقد طلبنا من جلال الطالباني أن يدلي بتصريح ينفي فيه أية نوايا لإعدامكم كبادرة حسن نوايا منا، ونحن لدينا استعداد لمراجعة موقفنا كاملا من العملية السياسية في العراق بأكملها وأن نتحاور معك ومع رجالك في هذا الأمر.

صدام حسين: هل أنتم مستعدون للانسحاب أم لا؟

رامسفيلد: يمكن أن نبحث إعادة الانتشار، إن قواتنا أعدت قواعد للبقاء فترة طويلة يمكن أن ننسحب من الشوارع والمدن ولكن سنبقي في القواعد لفترة من الوقت.

صدام حسين: إذن أنتم تريدون عميلا جديدا يضاف إلى هذا الطابور من العملاء، لا يا سيد رامسفيلد.. لا تنس أنك تتحدث مع صدام حسين رئيس دولة العراق.

رامسفيلد: لكنك خسرت السلطة.

صدام حسين: لم يبق لي سوى الشرف، والشرف لا يباع ولا يشترى.

رامسفيلد: لكن الحياة لها قيمة لا تقدر.

صدام حسين: لا قيمة للحياة بدون الكرامة، وأنتم سلبتم العراق كرامته عندما دنستم أرضه وسوف نسترد كرامتنا سواء بقي صدام حسين أو استشهد.

رامسفيلد: إن أنصارك الذين تحاورنا معهم قالوا لنا إنك صاحب القرار الأول والأخير، هل كانوا يتوقعون رد فعلك؟

صدام حسين: بالقطع هم يعرفون أن صدام حسين لايستطيع أن يتراجع على حساب وطنه وكرامته.

رامسفيلد: التاريخ سيحملك مسئولية الدماء التي تسال في العراق.

صدام حسين: بل التاريخ سيحاكمكم على جرائمكم.. لقد حذرتكم من قبل وقلت لكم ستنتحرون على أسوار بغداد، وها أنتم تدفعون الثمن، أرجوك أن تذهب إلى لندن وتقرأ سجلات وزارة الخارجية البريطانية لتعرف بعضا من ملامح كفاح الشعب العراقي في مواجهة أصدقائكم البريطانيين الذين تكررون أخطاءهم وتشركونهم معكم.. الشعب العراقي شعب عنيد ولا يخاف الموت.. والمقاومة أقوي مما تتصورون ولذلك أبشركم بالمزيد "

وعندما قررت المخابرات الامريكية رفع السرية عن جزء بسيط ويسير من كنز المعلومات والملفات الهائلة التي تراكمت من التحقيق مع صدام خلال فترة ثمانية اشهر كاملة وبمعدل سبع ساعات يوميا .. بموجب هذا القرار تمكن ضابط من المخابرات الفيدرالية الاميركية " إف . بي . آي " وهو رئيس قسم التحقيق مع صدام ويدعى جورج بيرو، من الحصول على موافقة بسرد جزء من مذكراته أثناء إجراء التحقيق اليومي مع صدام، والتي استمرت لثمانية أشهر .

ويروي جورج بيرو، في كتابه الذي يحمل عنوان : " مراقبة الإرهابي " "ذا تيروريست واتش"، ووضعه الصحافي في واشنطن رونالد كيلسر الحائز عدة جوائز، كيف أدار فرقة استجواب صدام، بعدما قبضت عليه القوات الأمريكية في ديسمبر ٢٠٠٣

وكان بيرون يومها في الـ٣٦ من العمر، ويشغل منصب رئيس لقسم مكافحة الإرهاب في مكتب التحقيقات الفيدرالي. وهو يتقن العربية، لكونه مولوداً في بيروت، قبل أن تهاجر عائلته إلى الولايات المتحدة، وهو في الـ ١٢ من العمر .

ويصف بيرو صدام حسين بأنه مهووس بالنظافة، مشيراً إلى أنه حاز ثقته بعدما مده بكميات كبيرة من فوط الأطفال الرطبة، لتنظيف يديه وبعض المأكولات مثل

التفاح. ومع أن صدام كان يصلي ٥ مرات في اليوم خلال اعتقاله، فإنه كان يحب النبيذ والويسكي من نوع "جوني ووكر بلو ليبل" والسيجار الكوبي. وكانت تلفته النساء الجميلات

ويقول كيسلر في كتابه "عندما أتت ممرضة أمريكية لأخذ عينة من دمه، قال صدام لبيرو أن يقول لها بالانكليزية إنها فاتنة. لكن بيرو رفض".

ودحض بيرو الاعتقاد السائد أن صدام حسين كان غالبا ما يلجأ إلى شبيه له في ظهوره العلني. ويقول بيرو ضاحكا "قال لي (صدام) إن أحدا لا يمكنه أن يقلده". وكان موظف الـ"إف بي آي" يمضي بين ٥ و٧ ساعات مع صدام يوميا على مدى ٧ أشهر، هي فترة المقابلات استمرت حتى يوليو ٢٠٠٤

وأكد صدام لبيرو أنه "ادعى" أنه يمتلك أسلحة دمار شامل فقط لإبقاء إيران خصمته اللدودة في موقف حرج، وكان يعتبر أنه قادر على استئناف البرنامج النووي ما إن ترفع عقوبات الأمم المتحدة عن العراق.



مشهد إعدام صدام الذي روى محققه في مذكراته كيف أنه بكى كالطفل عند سماعه الحكم بإعدامه شنقاً على هذا النحو !!

وخارج غرفة الاستجواب الرسمية يقول بيرو إنه وصدام كانا يتناقشان في التاريخ والسياسة والفنون والرياضة. وقد بدأ الرئيس السابق بكتابة قصائد حب على دفتر أعطاه إياه موظف الـ"إف بي آي". وسأل بيرو صداما عن حملة الأنفال ضد الأكراد في أواخر ثمانينيات القرن الماضي التي قضى فيها الآلاف خلال قصف مدينة حلبجة بأسلحة كيميائية عام ١٩٨٨. وقال بيرو لكيسلر "قال صدام إن هذا قرار اتخذه ولا يريد الخوض في هذه المناقشة

وعلى صعيد عائلته، قال صدام إنه كان حذرا من ابنه قصي، والذي قتل مع شقيقه الأكبر عدي في عملية أمريكية بالموصل في يوليو ٢٠٠٣. ورغم كرهه للرئيسين الأمريكيين اللذين شنا حربا عليه، وهما جورج بوش الأب والابن، كان صدام حسين يحب الأميركيين معربا حتى عن إعجابه بالرئيسين رونالد ريغن وبيل كلينتون.

وأقر صدام حسين بارتكابه "خطأ تكتيكيا" في تعامله مع بوش الأب والابن، مستهينا بقدرة الجيش الأمريكي خلال حرب الخليج الأولى، وبعدم تصديقه أن بوش الابن جدي في اجتياح العراق.

وفي نهاية عمليات الاستجواب يقول بيرو إن التأثر غلب على الرئيس العراقي. ويروي "جلسنا خارجا وأشعل كل منا سيجارا كوبيا واحتسينا القهوة وتبادلنا أطراف الحديث". وكان في حوزة صدام مسدس عندما قبض الأمريكيون عليه في تكريت، وكان بإمكانه أن يطلق النار على نفسه لكنه لم يفعل، مع أنه كان يعرف أنه يواجه احتمال الحكم بالإعدام. ويقول بيرو إن "الإعدام كان ليخدم هدفه أكثر وهو المحافظة على إرثه ومكانته في التاريخ".

ولم يندم صدام حسين على أي شيء حتى اللحظة الأخيرة قبل إعدامه شنقا نهاية عام ٢٠٠٦. ويقول بيرو "رغم ذلك كان لطيفا ومهذبا ويتمتع بالكاريزما وحس الفكاهة. نعم، كان جديرا بأن يُحب" !!

ويقول الضابط المحقق بيرو إنه ذهب في اليوم الأخير للقاء صدام قبل إعدامه بيوم واحد وأخذ معه سيجارا كوبيا من النوع الفاخر عدد اثنين إلى صدام وجلس معه ليودعه، لأن الزيارة كانت زيارة وداع، وإذا به يفاجأ بصدام يبكي وينتحب كالطفل عندما قال له بأن هذا اللقاء هو الأخير بينهما، فأدرك صدام أنها النهاية فعلا . طبعا لايسهب الضابط كثيرا في ذكر تفصيلات أخرى نقلتها مواقع خبرية في حينها كيف أن صداما انهار وأخذ يتوسل لإبقائه حيا وأنه على استعداد لخدمة السياسة الأمريكية في العراق وفي المنطقة .

وقال بيرو : " إن صداما مثلما كان يحرص أن يظهر نفسه بأنه متعلق بالقرآن، إلا أنه "كان أيضا يحب شيئين آخرين، وهما الويسكي والسيكار"

ونقل بيرو أن صداما قال له أيضا : " إن آراء وسياسات الرئيسين بل كلينتون وريغان متشابهة مع تطلعاته وأفكاره، إلا أنه يشعر بتفاوت كبير وتعارض بينه وبين الرئيس بوش ووالده " . كما يذكر بيرو أن صداما تعلق بممرضة كانت تشرف بين فترة وأخرى على تمريضه . ويشير ضابط التحقيق بيرو أن صداما وثق به خلال هذه الفترة التي أمضاها معه أكثر مما كان يثق في أي شخص آخر " !!

و كان الكاتب البريطاني المعروف روبرت فيسك قد أكد عقب إعدام صدام في مقال في صحيفة الأندبندنت البريطانية بعنوان " الديكتاتور الذي صنعته أمريكا ودمرته " إن الولايات المتحدة صنعت صدام حسين ثم قامت بتدميره حين رفض الاستمرار في الانصياع لأوامر واشنطن.

وبدأ فيسك مقاله بالإشارة إلى أن الغرب عليه اليوم ـ في ظل احتفاله بإعدام صدام ـ أن يأمل في أن يستطيع الملايين من المسلمين أن يتجاوزوا أن الحكومة العراقية قامت ـ بالنيابة عن واشنطن ـ بإعدام صدام في أول يوم من أيام عيد الأضحي الذي يعد رمزا للمصالحة وللمغفرة في العالم العربي وأكد الكاتب البريطاني أن الملايين من المسلمين والعرب سيطرحون سؤالا لن يجد طريقه

إلى وسائل الإعلام الغربية وهو: ماذا عن المذنبين الآخرين في إشارة إلى رئيس الوزراء البريطاني توني بلير والرئيس الأمريكي جورج بوش.

وقال: بلير ليس صداما فهو لم يستخدم الغازات السامة ضد شعبه كما أن بوش ليس صداما، فهو لم يغزُ إيران والكويت مشيرا في لهجة تهكمية إلى أنه لم يغز سوي العراق فقط وأكد أنه بالرغم من أن بوش وبلير لم يرتكبا نفس جرائم صدام إلا أنهم جميعا الرئيس الأمريكي ورئيس الوزراء البريطاني ونظراءه الأسباني والإيطالي والاسترالي جميعهم اشتركوا في جريمة دموية بشعة، عام٢٠٠٣ في غزو العراق متعللين بأسباب مزيفة وباطلة حول أسلحة دمار شامل لم يكن لها أثر في العراق وأكد فيسك أن الآلاف من المدنيين العراقيين ومن القوات الغربية كانت ضحايا هذه الجريمة البشعة.

وقال فيسك: في أعقاب هجمات سبتمبر٢٠٠١ على نيويورك وواشنطن. قمنا نحن بارتكاب جميع انتهاكات حقوق الإنسان قمنا بالتعذيب والقتل وتبرير قتل المدنيين الأبرياء، ثم أضفنا بعد ذلك عارا جديدا متمثلا في فضيحة تعذيب المعتقلين في سجن أبو غريب: وأضاف أنه في أعقاب كل هذه الجرائم البشعة على الغرب اليوم ان يتناسى ارتكابها وينظر إلى جثة الديكتاور الذي صنعه وكأنه حقق انتصارا حين أعدمه.

وتساءل فيسك من الذي شجع صدام على غزو إيران عام١٩٨٠ التي تعد واحدة من أكبر جرائم الحرب التي ارتكبت في حق الإنسانية حيث خلفت المعارك وراءها نحو نصف مليون قتيل على الأقل وتساءل أيضا: من زود صدام بمكونات الأسلحة الكيماوية التي استهدفت الإيرانيين والأكراد؟ ويجيب: لقد كنا نحن من قام بذلك، كنا نحن من صنع هذا الديكتاتور.

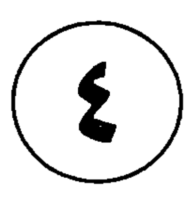
وأوضح الكاتب أنه ليس من المستغرب تحاشي الأمريكيين خلال محاكمة صدام التي أشرفوا على وضع قواعدها الحديث عن هذه الحرب لأن ذلك قد يجر اللوم

عليهم أيضا ثم أشار فيسك إلى قصف المدنيين بالقنابل الفسفورية وحصار الفلوجة الذي كررته القوات الأمريكية أكثر من مرة خلال السنوات الماضية، والمداهمات الدموية للنجف وتساءل: من يجب محاسبته على هذه الجرائم؟

واجاب: إنهما بوش وبلير، مشيرا إلى أن الزعيمين يجب أن يضعا ذلك في ذاكرتهما وهما يشاهدان جثة الديكتاتور.

واختتم فيسك مقاله بالحديث بقوله : لقد صنع الغرب صداما والغرب أيضا هو من قضى عليه حين بدأ يرفض الانصياع إلى رغباته !!

■■■



فرديناند ماركوس..
"٣ زبائن" فى آن واحد!!



تجربة الولايات المتحدة غنية بالغدر بأصدقائها وحلفائها وتخليها عن أصدقائها بعد استنفاد قدراتهم على القيام بالأدوار المتجددة! أو تراجع قوتهم ونفوذهم أمام القوى المعارضة!

و كما هو معلوم عن السياسة الأمريكية تجاه كثير من حلفائها أنها لا تولي أخطاء- وحتى انتهاكات - الحكومة الحليفة على المستوى المحلي اهتمامًا ما دامت تخدم مصالحها الإستراتيجية بمعناها الأوسع؛ فالرئيس ماركوس لاقى دعمًا أمريكيًّا بالرغم من كل ديكتاتوريته ودمويته، ولم تتخلَّ عنه واشنطن إلا بعد أن استنفدت أغراضها.

رأينا تجربة شاه إيران محمد رضا بهلوي عندما لم يجد لدى حلفائه الأمريكيين أرضا تؤويه ولا مكانا يقبل قبره عام ١٩٧٩، وتجربة فرديناندو ماركوس في الفلبين عندما جادت عليه الولايات المتحدة بطائرة هليوكبتر تقله من القصر وزوجته مع ما خف وغلى من المجوهرات والأحذية والملابس إلى غير رجعة، لتتحالف بعده الولايات المتحدة مع عدوته كورازون اكينو عام ١٩٨٦ خير دليل على استراتيجية الغدر الأمريكية !!

كان ماركوس (١١ سبتمبر ١٩١٧ - ٢٨ سبتمبر ١٩٨٩) هو الرئيس العاشر لجمهورية الفلبين. تولى رئاسة الفلبين من ٣٠ ديسمبر ١٩٦٥ إلى ٢٥ فبراير ١٩٨٦ عندما فر هو وعائلته بعد إضرابات شهدتها الفلبين ضد حكمه .

وطيلة سنيىحكمه كان خادما مطيعا لأسياده في واشنطون، وليس أدل على ذلك من فتح بلاده على مصراعيها لأمريكا، لكي تبني فيها قواعد عسكرية دائمة رغم أنف شعبه .. ورغم ذلك، فقد كانت أمريكا تتحسب غضبة شعبه، التي كانت هى السبب الرئيسي فيها، فقامت - متظاهرة بدعمها له - بقبول بنينو أكينو زعيم حركات المعارضة الفلبينية لحكمه بأن يجعل من أمريكا منفى له، زاعمة أنها بهذا تضعه تحت أعينها، ولكنها في الحقيقة كانت تحتفظ به كبديل مناسب للحليف إذا حانت الساعة واستنفد دوره بالنسبة لها، وأصبح جوادا خاسرا، وهكذا حالها دائما !!

وعندما وجدت واشنطون أسهم حليفها ماركوس الشعبية في الحضيض، أقنعته بالسماح لأكينو بالعودة من المنفى، وإقامة هامش كبير من الديمقراطية، وعاد الرجل بعد قبول ماركوس على مضض، ولكن كانت الرصاصات القاتلة بانتظاره في المطار، كما حدث ولو بصورة مختلفة بعض الشيء مع بي نظير بوتو بعد عودتها من المنفى إلى باكستان !!

وهنا فقدت أمريكا البديل أو " الزبون " الذي اعتاد " الحلاق السياسي الأمريكي " أن يجلسه مكان " زبون آخر " انتهى دوره، ومن ثم اشتعلت الثورة ضد حليفها التقليدي الذي غدرت به " فرديناند ماركوس " ففقدته أيضا !!

ومع ذلك، فلم تعدم أمريكا الحيلة، حيث وجدت " زبونا " آخر هو أرملة زعيم المعارضة القتيل " كورازون أكينو " فراهنت عليها، لا سيما بعد أن أصبحت زعيمة شعبية، بعد أن كانت حتى قبيل اغتيال زوجها مجرد ربة بيت !!

وتعد الثورة الفلبينية في فبراير ١٩٨٦ النموذج الأمثل للثورة الوطنية في الربع الأخير من القرن العشرين. فقد نجحت المقاومة الوطنية في الإطاحة بالديكتاتور فرديناند ماركوس. ولكن شيئا واحدا شاب هذه الثورة هو ركوب واشنطون لها !!

لقد تولى ماركوس الحكم في عام ١٩٦٥. وفي سبتمبر ١٩٧٢، كرد فعل لحركة المعارضة، أعلن فرض قانون الطوارئ وألغى منصب نائب الرئيس كما ألغى انتخابات ١٩٧٣. وفي عام ١٩٧٢، اعتقل ماركوس زعيم المعارضة بينينو أكينو وأصدر عليه حكماً بالإعدام بدون محاكمة.

وفي عام ١٩٨٠، سمح ماركوس لأكينو بالذهاب للولايات المتحدة حيث مكث هناك حتى عام ١٩٨٣.

وفي ٢١ أغسطس ١٩٨٣، عاد أكينو إلى الفلبين ليقود المعارضة ضد ماركوس، وتم اغتياله في مطار روما لدى نزوله من الطائرة. وطوال فترة قانون الطوارئ، اندلعت احتجاجات متفرقة، إلا أن اغتيال أكينو كان بمثابة الشرارة التي أشعلت الاحتجاجات واسعة النطاق.



صورة مركبة نصفها كورازون أكينو ونصفها فرديناند ماركوس في تعبير عن كون الاثنين الرئيس المخلوع والرئيسة التي خلفته عميلين أمريكيين !!

وشارك في تشييع جنازة أكينو ما يتراوح بين أربعة وستة ملايين. وتعددت حركات الاحتجاج بشكل مستمر في الفترة من ١٩٨٣ إلى ١٩٨٥. فقد كانت المظاهرات العارمة تخرج في مناسبات، بداية فرض قانون الطوارئ في ٢١ سبتمبر، وميلاد أكينو في ٢٧ نوفمبر، واغتياله في ٢١ أغسطس، وفي ٢٣ سبتمبر ١٩٨٥، نظم الفلبينيون في مدينة بوتون وعديد من المدن الأخرى إضراباً شاملاً لمدة يومين احتجاجاً على نظام ماركوس.

وخلال تلك الفترة شارك العديد من الفلبينيين في تدريبات على أسلوب المقاومة الوطنية نظمها جين وهيلد جارد جوس ماير وريتشارد ديتس من (الجمعية الدولية للتصالح). ومن هذه الحلقات الدراسية، تشكلت منظمة اللاعنف (اكابكا). وقد أثرت هذه التدريبات على أسلوب اللاعنف على أحداث عام ١٩٨٦.

وتحت الضغط المحلي والدولي، أعلن ماركوس في أواخر عام ١٩٨٥ عن إجراء انتخابات مفاجئة في ٧ فبراير ١٩٨٦. واختار قادة المعارضة كورازون أكينو مرشحة للرئاسة وسلفادور لوريل مرشحاً لمنصب نائب الرئيسة.

وكانت الشكوك تحيط بنزاهة الانتخابات منذ البداية على الرغم من سماح ماركوس لمتطوعين من النامفريل ولمراقبين أمريكيين بمراقبة الأحداث. وفي يوم الانتخابات شكل عمال النامفريل المدربين على أسلوب اللاعنف، حواجز بشرية للحيلولة دون محاولات سرقة صناديق الأصوات، كما نظمت أكابكا تجمعات للصلاة والتدريب على أسلوب اللاعنف.

وفي ٩ فبراير أعلن ثمانية وثلاثون من عمال الكمبيوتر احتجاجهم على تعمد إذاعة نتائج خاطئة تشير إلى تقدم ماركوس، وأعلنت الجمعية الوطنية الفلبينية فوز ماركوس الأمر الذي عارضه عديد من المؤسسات والأفراد. وأعلن كل من ماركوس وأكينو فوزه بالرئاسة، ومن هنا بدأت الثورة.

ولعبت الكنيسة الكاثوليكية دوراً أساسيًّا في الثورة. ففي ١٣ فبراير أعلن الأساقفة الكاثوليك أن الانتخابات مزورة ودعوا إلى شن (كفاح لا عنيف من أجل العدالة). وأعلن الكاردينال سين كبير أساقفة مانيلا أنه يعتبر نفسه (قائداً للقوات الفلبينية غير المسلحة).

وفي ٢٢ فبراير أعلن وزير الدفاع جوان بونس ازيل ونائب رئيس الأركان منديل راموس تمردهم واعتصموا داخل وزارة الدفاع. وطلب أجابينو، شقيق بينينو أكينو، والكاردينال سين من مواطني مانيلا إرسال الطعام لقوات التمرد والخروج إلى الشوارع لقطع الطريق على تحرك القوات المعادية. وكان هذا هو بداية الثورة الشعبية.

لقد تدفق الآلاف إلى ميدان ابيفانيو دي لوس سانتوس وأحضروا الطعام والمشروبات وأجهزة الراديو للمتمردين. واتخذ التجمع مظهراً احتفالياً حيث رفرفت الأعلام وراح الحشد يغني نشيد بايان كو (وطني).

وفجر يوم الأحد ٢٣ فبراير توجهت قوة عسكرية معززة بالدبابات والعربات المدرعة نحو معسكر المتمردين. إلا أن الآلاف من المتظاهرين سدوا أمامها الطريق وأجبروها على التوقف على بعد ميل، وهدد قائد القوة ارتيميو ناديار بإطلاق الرصاص إذا لم يخل المتظاهرون الطريق، إلا أن الحاجز البشري الضخم ظل في مكانه واضطرت القوة في النهاية إلى الانسحاب دون إطلاق النار، وقدم المتظاهرون الطعام والشراب لجنود القوة. وأعطاهم البعض الزهور أيضاً.

وفي صباح الاثنين، وبينما كان ماركوس يوجه خطاباً عبر التلفزيون الحكومي استولى المتمردون على محطة التلفزيون وأوقفت إذاعة الخطاب.

وخلال الفترة من ٢٢ إلى ٢٥ فبراير، أعلنت عديد من الوحدات العسكرية تمردها، وقاد رودلفو بيازون قائد إحدى الفرق العسكرية قوة من ستمائة جندي

للانضمام إلى راموس وازيل. وصدرت الأوامر لإحدى فرق مكافحة الشغب للهجوم على معسكر المتمردين في فجر يوم الاثنين، إلا أنها أعلنت تمردها أيضاً. وفي نهاية تلك الفترة، كان ما يقرب من ٨٠٪ من القوات المسلحة قد أعلنت تمردها.

وفي صباح الثلاثاء ٢٥ فبراير أدت أكينو قسم تنصيبها رئيسة وسلفادور نائباً لها. وفي نفس الوقت، كان ماركوس يؤدي قسم الرئاسة ولكن بدون أي دعم شعبي يذكر. وبناء على نصيحة الولايات المتحدة، هرب ماركوس إلى قاعدة كلارك الجوية الأمريكية في الفلبين في تلك الليلة. وهكذا تمت الإطاحة بالديكتاتور ونجحت الثورة الشعبية بالوسائل اللاعنيفة.

و بنينو أكينو من أشهر رجال المعارضة في الفلبين كان شاباً لا معاً ومن أسرة ثرية وعريقة.. عمل بالسياسة بحماس ونشاط وإخلاص فأحبة الشعب الفلبيني بجميع فئاته وكان أقوى المرشحين للرئاسة لو تم عمل انتخابات بطريقة سليمة وقد تم الضغط على أكينو ومطاردته بواسطة الجيش السري الخاص بماركوس ليس بسبب السياسة فقط وإنما بسبب خلافاته الحادة مع أميلدا ماركوس زوجة رئيس الفلبين التي كانت تكرهه وتحقد عليه لكشفه عن اختلاساتها من أموال الحكومة وفي عام ١٩٧٢م أدخل أكينو السجن ولم توجه له أي تهمة إلا بعد سنة من إيداعه السجن حيث اتهم بالتخريب وأنه السبب في نشاط الإرهابيين بهدف الإطاحة بنظام الحكم فأضرب أكينو عن الطعام لمدة شهر كامل نقل على أثره إلى المستشفى بعد أن تعاطف معه كافة فئات الشعب وقامت المظاهرات الصاخبة من أجله وعم الإضراب أنحاء البلاد وخصوصاً بعد أن أصدرت المحكمة العسكرية حكماً بإعدامه عام ١٩٧٥م ولكن لم ينفذ ذلك الحكم لخوف ماركوس من غضبة الجماهير المتعاطفة مع أكينو.

في عام ١٩٧٨ تم نفيه من البلاد بعد أن تعهد خطيًّا للرئيس ماركوس بعدم تعاطيه السياسة فسافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية ومن هناك أعلن المقاومة

والتحدي فعمت الفوضى أنحاء الفلبين وكثرت الانفجارات والمظاهرات والعصيان المدني لمدة طويلة من الزمن مما اضطر ماركوس إلى تقدم الانتخابات قبل موعدها بعامين ولكن ذلك لم يخفف من حدة غضب الشعب فقرر ماركوس التفاهم مع أكينو في منفاه فأرسل له زوجته أميلدا التي استطاعت إقناعه بالحضور إلى الفلبين والمشاركة في الحكم مع التعهد بتنفيذ كافة طلباته.

حين قرر أكينو السفر من الولايات المتحدة الأمريكية إلى بلاده بعد اجتماعه بأميلدا ماركوس وتعهدها له بتحقيق كافة رغباته توجه أكينو أولاً إلى ماليزيا حيث سلمته المنظمة الإسلامية هناك جواز سفر مزورا حرصاً على حمايتـه ونصحوه أن يلبس قميصاً واقياً من الرصاص فلبسه كما قاموا بتزويده بوفد صحفي على مستوى رفيع مع طاقم من المصورين السينمائيين لتسجيل ذلك الحدث التاريخي بالنسبة للفلبين ثم سافر الجميع على الخطوط الصينية إلى الفلبين من مطار تايبيه.

في الساعة الواحدة ظهراً تم وصول الطائرة المقلة لأكينو ومن معه وفي مطار الفلبين كان هناك آلاف الجماهير الحاشدة في استقباله وحين توقفت الطائرة بالمطار صعد إلى الطائرة ثلاثة من رجال الأمن حيث اكتشفوا ارتداء أكينو للقميص الواقي من الرصاص وطلبوا منه أن يقوم بالنزول من الباب الخلفي للطائرة وعند سلم النزول وقبل أن تلمس قدمه أرض المطار أصابته رصاصة في مؤخرة رأسه فمات من ساعته وفي تلك اللحظة أطلق حرس المطار النار على من قام بقتله حتى تختفي معالم الجريمة.

وما إن يتم سقوط طاغية هنا أو هناك، أو أن يريح الموت شعبًا من ديكتاتور جثم على قلبه لعقود، أو أن تعلن وسائل الإعلام عن وقوع شبكة جريمة منظمة في يد العدالة، حتى يقترن هذا الخبر بسويسرا، وتحديدًا بسبب وجود حسابات وودائع لهؤلاء في بنوكها.

فقد ارتبط اسم سويسرا على الدوام بسرية الحسابات المصرفية التي تدافع عنها الحكومة الفدرالية باستماتة، حتى باتت تعرف بأنها الملاذ الآمن للأموال المسروقة والثروات المنهوبة من جميع بقاع الأرض.

إلا أن السويسريين -لا سيما في أجيال ما بعد الحرب العالمية الثانية- لم يرُقهم أن توصف دائمًا بلادهم الجملية بأنها "تغسل أكثر بياضًا". وحاولت العديد من المنظمات غير الحكومية الضغط على البنوك والجهاز الاقتصادي الرسمي من خلال توعية الرأي العام وكشف الستار عن الوجه القبيح لتعاملات البنوك السويسرية عبر سرية الحسابات، كما بدأت الأنظار عقب أحداث ١١ سبتمبر في التوجه إلى البنوك السويسرية على أساس أن المنظمات الإرهابية قد يكون لأموالها موطئ قدم في هذه البنوك، وهو الأمر الذي نفته الحكومة، كما رفضت الإذعان لأوروبا في المساومة على مسألة سرية الحسابات.

ويرجع تمسك الحكومة بمسألة سرية الحسابات، وعدم الكشف عنها إلى أن ثمّة مصلحة مباشرة من هذه التدفقات المالية، فليس خافيًا على أحد أن سويسرا- أغلى دولة أوروبية وأعلاها في مستوى المعيشة- ليس بها أي ثروات طبيعية سوى الملح والماء وما بها من مناظر ساحرة، أما مصدر ثرائها فهو ما تدرّه عليها بنوكها وشركات التأمين العاملة فيها.

وطبقًا لبيانات البنك الوطني السويسري، تفوق قيمة الأموال المودعة في خزائن البنوك ثلاثة آلاف وخمسمائة مليار فرنك (الدولار = ١,٤ فرنك سويسري)، تدرّ سنويًّا أرباحًا في حدود ١٥ مليار. كما تمرّ ثلث عمليات التداول في البورصات الدولية على مستوى العالم عبر سويسرا.

وبعد أن تجاوزت الانتقادات الموجهة إلى سويسرا المنظمات غير الحكومية، أصبح لزامًا على كبار المسئولين الرسميين الدفاع عن سياسة بنوكها، وهي مهمة ليست سهلة؛ لأنها تحمل في ثناياها ازدواجية في تعامل سويسرا مع هذا الملف،

فالحكومة تنأى بنفسها عن أية انتقادات توجه إليها بأنها تحمي أو تشجع غسيل الأموال وودائع ضحايا الحرب العالمية الثانية وأموال المتهربين من الضرائب، معلّلة ذلك بأن البنوك غير خاضعة لسيطرتها، في الوقت الذي تكتسب فيه جميع المؤسسات المالية حمايتها من القوانين التي تسنها الدولة.

هذه اللعبة المزدوجة بين تنصل الحكومة من تصرفات البنوك في جهة، ودعمها لها من جهة أخرى، متواصلة على الرغم من الضغوط التي أجبرت سويسرا في عام ٢٠٠٢ على تعديل قوانينها بشكل يحاول أن يقضي على ثغرات مختلفة، إلا أن هذه التعديلات في واقع الأمر أشبه بواجهة صلبة تخفي وراءها ثقوبًا كثيرة ينفذ من خلالها من يستطيع التسلل بمفرده أو بمساعدة ما. وتستعمل الحكومة السويسرية هذه القوانين لتبرئة ذمتها أمام منتقديها في الداخل والخارج من دعمها لأي نوع من غسيل الأموال.

ويعتبر ١٩٨٦ عام التحول في علاقة الحكومة بالبنوك، أو بداية الفترة الانتقالية التي ترى فيها المنظمات غير الحكومية أن مساعيها في الضغط على الجهاز الاقتصادي الرسمي كلّلت بالنجاح.

فكان الإعلان لأول مرة عن تجميد أموال أول رئيس دولة بقرار تجميد ٦٤٥ مليون فرنك سويسري تقريبًا في حسابات وودائع الرئيس الفلبيني الأسبق فرديناند ماركوس، وتوجهت أصابع الاتهام إلى أكبر بنكين في سويسرا الآن وهما "كريدي سويس" و"يو بي إس" لضلوعهما في استضافة هذه الأموال المنهوبة من الفليبين.

فعلى سبيل المثال تقدمت الحكومة الفليبينية في عام ١٩٨٦، وإثر الإعلان عن ثروة ماركوس في بنوك سويسرا بطلب لاسترداد هذه المبالغ المجمدة. وبعد أن استقبلت البنوك الوفد الفليبيني الرسمي، أعلنت بعد يومين من المفاوضات أن الوفد غير مرغوب فيه "لتدخله في شؤون البنك الخاصة". ثم توصلت الدولتان في

عام ١٩٩٨ إلى حل وسط تم بموجبه نقل ٦٤٥ مليون فرنك إلى العاصمة الفليبينية، ولكن في حسابات مجمدة! أي أن الفصل في تحويل النقود إلى الفلبين استغرق وحده ١٢ عامًا، ولن يفرج عنها إلا بعد الفصل القانوني في أسلوب توزيعها، ولا حديث عن أرباح هذه الملايين طيلة عقد كامل.

يعتبر الدور الأمريكي في الفليبين أهم عامل أجنبي مؤثر في توجهات وسياسات الدولة، وهو حاضر في أبعاد مختلفة من تطورات الأوضاع فيها خلال العقود الماضية وما زالت حكومة الفليبين تنظر إلى واشنطن نظرة الحليف والمعين لأسباب كثيرة، فتاريخيًّا وكما هو مشهور فإن الفليبين قد بيعت بشعبها بعشرين مليون دولار من قبل الأسبان للأمريكان، ومع أن واشنطن قد دخلت بجيوشها إلى فيتنام ودول الهند الصينية فإنها لم تستمر في بقائها كما حصل في الفليبين منذ ١٠ ديسمبر ١٨٩٨ إلى نهاية القرن العشرين، ومع أن أسبانيا لم تستطع إخضاع المسلمين جميعًا فإنها دفعتهم جغرافيًّا إلى الجنوب، ومع أن الولايات المتحدة وقعت اتفاقيات سلمية مع بعض السلاطين المسلمين فيما عرف باتفاقية باريس في ٢ أغسطس ١٨٩٩، فقد ألغتها من جانب واحد بعد أعوام على يد الرئيس الأمريكي فرانكلين روزلفت الذي لم يَفِ بعهده.

واستمرت الولايات المتحدة في غرس النصارى في مؤسسات البلاد التي جمعت في كومنولث في عام ١٩٣٥ وبعد الحرب العالمية الثانية، وتحديدًا في عام ١٩٤٦، عادت واشنطن لتمنح نصارى جزر الشمال الاستقلال وتسلمهم حكم الجنوب، وبقيام الولايات المتحدة بهذه الخطوة أسست أول دولة كاثوليكية في جنوب شرق آسيا، وهي حتى الآن الوحيدة - إذا استثنينا تيمور الشرقية - التي تُعَدُّ الثانية بهذه الصفة، ومنذ عام ١٩٥١ والولايات المتحدة والفليبين يتعاونان عسكريًّا في ظل اتفاقية دفاع مشتركة وتمدُّ واشنطن حليفتها بالأسلحة القديمة والجديدة باستمرار بلا مقابل مادي، بالإضافة إلى شراء مانيلا لأسلحة تقدر بـ ٨٠٠ مليون دولار منذ استقلالها، وهو مبلغ كبير بالنسبة إلى قوتها الاقتصادية. وفي زيارة

الرئيس الفليبيني جوزيف استرادا التي اختتمها في بداية شهر أغسطس ٢٠٠٠م تجدد الدعم الأمريكي بشكله الرسمي والعلني من قبل واشنطن للفليبين بعد ٨ سنوات من التعثر في المجال العسكري بشكل خاص.

عملت المخابرات المركزية الأمريكية على الاعتماد على مانيلا كقاعدة إقليمية في منطقة جنوب شرق آسيا التي تجمعها رابطة آسيان منذ السنوات الأولى لتأسيس دولة الفليبين وحتى عام ١٩٩٢ على الأقل، وكانت منذ وقت مبكر تتبع تفاصيل تحركات الحكومة الفليبينة ومنها معرفتها لنيَّة الرئيس السابق والمخلوع ماركوس أن يعلن الأحكام العرفية في البلاد، وكانت عاملاً أساسيًّا في مواجهة مدّ الحركات الشيوعية، وراقبت التطورات المشابهة في دول جنوب شرق آسيا المجاورة التي كانت مهددة بالمد الشيوعي في الستينيات وحتى الثمانينيات.

وكما تشير دراسة هامة للبروفيسور رونالد جي. سيمبولان الذي يشغل منصب منسق لبرنامج دراسات العاصمة مانيلا في جامعة الفليبين، بعنوان: "المخابرات المركزية الأمريكية في مانيلا: العمليات الخفية والتاريخ المجهول في الفليبين"، فإن مانيلا: "كانت وما زالت محطة رئيسة بل المركز الرئيسي الإقليمي للمخابرات المركزية الأمريكية في جنوب شرق آسيا، وهذا قد يعود لكون الفليبين اعتبرت معقل القوة الأمريكية الإمبريالية في آسيا".

و"بسبب أن الفليبينيين المتأمركين كانوا متأثرين بسيل الثقافة الأمريكية فقد كان من السهل تجنيدهم دون أن يدركوا أنهم يرتكبون جريمة الخيانة ضد شعبهم وبلدهم، وهذا ما سهَّل الحضور الأمريكي العسكري متمثلاً بالمظاهر والبنية التحتية القوية للقوة الأمريكية في البلاد منذ بداية القرن العشرين وحتى عام ١٩٩٢م" عندما انسحبت القوات الأمريكية من الفليبين بعد ٩٩ عامًا من وجودها.

وقد تمثل أبرز ملامح التعاون بين المخابرات الأمريكية والرئيس الفليبيني ماركوس في مواجهة الحركة الشيوعية، حيث كان للمخابرات الأمريكية دور واضح

في ذلك، "ففي أواخر الثمانينيات عيَّنت المخابرات الأمريكية المحارب الأمريكي القديم في فيتنام الجنرال جون سينغلاوب؛ لينظم مجموعات مليشيات شعبية ضد الشيوعيين على امتداد الفليبين في فترة شهدت الإرهاب الجماعي. .كجزء من سياسة الدولة التي أعلنت الحرب الشاملة على الحركة الشعبية".

ولكن في أواخر الثمانينيات تغيرت سياسة الولايات المتحدة تجاه ماركوس بعد أن بدا بوضوح أن ديكتاتوريته ستسقط، فحاولت المخابرات الأمريكية أن تثني حكومتها عن الارتباط به، والتأثير - بدلاً من ذلك - على الخريطة السياسية الجديدة لعهد ما بعد ماركوس، فقد أمرت المخابرات وكالة الولايات المتحدة للتنمية الدولية لتمنح تمويلاً سخيًّا لكونجرس الاتحاد التجاري الفليبيني، ليكون بمقدوره إعداد دراسة شاملة عن الخطة الاقتصادية الجديدة بشراكة بين أصحاب رؤوس الأموال والعمال، بل إن وكالة العون الدولي الأمريكية أسست مركزًا مؤقتًا لإعانة كونجرس الاتحاد التجاري في مانيلا؛ لتعمل جنبًا إلى جنب على "رسم خطة الإصلاح الاقتصادي لتعثر الإنتاج الزراعي، وتتماشى مع برنامج مواجهة التمرد وإضعاف اضطرابات الفلاحين".

وقد سمحت الولايات المتحدة "بتأسيس عمل سري ضد قوى اليسار في الفليبين بما في ذلك معونة قدرها ١٠ ملايين دولار للقوات المسلحة الفليبينة في مجال عمليات جمع المعلومات المتقدمة".

كما أن "المعونات السياسية التي تشرف عليها محطة المخابرات الأمريكية في مانيلا والتي تقوم بعمليات سرية واسعة النطاق، أشرفت كذلك على إدارة حملات انتخابية لضمان نتيجة لصالح الولايات المتحدة، ومنح أموال لمسؤولين حكوميين تحت غطاء المعونات، وتمويل مجموعات تجارية ومدنية تفضلها واشنطن، وشن حملة دعائية بين السكان لصالح الولايات المتحدة، وتوفير المعلومات التي يحتاجها الجيش الفليبيني عن الناشطين والمعارضين".

ومن بين الواجهات التي كانت الولايات المتحدة تستخدمها "مؤسسة آسيا" في قرية ماجلان في مدينة ماكاتي، وقد كانت تموِّل الجماعات المعروفة بمعاداتها للشيوعيين والشخصيات الداعمة للموقف الأمريكي من صحفيين وأكاديميين ومسؤولين ومديري مؤسسات وغيرهم من الشخصيات المؤثرة.

وكانت الواجهات المؤسسية التابعة للمخابرات تقوم بنشر معلومات في عموم آسيا تتسم برسم صورة سوداوية عن الدول الشيوعية والمعسكر اليساري في الدول غير الشيوعية المهددة بانتشار الشيوعية فيها.

ولا تزال تثار تساؤلات هامة عن دور المخابرات الأمريكية في وفاة الزعيم القومي الفليبيني كلارو ريكتو: هل مات بذبحة صدرية أم مات مسمومًا؟ وقد أثبتت الوثائق "أن رئيس محطة المخابرات الأمريكية في مانيلا والسفير الأمريكي قد ناقشا أمر اغتيال ريكتو بالسم، وبعد سنوات كان ريكتو قد قتل في حادثة غامضة قيل بأن ذبحة صدرية تسببت في وفاته بالرغم من عدم معرفة أحد بمعاناته من مرض قلبي وقبل وفاته كان آخر مرة شوهد فيها ريكتو هو اجتماعه بغربيين في جناح تجاري بفندق... وقبل هذا عملت الولايات المتحدة بكل ما في وسعها لضمان خسارة ريكتو في انتخابات عام ١٩٥٧ الرئاسية، حيث شنَّت المخابرات الأمريكية حملة تشويه ضد ريكتو.

ومن ناحية أخرى فإن الرئيس السابق للفليبين رامون ماغاسيسي بدأت علاقته بالمخابرات الأمريكية منذ وقت مبكر عن طريق الكولونيل إدوارد لانسديل الذي عينه رامون مستشاره العسكري لكن سيمبولان يقول بأنه لم يكن مستشاره العسكري فحسب، بل كان "كاتب خطبه، وهو الذي حدد له سياسته العسكرية والخارجية".. وفي عهده تم الإعلان عن مجموعتين للصداقة عملتا على تنظيم برامج "لتسهيل سفر الفليبينيين إلى الدول الآسيوية الأخرى في عمليات غير تقليدية مغطاة بدعم من الحكومة الفليبينة". ومن خلال هذه البرامج استطاع المستشارون الأمريكان

لمجموعة الاستشارات العسكرية المشتركة (جامساغ) ومحطة المخابرات في مانيلا القضاء على حركة هوكبلهاب القومية التي عارضت سياسات الحكومة الفليبينية في الفترة ما بعد الحرب، وعارضت الاتفاقية التعاونية العسكرية بين مانيلا وواشنطن.

وللحفاظ على دعم معلوماتي مستمر لعملياتها السرية، عملت المخابرات الأمريكية ووكالة الأمن القومي الأمريكي على الاعتماد على "مشروع إيشيلون"، وهو برنامج متقدم للغاية تقنيًّا في قدرته على مراقبة وتحليل كل الرسائل المتجهة عبر الفاكس والبريد الإلكتروني والإنترنت والهواتف النقالة والثابتة في الفليبين والدول المجاورة في جنوب شرق آسيا عبر أقمار صناعية داعمة ومحطات أرضية في أستراليا ونيوزلندة وكندا والولايات المتحدة وبريطانيا، ويتمركز مركزها العصبي لمراقبة كل أشكال التواصل في ماري لاند، حيث يقع المركز الرئيسي لوكالة الناسا الأمريكية.

ولا تعمل المخابرات الأمريكية في جمع المعلومات فحسب، ولكنها تقوم بعلميات تخريب وتدخل في سيادة الفليبين وقراراتها وسياساتها القومية، وقد أكد وكلاء المخابرات السابقون استغلال القسم السياسي في السفارة الأمريكية والغطاء الدبلوماسي في تسيير أعمالها، كما تستغل المخابرات الأمريكية مؤسسات أمريكية أخرى في الفليبين لأعمالها الإقليمية، مثل مركز الخدمات الأمريكية الإقليمي كواجهة لخدمات واشنطن الإعلامية والدعائية من خلال طباعة وإصدار أفضل المجلات الملونة والملصقات والمنشورات وغيرها ونشرها بين عامة الناس، وبلغات آسيوية متعددة بلغت ١٤ لغة آسيوية "[1] وهو ما يثبته الواقع، حيث تظهر من آن إلى آخر إلى اليوم في الدول الآسيوية كغيرها ملصقات على المنازل والسيارات والمحلات وأخرى تعلق على الصدور وغير ذلك وكلها لا معنى لها سوى الدعاية لأمور غربية، هذا بالإضافة إلى المجلات والنشرات والمواقع الشبكية التي تُعَدُّ من أسهل الوسائل الإعلامية إعدادًا ونشرًا.

الولايات المتحدة هي البلد الوحيد الذي وقعت الفليبين معه اتفاقية دفاعية ثنائية حتى الآن، وكانت العلاقات العسكرية المباشرة ظلت تتسم بالمتانة حتى عام ١٩٩٢م عندما صوَّت الكونجرس لصالح إخراج الجنود الأمريكان من قواعدهم عام ١٩٩٢م، ورفضوا تمديد فترة اتفاقية التعاون، لكن ذلك لم يوقف المعونات العسكرية نهائيًّا مع ضعف التعاون بين الجيشين ولكن التبادل التجاري اتجه للازدياد، ولم تَعُد العلاقات العسكرية إلى ما كانت عليه إلا عندما أحيا الكونجرس اتفاقية التعاون الدفاعي فبعد ذلك، والتي ستمهد لزيارات عسكرية للجيش الأمريكي إلى جزر الفليبين، وكان وزير الدفاع الأمريكي ويليم كوهين قد زار الفليبين في شهر يوليو لهذا الهدف.

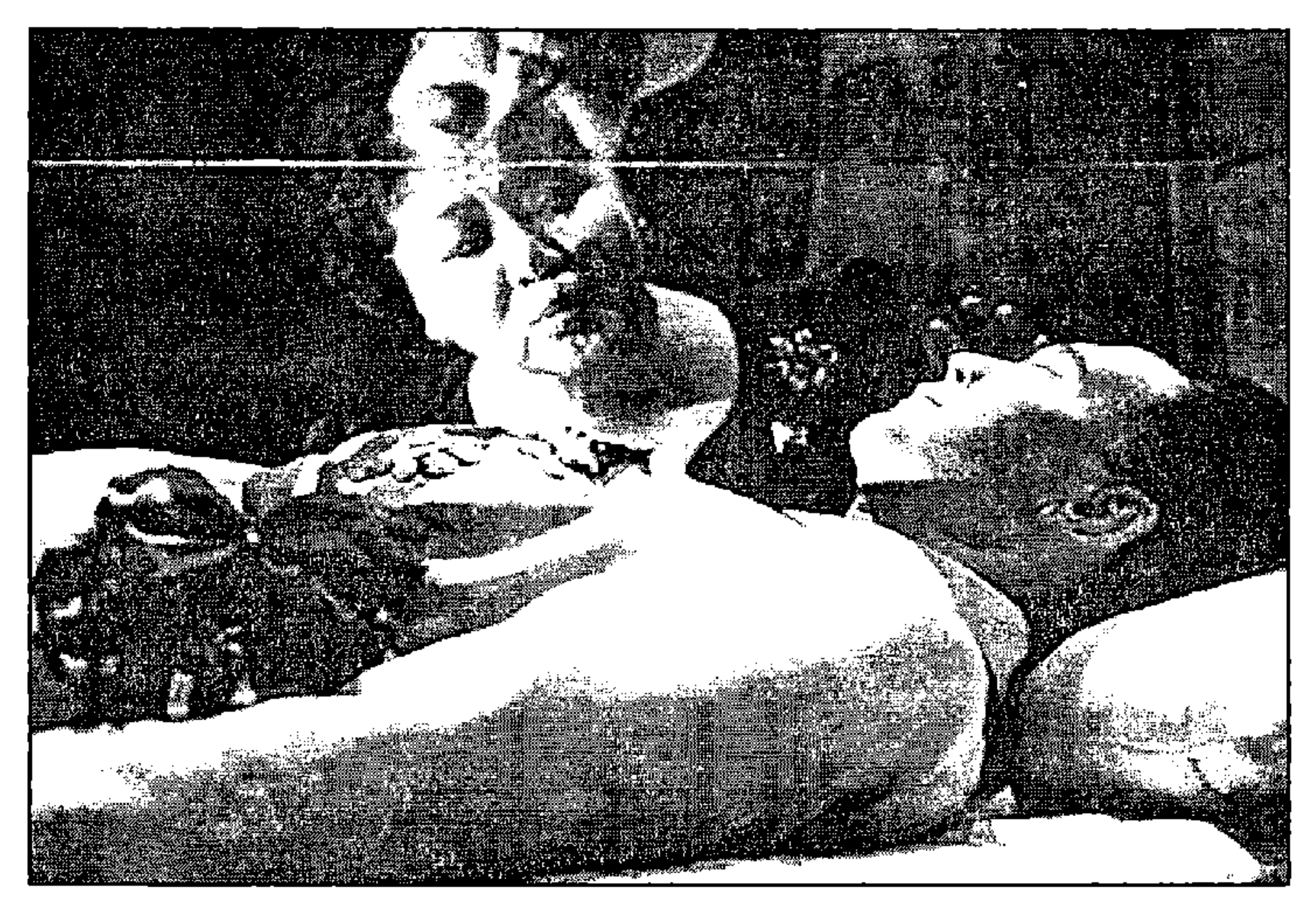
ولكن وحتى بعد انسحاب القوت الأمريكية من الفليبين فلا يكاد يتسلم رئيس منصب الرئاسة في مانيلا من سابقه إلا ويستلم مساعدات أمريكية جديدة لمواجهة من يهدد كيان الدولة التي عملت على تأسيسها واشنطن؛ ولذلك عمل الرئيس استرادا في آخر عام ١٩٩٩م ونجح في جعل الكونجرس الفليبيني يوافق على إحياء اتفاقية التعاون العسكري المشترك لعام ١٩٥١ والتي تسمى حاليًا باتفاقية القوات الزائرة، وفي هذه الأيام يُعَدُّ المسلمون في الجنوب هم المعنيين فلم يَعُد للشيوعيين تلك القوة المهددة رغم وجود تنظيمهم العسكري – وهو جيش الشعب الجديد – حتى الآن، وله عمليات محدودة؛ ولذلك تدفق الدعم الأمريكي وتأثير واشنطن في السياسة الفليبينية.

وخلال زيارة الرئيس جوزيف استرادا – وهي الأولى بالنسبة له – إلى الولايات المتحدة في أغسطس ٢٠٠٠، حصل على دعم خاص للفليبين يختلف عن دعم واشنطن للدول الأخرى، ولم يكن الشيوعيون هم الهدف، ولكن إعانة الجيش الفليبيني على الثوار من مسلمي مورو باسم "إعادة تأهيل جزر مينداناو"، وذلك بـ ١٠٥ ملايين دولار تعهدت أمريكا بتوفيرها للجيش الفليبيني على لسان الرئيس الأمريكي بيل كلينتون خلال اجتماعه باسترادا الذي أكد تعهد بلاده بتوفير المعدات العسكرية التي تحتاجها مانيلا للجيش.

وعلى المستوى الدولي تحتاج مانيلا لمعدات عسكرية كافية لإثبات حضورها العسكري في منطقة جزر سبارتلي التي تقف الصين في الطرف الآخر منها مطالبة دول آسيان وعلى رأسها الفليبين بالسيطرة عليها.

وكان الرئيس استرادا بعد أيام من الإعلان عن إسقاطه معسكر "أبو بكر الصديق" القاعدة الرئيسية لجبهة تحرير مورو الإسلامية، وقف ليخطب بكلمة الرئيس السنوية التي لاقت بعدها مظاهرات ومواجهة بين جموع الجماهير ورجال الأمن، فقد أنهى عامين من أعوامه الرئاسية الستة وما زالت الانتقادات تتوجه إليه حول عدم قدرته على قيادة سفينة تعافي الاقتصاد؛ فقد تراجعت نسبة النمو وارتفعت نسبة البطالة لمعدل هو الأعلى منذ ٨ سنوات، ثم إنه جرَّ البلاد لأشرس حرب منذ السبعينيات مع مسلمي الجنوب، كلَّفت المسلمين ممن يدعي أنهم مواطنون في بلده مليون لاجئ، وكلفت الموازنة عجزًا بلغ ثلاثة أرباع مجموعها لهذا العام، لكن الذي كان يهمه هو أنه حمل معه أنباء نصره الكاذب، وهو يعلم جيدًا أنه لم ينتصر على الجبهة، ولم يسيطر على معسكرها ولا عشرات المعسكرات التي تدعي حكومته إسقاطها. ومع ذلك اتجه ليبشر كلينتون ببوادر انتصاره على "الإرهاب"، وليؤكد له أن "الأمور تسير لصالحنا"؛ ليأخذ بذلك دعمًا عسكريًّا وغير عسكري، بل إن المسؤولين الفليبينيين وزعوا على الصحافة الأمريكية مقالة بعنوان: "عدو أمريكا يموِّل الثوار الانفصاليين في الفليبين"، كنوع من إثبات جدوى المعونة الأمريكية لمواجهة ثوار جنوب الفليبين، وهو ما حصل عليه استرادا في النهاية.

وبعد أن كان استرادا يدعو إلى طرد القواعد الأمريكية من بلاده، أكد في واشنطن خلال زيارته رجوعه عن رأيه السابق وتأييده لحضور أمريكي اقتصادي قوي مع الوعد بعلاقات أمنية ودفاعية جيدة، وقال مخاطبًا كلينتون: "لم يقف أي حليف معكم طوال العقود الستة الماضية في كل حرب - وخلال خير الأيام وسيئها- كما وقفت الفليبين معكم".



ماركوس في المنفى ومعه زوجته إميلدا في لحظاته الأخيرة.

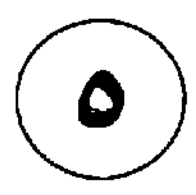
وتعهد استرادا لكلينتون بأن مانيلا ستعاود التدريبات العسكرية المشتركة بالرغم من وجود معارضة محلية لها، على أساس إعادة المصادقة في عام ١٩٩٩م على اتفاقية القوات الزائرة مع الولايات المتحدة، وأكد له أن موقف بلاده ما زال متمسكًا بدور مؤثر للولايات المتحدة في أمن المنطقة الإقليمي.

وكما هو معلوم عن السياسة الأمريكية تجاه كثير من حلفائها أنها لا تولي أخطاء - وحتى انتهاكات - الحكومة الحليفة على المستوى المحلي اهتمامًا ما دامت تخدم مصالحها الإستراتيجية بمعناها الأوسع؛ فالرئيس ماركوس لاقى دعمًا أمريكيًّا بالرغم من كل ديكتاتوريته ودمويته، ولم تتخلَّ عنه واشنطن إلا بعد أن استنفد أغراضه. واليوم يتكرر المشهد؛ فتُهَم الفساد المالي والفشل الاقتصادي تحاصر الرئيس استرادا، لكنه تلقَّى "ترحيبًا حارًّا" من قبل الرئيس كلينتون الذي استقبله

بحضور ٢١ موظفًا فليبينيًّا يعملون في البيت الأبيض، وهو ما يثبت عمق الثقة بين الحكومتين.

وقد استضاف استرادا في نيويورك إحدى المؤسسات الأمريكية المعنية بآسيا، وتعرف باسم "الجمعية الآسيوية"، وهي تُعَدُّ من أكثر المؤسسات البحثية والتخطيطية نفوذًا في العلاقات الأمريكية - الآسيوية، وقد أسست قبل ٤٤ عامًا. والملفت للنظر هو أن الذي يرأسها هو ويليام نيشولاس بلات السفير الأمريكي السابق في مانيلا، وهذا ما يثير تساؤلاً حول كونها مثالاً آخر لاستخدام المخابرات الأمريكية "لمؤسسة آسيا" المذكورة آنفًا كواجهة لأعمالها.

▪▪▪



سوهارتو..

و"فرمان" مادلين أولبرايت!!



نموذج عملي آخر لنظرية التخلي الأمريكي عن الحلفاء في مجال التطبيق هو: تخليها عن سوهارتو: الرئيس الأندنوسي الأسبق. لقد كان الرجل حليفا قويا للولايات المتحدة: لم يعص لها أمرا، لا في السياسة، ولا في الاقتصاد، ولا في الأمن الاستراتيجي، ولا في الإسراف في خدمتها في مواجهة المد الشيوعي: في أندنوسيا وما حولها.

لقد كان بحق الجنرال الأمريكي في الجيش الإندنوسي، ثم في حكم أندنوسيا.. ثم كانت عاقبته: السقوط المخزي من الحكم الذي كان سببه المباشر (ثورة شعبية) ضد تدخلات البنك الدولي التي أدت إلى انهيار مروع في معايش غالبية الشعب الإندنوسي، ومعروفة هي ارتباطات سياسات البنك الدولي، بأجندات أمريكية معينة: ـ سياسية واقتصادية ـ وعندما سقط الرجل الحليف، بل قبيل أن يسقط: تفنن الإعلام السياسي الأمريكي في وصمه بالدكتاتورية والجهل والفساد وإساءة استعمال السلطة.. الآن تتهمونه بذلك، وقد علمتم من قبل أنها رذائل اتسم بها حكمه عبر أربعين عاما تقريبا، علمتموها فالتزمتم صمت الحجارة تجاهها.. إن هذا النفاق السياسي الهائل إنما هو مجرد تسويغ لنظرية التخلي عن الحلفاء !!

في عام ١٩٦٨، دبرت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية " سي . آي . إيه " انقلاباً عسكرياً يقوده سوهارتو ضد رئيس اندونيسيا الشرعي سوكارنو الذي قاد البلاد نحو الاستقلال .

ولد سوكارنو، حيث كانت جاوة – وما جاورها مما عرف بإندونيسيا لاحقًا – رهن الاستدمار (الاستعمار) الهولندي الذي بدأ غزوها في ١٦٠٥، وبالرغم أنه نشأ في عالم الثقافة الجاوية وتقاليدها، فإن والده أرسله إلى المدارس الهولندية الحديثة. وهناك التقى وتأثر بالقادة القوميين أمثال تجوكروامينوتو الذي كانت ابنته أولى زوجات سوكارنو الأربعة، والذي كان في منزله قرار سوكارنو بالإبحار في عالم السياسة لا العمل في مجال تخصصه، حيث إنه تخرج في معهد باندونغ التكنولوجي عام ١٩٢٦.

وإذا أردنا أن نختار شخصيات أثَّرت في التاريخ الإندونيسي الحديث، فإن سوكارنو سيكون من بينها بلا شك؛ فقد كان من الزعماء القوميين الذين عملوا لتحرير بلادهم من سيطرة هولندية دامت ٣٥٠ عامًا؛ والأكثر من ذلك تشكيلها الموحَّد المعروفة به إندونيسيا اليوم.

فسوكارنو هو الزعيم الآسيوي الوحيد الذي قاد بلدًا يضم عشرات الجماعات العرقية والإثنية والثقافية – بل والدينية – نحو دولة موحَّدة في جنوب شرق آسيا بهذا الحجم.

كان سوكارنو شخصية كاريمزماتية جذَّابة تطرب أحاديثه مسامع المصغين لساعات أحيانًا؛ وكان ماهرًا في التحبب للجماهير والاختلاط بها بأسلوب يؤثر في الناس، وهو ما جعله يبرز جماهيريًّا على حساب الشخصيات الوطنية الأخرى، وتميز بقدرته على الإقناع.

وفي عام ١٩٢٧، شارك سوكارنو في تأسيس ثاني الحركات القومية التي تسعى لتحرير البلاد وميلاد "قومية إندونيسية"، والتي بدورها ولدت "الحزب القومي الإندونيسي" الذي زجَّت نشاطاته بسوكارنو في المحاكم الهولندية؛ فدافع فيها عن نفسه لمدة عامين حتى أطلق سراحه في ١٩٣١، فاستقبلته الحشود استقبال الأبطال.

وفي تلك السنوات، برز سوكارنو الشاب بأسلوبه الخطابي الجذَّاب على أنه الناصح المخلص، فاستغل هذه الموهبة – التي احتاج لها الإندونيسيون في تلك الفترة– في إحياء الثقة في نفوس سكان الأرخبيل، وإشعارهم بأنهم "شعب إندونيسيي موحَّد"؛ وليسوا جاويين أو آتشيين أو باليين أو سومطريين؛ ولذلك فإن أهم ما قدمه لبلاده هو أنه وهب حياته لقضية الوحدة، مع أن ذلك لا ينكر دور الشخصيات الوطنية من التيارين الإسلامي والقومي، فلا ننسى أن أول حركة -وحزب- ظهرت بشعارات وطنية في القرن العشرين كانت "شركة التجار المسلمين" التي ظهرت في عام ١٩٠٩.



الجنرال سوهارتو رجل أمريكا في إندونيسيا تحتفي به مجلة " تايم " الأمريكية بعد إطاحته بالزعيم الوطني والرئيس الشرعي سوكارنو لحسابها !!

لكن التاريخ لم يكن رحيمًا بسوكارنو؛ فالناقدون له من الوطنيين والإسلاميين انتقدوه لميله للفكر الشيوعي، أما الإسلاميون فيخصِّصون نقدهم بأنه عمل على بناء دولة علمانية إلى جانب عمله على استقلالها موحَّدة؛ فقد كان من المعجبين بكمال أتاتورك وبعلمانيته المتطرفة. أما الغربيون، فإنهم نظروا إليه على أنه الزعيم الثوري الذي رفض المعونة الأمريكية، ومال نحو المعسكر الشرقي الأحمر، وقال لأمريكا: "لتذهبي إلى الجحيم".

وقد سحب بلاده من عضوية الأمم المتحدة، وأعلن سياسة المواجهة ضد ماليزيا التي توسع اتحادها في عام ١٩٦٣ معتبرًا إياها يد بريطانيا في المنطقة. والحقيقة، أنه لم ينضب حب الغرب له، إلا بعد أن أصبحت الشيوعية في بلاده شبحًا يخيفهم ويخيف الكثير من الإندونيسيين قبلهم. وهذا ما جعل الغرب يغيِّر موجة الحديث عنه، ليحول آلاته من التلميع إلى التشويه باتهامه بتواطئه مع اليابانيين خلال الحرب العالمية الثانية، والحديث عن ديكتاتوريته في سنواته الأخيرة.

فسوكارنو - بلا شك - استخدم شبكة الإذاعة اليابانية في حملته القومية لإحياء شعوب الجزر من سباتها الذي دام طويلاً. وهكذا شهد العالم بطولات الإندونيسيين بعد شهرين من إعلان سوكارنو الاستقلال، حينما عادت قوات الحلفاء إثر هزيمة اليابان، محاولة استعادة السيطرة الهولندية على إندونيسيا.

وقد استمرت فترة ما بين إعلان الاستقلال والحصول عليه فعليًّا حتى عام ١٩٤٩، الذي أُجبر الهولنديون فيه على الاعتراف بميلاد دولة سُمِّيت بـ"الولايات المتحدة الإندونيسية"، غير أن سوكارنو عاد ليلغي الفيدرالية بعد عام ويعود لنظام الجمهورية المركزية في عام ١٩٥٠.

وفي عام ١٩٥٥م، عُقدت أول انتخابات وآخر انتخابات ديمقراطية حقيقية عرفها الإندونيسيون حتى عام ١٩٩٩، والتي حصل فيها حزب سوكارنو (الحزب القومي) على ٢٢,٣٪، وحصل الإسلاميون من مجلس شورى مسلمي إندونيسيا على ٢٠,٩٪، وحزب نهضة العلماء على ١٨,٤٪، والحزب الشيوعي على ١٦,٤٪.

ولم تغب الحركات الانفصالية عن حكم سوكارنو - كما هو الحال اليوم منذ عام ١٩٥٨ - ومنها تمرد عسكريين في سومطرة بدعم من المخابرات الأمريكية، الأمر الذي أجبر رئيس الجيش الإندونيسي آنذاك "عبده الحارث ناسوشين" على إعلان مفهوم "الطريق الوسط" الذي من خلاله دعَّم نفوذ المؤسسة العسكرية في الحياة السياسية والاجتماعية والإدارية، ثم جذّره سوهارتو من بعده.

وفي الحديث عن ديكتاتوريته، يرى المؤرخون أنه لم يكن مسيطرًا بهذه الصورة على بلاده إلا في السنوات الستة الأخيرة من مجموع ٢٠ عامًا، وذلك عندما ألغى الحياة الديمقراطية، وأقدم على الحكم بقبضته المنفردة تحت قناع "الديمقراطية الموجهة" في عام ١٩٥٩ الذي عاد فيه لدستور ١٩٤٥ لاغيًا دستور مجلس الشعب لعام ١٩٥٥.



سوكارنو أصرت أمريكا على تصفيته وكان عميلها سوهارتو هو مخلب القط ومع ذلك باعته كالعادة !!

والمدافعون عنه يحاولون إيجاد تبرير لذلك، قائلين بأن البلاد عاشت فترة ديمقراطية غير مستقرة وسط تناحر أكثر من ٦٠ حزبًا - دمجها سوكارنو في ١١- وتغيرت حكوماتها كل عام تقريبًا بتشكيلات تحالفية مختلفة، غير أن سوهارتو والعسكر الذين استلموا الحكم منه حكموا إندونيسيا في ظل ديكتاتورية أشد دامت ٣٢ عامًا تحت قناع آخر هو "النظام الجديد" الذي سقط في عام ١٩٩٨. ومع ذلك، فلا تزال البلاد تعيش مخلفات رئيسيها الواقعية بعيدًا عن الأقنعة الدعائية.

كان سوكارنو يسمِّي القرن الـ٢٠ بقرن "التدخلات" من قبل القوي في شؤون الضعيف، مشيرًا بحديثه هذا إلى تدخل أجهزة المخابرات الغربية - وعلى الأمريكية- التي كان لها نشاط واسع لمواجهة المد الأحمر. وهي النشاطات التي كانت نهايتها - كما حدث في إفريقيا وأمريكا اللاتينية - إسقاط حكمه، ودعم العسكر الذين عرضوا على الغرب الولاء، ولقوا منه الإشارة الخضراء بإسالة الدماء من أجل وقف السرطان الشيوعي، الذي كان أقوى سرطان شيوعي في بلد خارج الدول الشيوعية.

والحديث عن المخابرات الغربية - ودورها الخفي في تلك الفترة في إندونيسيا- يشير مباشرة إلى الشهادات التي كُتبت ونشرت من قبل أمريكان وبريطانيين عديدين عما حصل في ليلة ٣٠ سبتمبر ١٩٦٥، التي قيل إن انقلابًا عسكريًّا شيوعيًّا رُتِّب للسيطرة على الحكم، وتحويل إندونيسيا إلى بلد شيوعي، حيث قُتل في تلك الليلة ٦ جنرالات من الجيش، لكن رئيس الجيش استطاع الهرب؛ وفي صباح اليوم التالي ظهر الجنرال سوهارتو - الذي دعَمته المخابرات الغربية وكان يرأس قوات الاحتياطي الإستراتيجي - ناجيًا من المذبحة، ومعلنًا سيطرته على البلاد متهمًا الحزب الشيوعي بما حصل.

وهنا يبدأ الحديث عن أكثر صفحات إندونيسيا الحديثة دموية، حيث انطلقت عملية سحق وتطهير أيدلوجي راح ضحيته على أقل تقدير ٤٠٠ ألف؛ وقد يكونون ضعف هذا العدد ممن اتهموا بأنهم شيوعيون، ومن ذوي الأصول الصينية على اعتبار أنهم متعاطفون مع الصين.

ولعل كل من حاول ذكر سوكارنو وسوهارتو في موضع واحد لا بد أن يشير إلى تلك الصفحة الرمادية من التاريخ، التي كانت إيذانًا بإيقاف دموي للمد الأحمر وإسقاط لسوكارنو الذي كتب رسالة يوم ١١مارس عام ١٩٦٦ يعطي الجنرال سوهارتو صلاحيات أمنية واسعة، وذلك بعد مظاهرات طلابية حاشدة، تطالب سوكارنو بالاستقالة، وبعد تراجع شعبيته بشكل كبير، الأمر الذي انعكس مباشرة في قرار البرلمان الإندونيسي عام ١٩٦٧ بتعيين سوهارتو رئيسًا للبلاد بدءا بعام ٦٨.

وذلك كان بداية عهد حكم برئاسة جنرال توجّه بالبلاد اقتصاديًّا وثقافيًّا نحو أمريكا، مستمرًّا في تثبيت علمنتها، كما فعل سوكارنو في المقابل بتوجهه نحو الشرق، مع أن الإسلام والإسلاميين كانا جزءاً أساسيًّا من "الإجماع القومي" الذي قاد البلاد نحو الاستقلال.



سوهارتو مع الرئيس الأمريكي الراحل ريتشارد نيكسون في البيت الأبيض بعد إطاحته بسوكارنو بدعم أمريكي !!

لقد كان رئيس إندونيسيا الأسبق سوهارتو، الذي نجحت واشنطون في تحويله من زعيم وطني إلى عميل، صديقا حميما للأمريكان وعميلا قويا طالما ساندوه ضد مصالح شعبه حتى استقر في الحكم ٣٣ عاما، ولكن عندما اشتدت حركة المعارضة الشعبية ضده، قالت له مادلين أولبرايت ببساطة "عليك أن تتخلى عن الحكم كأي جنتلمان".. وقال رجل أعمال نافذ وحليف قوي للأمريكان "كان لابد أن نحدث تغييرا من أعلى حتى لايحدث تغيير من أسفل"

سوهارتو هو الرئيس الثاني لإندونيسيا حكم لمدة تزيد عن الثلاثين عاما حوّل خلالها إندونيسيا إلى دولة تابعة لأمريكا .

ولد سوهارتو سنة ١٩٢١ لأسرة تشتغل بالزراعة في وسط جزيرة جاوا، وعاش متنقلا بين أمه وأبيه وأقاربه بعد انفصال والديه ولم يكن قد جاوز عمره السنتين.

تلقى سوهارتو تعليمه في مدرسة جاوية محلية، ثم عمل لفترة قصيرة في أحد البنوك ليلتحق بعد ذلك بجيش الاحتلال الهولندي سنة ١٩٤٠. وفي سنة ١٩٤٢ رقي سوهارتو لرتبة رقيب.



Bloomberg TELEVISION — BLOOMBERG TELEVISION bri[ngs] you money and market news, 24 hours a day.

Suharto, Indonesian Dictator for 32 Years, Dies at 86 (Update3)

Jan. 27 (Bloomberg) -- Former Indonesian President Suharto, who ruled the world's largest Muslim population for almost 32 years and was ousted amid economic strife, allegations of corruption and violent pro-democracy protests, died today in a Jakarta hospital. He was 86.

The cause of death was multiple organ failure, Djoko Rahardjo, one of Suharto's doctors at the Pertamina Hospital in the Indonesian capital, told reporters.

خبر وفاة سوهارتو كما نشرته الصحف الأمريكية التي نسيت أنه كان صنيعة واشنطون..

وعنوانه وفاة ديكتاتور أندونيسا بعد٣٢ عاما من الحكم الاستبدادي !!

وبعد اجتياح القوات اليابانية لإندونيسيا إبان الحرب العالمية الثانية اقتنع سوهارتو بإمكانية تحرير إندونيسيا من الاستعمار الهولندي فانضم إلى القوات اليابانية.

وفي سنة ١٩٤٥ التحق بالجيش الإندونيسي حديث التأسيس بعد استسلام اليابان في نفس السنة وإعلان إندونيسيا الاستقلال، وشارك في حرب السنوات الخمس ضد هولندا والتي انتهت باحتلال القوات الهولندية للعاصمة جاكرتا ومدينة يوغاربكارتا. غير أن عمليات عسكرية قادها سوهارتو مكنت من استعادة يوغاربكارتا ومن ثم موافقة هولندا على الانسحاب من كامل الأراضي الإندونيسية باستثناء إقليم إيريان جايا الذي قاد سوهارتو حملة لاسترجاعه سنة ١٩٦٠.

بعد الاستقلال تدرج سوهارتو في سلم الرتب العسكرية حتى انتهى إلى قيادة القوات الخاصة بحماية الأمن القومي والتي قاد بها العديد من العمليات العسكرية الناجحة للقضاء على حركات التمرد في مناطق متفرقة من إندونيسيا.

كما استطاع سوهارتو أن ينقذ حكم الرئيس سوكارنو سنة ١٩٦٥ بقضائه على المحاولة الانقلابية التي شارك فيه أعضاء من الجيش الإندونيسي بالتحالف مع الحزب الشيوعي، وقاد بعدها سوهارتو حملة تطهير واسعة ضد الشيوعيين.

وفي عام ١٩٦٦ أقنع سوهارتو الرئيس سوكارنو بأن يمنحه سلطة إعادة الأمن والاستقرار إلى البلاد والتي كانت نقطة التحول في الدور السياسي لسوهارتو حيث قاد محاولة انقلابية ضده بدعم أمريكي انتهت بانقضاضه على السلطة عام ١٩٦٨ ليصبح الرئيس الثاني لإندونيسيا.

عرف عن سوهارتو اهتمامه بالجانب الأمني لإندونيسيا وقد زاد تركيزه عليه بعد توليه الرئاسة، ففي سنة ١٩٧٥ أرسل قوات إندونيسية لتضم إقليم تيمور الشرقية إلى إندونيسيا بعد خروج الاستعمار البرتغالي منه.

غير أن ملامح أزمة اقتصادية حادة بدأت تلوح على إندونيسيا وبدأت الروبية الإندونيسية تفقد قيمتها وارتفعت نسبة التضخم بشكل كبير واتسعت دائرة البطالة وأعلن مدراء صندوق النقد الدولي استحالة استقرار الاقتصاد الإندونيسي مع وجود سوهارتو في الحكم.

ومارس سوهارتو إجراءات تقشف اقتصادية سنة ١٩٩٨، وقد أحدثت الإجراءات أزمة ثقة في نظامه على المستوى الداخلي.

وفي مارس ١٩٩٨ أعاد مؤيدو سوهارتو في البرلمان انتخابه رئيسا للبلاد للمرة السابعة.

ولم يمض من ولاية سوهارتو إلا شهور قليلة حتى خرج الطلاب في مظاهرات عارمة استحلوا أثناءها العاصمة جاكرتا وحاصروا البرلمان مطالبين بإصلاحات ديمقراطية لينتهي الأمر باستقالة الرئيس سوهارتو في ٢١ مايو ١٩٩٨ فتولى نائبه حبيبي رئاسة البلاد لفترة مؤقتة إلى حين قيام انتخابات عامة.

استقر سوهارتو بعد مغادرته للحكم برفقة أسرته في إحدى ضواحي جاكرتا، متواريا عن الأنظار والظهور الشعبي إلا قليلا.

وقد قدرت مجلة تايم الأميركية ثروة سوهارتو بحوالي ١٥ مليار دولار أميركي، وقيمة ما امتلكته أسرته في ٣٢ سنة من حكمه، بحوالي ٧٣ مليار دولار.

وضع سوهارتو سنة ٢٠٠٠ في بيته تحت الإقامة الجبرية عندما بدأت السلطات بالتحقيق في ثروته. ولم يحضر سوهارتو المحاكمة التي اتهم فيها باختلاس ٥٧١ مليون دولار، لتمويل مشاريع يديرها أفراد من أسرته، نظرا لحالته الصحية المتدهورة.

ثم أعلن عن محاكمته من جديد سنة ٢٠٠٢، لكنها توقفت بعد أن أعلن الأطباء عن إصابة سوهارتو بمرض في الدماغ، ثم تكاثرت عليه الأمراض بعد ذلك الأمر الذي أجل محاكمته إلى حدود سنة ٢٠٠٥.

وقد أعيد فتح ملف محاكمته سنة ٢٠٠٦، وطولب بإجراء فحوصات طبية على سوهارتو لإثبات إمكانية محاكمته لكن دون جدوى.

وقد رفضت المحكمة العليا في إندونيسيا سنة ٢٠٠٧ تعويض سوهارتو بمبلغ ١٢٨ مليون دولار، كانت محكمة صغرى قضت له به ضد مجلة " تايم " الأميركية بسبب اتهامها إياه باختلاس مبالغ كبيرة.

وفي ٢٨ يناير عام ٢٠٠٨، توفي مساء أمس الديكتاتور الإندونيسي السابق محمد سوهارتو عن ٨٦ سنة، أمضى ٣٢ منها على رأس السلطة، واعتبر مهندس التطور في بلاده، قبل أن تطيحه تهم فساد من دون أن تطاله ذراع القضاء.

وفارق سوهارتو الحياة في المستشفى الذي نقل إليه بعدما عانى مشاكل في القلب والرئتين والكليتين. وقال أطباؤه إنه دخل في غيبوبة بعدما عانى فشلاً في أجهزة عدة في الجسم. وحكم سوهارتو إندونيسيا التي تضم نحو ١٧ ألفاً و٥٠٠ جزيرة بيد من حديد، قبل أن يتخلى عن السلطة عام ١٩٩٨ تحت ضغط الشارع.

ولد في ٨ يونيو ١٩٢١ في عائلة مزارعين في وسط جزيرة جاوا. وبعد تلقيه تدريباً عسكرياً، أصبح سارجنت في جيش الاستعمار الهولندي. ثم انخرط في الجيش القومي الذي كان يقاتل ضد القوات الهولندية إلى ديسمبر ١٩٤٩.

بعد استقلال اندونيسيا عام ١٩٤٥، ترقى بسرعة في تراتبية الجيش ليصبح جنرالاً عام ١٩٦٢. وفي ١٩٦٥، وعلى رغم أنه كان غير معروف بين الشعب، تمكن من نزع السلطة من سوكارنو، مؤسس إندونيسيا، بعدما شهدت البلاد سلسلة أحداث، بدأت في ٣٠ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٥ بمحاولة انقلاب نفذها، بحسب الرواية الرسمية آنذاك، الحزب الشيوعي الإندونيسي. وتولى سوهارتو، الذي كان قائداً لوحدة نخبة في حينه، السيطرة على جاكرتا، وأفشل مخطط الانقلابيين.

وبعدما أصبح قائداً للجيش، أطلق سوهارتو حملة قمع دامية ضد الحزب الشيوعي الإندونسي، انتهت بمقتل ٥٠٠ ألف إلى مليون شخص.

وفي موازاة ذلك، استغل منصبه لإقالة الرئيس سوكارنو الذي كان مريضاً، فأوكل مرغماً بحسب بعض الروايات، السلطة إلى سوهارتو في ١١ مارس ١٩٦٦.

وأصبح الجنرال في آذار ١٩٦٧ رئيساً بالوكالة، ثم نصب نفسه عام ١٩٦٨ رئيساً للدولة عبر انتخابه رئيساً للجمهورية أمام البرلمان الذي عين هو أعضاءه. وبعدما تولى السلطة في البلاد، استخدم سوهارتو ورقتي تهديد الشيوعيين والأصولية الإسلامية لتأمين دعم المجموعة الدولية له، لاسيما الولايات المتحدة.

وأتاحت حكومته لإندونيسيا تأمين الاكتفاء الذاتي من الأرز، فيما أدى الاستقرار الاقتصادي في عهده إلى صادرات كبرى من المنتجات المصنعة في إندونيسيا، لاسيما الأنسجة.

وكان سوهارتو على قناعة بأن مهمته تقوم على الحفاظ على وحدة الأرخبيل وضمان الأمن والتطور فيه. وغالباً ما تعرض لإدانات من منظمات الدفاع عن حقوق الإنسان، وواجه انتقادات خصوصاً إثر التجاوزات التي ارتكبت في تيمور الشرقية (التي اجتاحتها إندونيسيا عام ١٩٧٥).

وبعد إعادة انتخابه من دون أي منافس في مارس ١٩٩٨ لولاية سابعة من خمس سنوات، أرغم سوهارتو على الاستقالة في ٢١ أيار (مايو) من العام ذاته، بعدما تخلى عنه الجيش على خلفية أزمة اقتصادية آسيوية واضطرابات دامية. وعاش منذ ذلك الحين في أحد أحياء جاكرتا السكنية، فيما تولى محامون مهمة الرد على الاتهامات بالفساد الموجهة إليه.

وبحسب منظمة الشفافية الدولية (ترانسبيرنسي انترناشونال)، جمع سوهارتو مع عائلته ثروة تقدر بـ ١٥ إلى ٣٥ بليون دولار.

وفشلت محاولات ملاحقته قضائياً مرات، بعدما أكد المقربون منه على الدوام أنه غير قادر على الكلام.

وسوهارتو أب لستة أولاد، بينهم هوتومو ماندالا بوترا الملقب بـ« "تومي" والذي حكم عليه بتهمة تدبير إغتيال قاض وأفرج عنه قبل قضاء فترة عقوبته، في قرار أثار جدالاً.

تعتبر إندونيسيا عاملاً هامًّا في الاستقرار في منطقة جنوب شرق آسيا نظرًا لموقعها الإستراتيجي ومساحتها الشاسعة التي تزيد على عشرة ملايين كيلو متر مربع، وعدد سكانها الكبير الذي يتجاوز ٢١٠ ملايين نسمة غالبيتهم من المسلمين، وامتدادها على ١٧ ألف جزيرة منها ٦ آلاف جزيرة مأهولة بالسكان، يُضاف إلى ذلك تاريخها الذي شهد فترات طويلة من الصراع ضد الاستعمار الهولندي الذي استمر قرنًا ونصفا، ثم صراع الشيوعيين والجيش أثناء حكم الرئيس أحمد سوكارنو الذي انتهى بنجاح المخطط الأمريكي وإجبار سوكارنو للتنازل عن الحكم وصعود عميل واشنطون وزير الدفاع سوهارتو ليتولى رئاسة البلاد، لتبدأ مرحلة جديدة في الحكم استمرت اثنين وثلاثين عامًا حتى عصفت به الأزمة الاقتصادية وأجبرته الإضرابات على تقديم استقالته واتهامه بتكوين ثروة ضخمة قدرت بثمانين مليار دولار، وتزايد المطالبات بضرورة تقديمه إلى المحاكمة العسكرية !!

إندونيسيا كلمة مركبة من كلمتين: الأولى "إندو" بمعنى "الهند" والأخرى "نيسيا" بمعنى "جزر" ومعناها: جزر الهند، وهي من البلاد الغنية إذ تزيد مساحتها عن مساحة أوروبا، ويعتنق (٩٤٪) من سكانها الإسلام، واللغة الرسمية هي: باهاسا الإندونيسية التي كانت تكتب بالحرف العربي، والذي استبدلت هولندا به الحرف اللاتيني سنة (١٣٤٦هـ = ١٩٢٧م) ويوجد بها ٥٨٣ لهجة محلية، وتمتلك ثروة معدنية كبيرة، فتنتج خمس الإنتاج العالمي من القصدير، ومثله من البوكسيت بالإضافة إلى المعادن المختلفة، كما أنها غنية بالبترول والغاز الطبيعي.

ووصل الإسلام إليها مبكرًا عن طريق التجار المسلمين والعرب الذين استقروا في سواحلها وأقاموا المراكز التجارية، ثم قامت بعض الممالك الإسلامية هناك في بداية القرن السابع الهجري مثل مملكة "برلاك" في سومطرة و"آتشه" التي كانت أولى الممالك القديمة التي انتشر فيها الإسلام.

وفي الوقت الذي بدأ المسلمون يثبتون أقدامهم في إندونيسيا، كان الاستعمار الأوروبي يزحف إليها أثناء حركة الكشوف الجغرافية؛ فاحتل البرتغاليون "مالقا" سنة (٩١٧هـ = ١٥١١م) واتخذوها قاعدة لشن هجماتهم على باقي الجزر الإندونيسية، فقامت الثورات ضد البرتغاليين واستعان الإندونيسيون في جهادهم ضد البرتغال وإسبانيا بهولندا، فوصل الأسطول الهولندي إلى "سومطرة" و"جاوة" سنة (١٠٠٥هـ = ١٥٩٦م) وقاتلوا البرتغاليين، وما إن خرجت البرتغال، حتى بدأت هولندا بتشديد قبضتها على الجزر، وأسست شركة الهند الشرقية الهولندية سنة (١٠١١هـ = ١٦٠٢م) التي قامت باحتكار موارد الدولة، وإجبار السكان على زراعة محاصيل معينة، ثم تحول الامتياز من الشركة إلى الحكومة الهولندية سنة (١٢١٤هـ = ١٧٩٩م) فوقعت إندونيسيا في قبضة الاحتلال الهولندي الذي استمر قرنًا ونصفا، فرضت فيه اللغة الهولندية، وبدأت المعارك بين الهولنديين والممالك الإسلامية، وتعددت ثورات المسلمين ضد هذا الاستعمار.

وظلت تعرف باسم جزر الهند الشرقية، واستمرت هولندا في سياستها الاستعمارية ونهب الثروات، وكان شعار الهولنديين لمواجهة ثورات المسلمين "التدمير وقوة الانتقام هي مكونات القصة المتكررة في حروبنا"، واتجه السكان إلى تنظيم صفوفهم وتشكيل الأحزاب والجمعيات المختلفة، وعملت هولندا من جانبها على تشكيل أحزاب موالية لها، فاتحدت الأحزاب الإسلامية في تنظيم عرف باسم "المجلس الإسلامي الأعلى".

وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية وقعت إندونيسيا تحت سيطرة الاستعمار الياباني، وعمل اليابانيون على التقرب من الشعب الإندونيسي، فأحلوا اللغة الملايوية محل الهولندية، وغيَّروا اسم العاصمة من "بتافيا" إلى جاكرتا، ولكن سرعان ما تغيرت هذه السياسة واتبعت اليابان الأسلوب الاستعماري فحلت جميع الأحزاب السياسية، واستغلت موارد البلاد لصالحها، وبعد هزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية أعلن قيام حكومة إندونيسية برئاسة أحمد سوكارنو في أغسطس ١٩٤٥.

وبعد انتهاء الحرب حاول الحلفاء وعلى رأسهم بريطانيا الاستيلاء على إندونيسيا وتسليمها لهولندا، ونزل جيش الحلفاء "جاكرتا" في أكتوبر ١٩٤٥ وعاد الجيش الهولندي مرة أخرى تحت مظلة وحماية البريطانيين وبدعوى حفظ الأمن والنظام، فعقد الإندونيسيون اجتماعًا في مدينة جاكرتا ضم أغلب الأحزاب، وتم الاتفاق على الانضواء تحت تنظيم إسلامي واحد سمي "مجلس شورى مسلمي إندونيسيا" وعرف باسم "حزب ماشومي" وسرعان ما اعتقلت هولندا الزعماء الإندونيسيين ومنهم "سوكارنو"، وبدأ ما يعرف بحرب العصابات، قام بها السكان ضد هولندا حتى اضطرت إلى الاعتراف بالحكومة الإندونيسية.

وحدث انشقاق في حزب ماشومي، وأوكل "سوكارنو" رئيس الجمهورية رئاسة الحكومة إلى عامر شرف الدين، وهو شيوعي فثار الشعب، فأقيلت الحكومة، فثار الشيوعيون وأحدثوا العديد من القلاقل والاضطرابات، وقاموا بثورة ضد الحكومة، وأعلنوا قيام حكومة جديدة في سبتمبر ١٩٤٨ وأعلنوا قيام "جمهورية إندونيسيا الشيوعية" وأصبح في البلاد حكومتان، فتعاون الجيش مع الشعب حتى تمكنوا من القضاء على الشيوعيين، وأجريت انتخابات في ١٩٩٥فاز فيها الحزب الوطني "الذي قام بتشكيل وزارة تميل للشيوعيين، فوقف حزب ماشومي معارضًا لها، في الوقت الذي كان فيه سوكارنو يميل إلى التعاون مع الدول الشيوعية. وهو ما أثار أزمة داخل مؤسسات الحكم.

وحاول سوكارنو الحفاظ على توازن بين المجموعات المتنافسة سياسيًّا خاصة الجيش والحزب الشيوعي مع تحيز واضح للحزب الشيوعي وتوجهاته، واتباع سياسة تعسفية في حكم البلاد، وهو ما أثار غضب الجيش والشعب. وعلى الصعيد الخارجي اتجه إلى توجيه انتقادات حادة للغرب، وأطلق صيحته المشهورة عام ١٩٦٣ التي وجهها إلى الولايات المتحدة والغرب قائلا: "اذهبوا للجحيم مع مساعداتكم".

أفسح سوكارنو المجال للحزب الشيوعي ليعيد تنظيم نفسه مرة أخرى، فقام بثورة في سنة ١٩٦٥ فتدخل الجيش للقضاء عليها وأراد سوكارنو إعادة الجيش إلى ثكناته مرة أخرى، وإعادة ضبط المعادلة والتوازن بين الجيش والسلطة السياسية في البلاد، غير أنه لم يستطع ذلك، وكانت تلك بداية تدخل الجيش في الشئون السياسية وصعود نجم سوهارتو وزير الدفاع الذي استطاع أن يتولى الحكم في ٢٢ مارس ١٩٦٨ بعد إجبار سوكارنو على التنازل عن السلطة.

وسوهارتو وُلد في مدينة يوجياكارتا بجاوة عام ١٩٢١ والتحق بجيش جزر الهند الهولندية وأصبح جنديًا محترفًا، وخلال فترة الاحتلال الياباني انضم إلى جيش الدفاع الوطني، ثم التحق بالقوات المسلحة الإندونيسية بعد الاستقلال، وقاد وحدة من القوات المسلحة الإندونيسية في الهجوم على الهولنديين في يوجياكارتا.

وبعد جلاء الهولنديين رقي إلى رتبة لواء، ثم أصبح قائدًا للجيش الاحتياطي الإستراتيجي، وعندما قام الشيوعيون بمحاولتهم الانقلابية واغتالوا عددًا من قيادات الجيش حدث عنف مضاد للشيوعيين، ووقعت مذابح رهيبة راح ضحيتها نصف مليون شخص، واستدعى سوهارتو باعتباره قائد الجيش الإستراتيجي لسحق التمرد الشيوعي، فنجح في ذلك وأعاد الأمن والنظام إلى جاكرتا، وتولى منصب القائد المؤقت للجيش، ثم حصل على تفويض رسمي من سوكارنو لاستعادة الأمن والنظام، فكان من أوائل الإجراءات التي اتخذها حظر نشاط الحزب الشيوعي، واعتقال الشيوعيين.

وفي عام ١٩٦٦ قام بالتفاوض مع ماليزيا وأنهى صراع إندونيسيا معها، وتخلى عن علاقته الوثيقة بالصين والسوفيت واتجه نحو الغرب للحصول على المساعدات، ثم تولى الحكم عام ١٩٦٨ لمدة خمس سنوات وأعيد انتخابه بعد ذلك ست مرات، وبلغ مجموع سنوات رئاسته ٣٢ سنة.

وقام سوهارتو باحتلال تيمور الشرقية عام ١٩٧٥ لتحقيق هدف سياسي يجتمع عليه أفراد الشعب الإندونيسي لتأييده، وسعى لتشكيل مناخ سياسي واقتصادي ذي سند عسكري يقطع كل صلة بينه وبين الماضي الممثل في "أحمد سوكارنو"، كما عمل على تطوير برنامج اقتصادي كبير شهدت خلاله إندونيسيا تقدمًا اقتصاديًّا.

شهدت منطقة جنوب آسيا نموًّا اقتصاديًّا كبيرًا، وظهرت مجموعة النمور الآسيوية التي استطاعت أن تحقق ازدهارًا اقتصاديًّا كبيرًا، وكانت إندونيسيا إحدى هذه النمور، وحققت نجاحًا كبيرًا جعلها تقترب من قائمة الدول الصناعية الكبرى، إلا أن هذه الدول الآسيوية شهدت أزمة اقتصادية حادة بدأت عام ١٩٩٦ عندما تعرض الاقتصاد التايلاندي لهزة عنيفة وصدمات خارجية وداخلية كشفت عن ضعف هيكله المالي، وانتقلت الأزمة منه إلى بقية الدول الآسيوية ومنها إندونيسيا التي انخفضت عملتها "الروبية" بنسبة كبيرة زادت عن ٣٠٪ فأدى ذلك إلى إصابة الاقتصاد الإندونيسي بمشاكل وأزمات كبيرة انتقلت إلى احتقانات في الشارع وغضب جماهيري، واختلطت مطالب الحريات بشدة الأزمة الاقتصادية.

وأرجع بعض السياسيين الإندونيسيين أسباب هذه الأزمة التي هزت البلاد إلى أسلوب التنمية الذي اتسم بالسرعة أكثر من اللازم لم يتح معه الوقت الكافي لوضع ضوابط تتحكم في النشاط الاقتصادي، وأرجع آخرون أسباب هذه الأزمة إلى إسراف القطاع الخاص بالاقتراض والتوسع في مشروعات بطيئة الدوران اقتصاديًّا وكذلك المضاربات العقارية، كما أن معدلات النمو المرتفعة أدت إلى ارتفاع المديونية الخارجية، وتدفق معها الاستثمار الأجنبي الذي أخفى معه

العيوب الهيكلية في الاقتصاد ومنها انعدام الشفافية وانتشار الفساد، وانخفاض الصادرات، وعجز الميزان التجاري.

وقد وجهت المؤسسات المالية عدة انتقادات إلى سوهارتو، وكانت إحدى نقاط الخلاف مع صندوق النقد الدولي فيما يتعلق بضرورة الفصل بين المهام السياسية والأعمال الاقتصادية، كما أن سوهارتو كان يشارك أو يمتلك أكثر من ثمانين شركة عملاقة، ووجهت إليه اتهامات بالفساد، وقدرت ثروته بحوالي ثمانين مليار دولار.

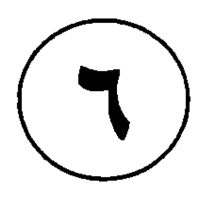
يضاف إلى هذه الأزمة الاقتصادية الانتقادات التي وجهت إلى نظام حكم سوهارتو الذي اتسم بضعف النظام الحزبي، وسيطرة حزب الحكومة "جولكار" على الحكم، بينما الأحزاب الأخرى هامشية أو غير مسموح لها بممارسة نشاطها في ظل القوانين التعسفية، كل هذه الأمور عمقت الغضب الشعبي، ولم يفلح التعديل الوزاري الذي أجراه سوهارتو واختياره "يوسف حبيبي" نائبًا له في تخفيف حدة الغضب الشعبي أو وقف تدهور الروبية الإندوسية، وزادت موجة التدمير والإضراب الشعبي مع ارتفاع الأسعار بنسبة ٢٠٪ وما تولد معها من أزمة في المواد الغذائية، وارتفاع حجم البطالة إلى ١٥,٤ مليون عاطل (١٧٪ من حجم القوة العاملة) ومهاجمة الجماهير الغاضبة للممتلكات والوحدات الاقتصادية التي يمتلكها الصينيون (يشكلون ٥٪ من حجم السكان) فأدى ذلك إلى مغادرة بعض هؤلاء لإندونيسيا، واقتربت البلاد من حافة الانهيار السياسي والإفلاس الاقتصادي، فقدم الأمريكيون نصيحتهم إلى سوهارتو بأن يتنازل عن الحكم، فاستجاب لهذا المطلب، وقدم استقالته في (المحرم ١٤١٩هـ= ٢١ مايو ١٩٩٨) بعدما تعهد قائد الجيش الإندونيسي الجنرال دبرانتو بالالتزام بحمايته، وبذلك انتهت المرحلة السوهارتية المتمثلة في شخص سوهارتو، وإن امتدت في خليفته يوسف حبيبي الذي عمل على تخفيف القيود عن الأحزاب السياسية والصحافة، وارتفع شعار التغيير السياسي الحقيقي، وارتفع عدد الأحزاب التي خاضت الانتخابات النيابية بعد سوهارتو إلى ٤٨ حزبًا، وشهدت الانتخابات إقبالا جماهيريًّا كبيرًا باستثناء إقليمي تيمور الشرقية وآتشيه المطالبين بالاستقلال عن إندونيسيا.

كان سوهارتو يتجاهل الاحتجاجات والمظاهرات الطلابية ويستبعد إجراء أي تغيير سياسي قبل عام (١٤٢٤هـ= ٢٠٠٣م) حتى احتل الطلاب البرلمان وطالبوا سوهارتو بالاستقالة، عندها طلبت منه وزيرة الخارجية الأمريكية آنذاك "مادلين أولبرايت" التنحي حفاظًا على تراثه القيادي، فاستجاب للضغط الشعبي والمطلب الأمريكي وقدم استقالته وبعدها بفترة زارت أولبريت إندونيسيا وتحدثت بصراحة عن قضية الوحدة في الدولة الإندونيسية وموقف واشنطن منها، وذكرت أن بلادها حريصة على تماسك الدولة واستمرار وحدتها لعدة أسباب منها أن الولايات المتحدة تريد أن تظل إندونيسيا قوة متماسكة لكي توازن الدور الصيني في آسيا، وذكرت أن موقع إندونيسيا إستراتيجي وحيوي للأمن القومي الأمريكي؛ لأنها تحكم وتحرس جانبي بوابة العبور إلى آسيا، وهو دور يهدده أي انفراط في عقد الدولة، وذكرت - أيضًا - أن من مصلحة واشنطن التمسك بوحدة إندونيسيا؛ لأن الولايات المتحدة ضخت استثمارات مالية ضخمة إليها تقدر بـ ٣٠٠ مليار دولار، وهي غير مستعدة لإهدارها، وطالبت من النظام الجديد الامتثال لشرطين أساسيين لضمان دعم واشنطن: الأول يتمثل في حل مشكلة إقليم تيمور الشرقية والاعتراف بحق الشعب في تقرير مصيره، أما الثاني فيتمثل في منح أقاليم الدولة (٢٦ إقليمًا) حكمًا ذاتيًّا وتخصيصها بحصة أكبر من عائدات ثرواتها.

وفعلا حصلت تيمور الشرقية على استقلالها بعد الاستفتاء على تقرير المصير، وتم إصدار قانون الحكم الذاتي الذي أعطى أقاليم الدولة صلاحيات واسعة، كما أعطاها حصة تتراوح بين ١٥٪ و٣٠٪ من مواردها الذاتية الخاصة بالنفط والغاز، و٨٠٪ من عائدات الأسماك والغابات والمعادن، ولمَّا تم لواشنطن ما أرادت وفت بالتزاماتها ودعمت النظام الجديد برئاسة عبد الرحمن واحد.

■■■





مانويل نورييجا..
ليس للعملاءِ ثمنٌ!!



من يتتبع سقوط الزعماء والقادة من حلفاء واشنطن ومن حاولوا الاستقواء بها، أو التقرب إليها على حساب شعوبهم، وتخليها عنهم فجأة، وذلك لخدمة مصالحها أولاً، سوف يلحظ أن هذا السقوط قد تكرر لأكثر من قائد في أكثر من دولة.

الرئيس الأسبق لبنما مانويل نورييجا كان واحدا من هؤلاء، فقد اختطفته قوة أمريكية ورحلته إلى واشنطن ، حيث أودع السجن، ولم يشفع له اعترافه بأنه كان عميلا مخلصا للمخابرات الأمريكية، بل كان من أقرب الأصدقاء لبوش الأب أثناء رئاسته للمخابرات الأميركية .

ولم يشفع لنورييجا تقديمه للمخابرات الأميركية ما لم يقدمه أحد من عملائها الكبار، وأهمها وأخطرها تصفيته لزعيم بنما الوطني الذي طرد الأمريكيين من بنما، واسترد القناة، على غرار تأميم قناة السويس المصرية .

و لم يشفع له حقيقة أن واشنطن هى التي لعبت الدور الأكبر في دعمه خلال انقلابه في عام ١٩٨٣ والذي استغل فيه كونه قائدا عسكريا له نفوذه، لكنها ألقت القبض عليه لاحقا خلال اجتياحها لبنما عام ١٩٨٩ بعد أن استنفد مهمته وحاكمته بتهم عديدة منها الاتجار في المخدرات والاحتيال.

وفي عام ١٩٩٢ حكم عليه بالسجن ٤٠ عاماً، ثم خفضت مدة عقوبته إلى ٣٠ عاماً، ثم إلى ١٧ عاما لسلوكه الجيد..!!

ويكفي أنه في وقت عندما سئل مسئول أمريكي كبير : كيف يلتقى بنورييجا أسبوعيا ويتناول معه الإفطار، وهو يعلم أنه يتاجر في المخدرات، رد قائلا: "نورييجا ابن عاهرة وهى عاهرتنا نحن، وعندما يصبح غير ذي نفع بالنسبة لنا سوف نطبق عليه القانون، وبالفعل قبضوا عليه في ٢١ ديسمبر عام ١٩٨٩. وكان وراء كل ذلك قصة تستحق أن تُروى .

فبعد انتهاء المهندس الفرنسي فردناندو ديليسيبس من مشروع حفر قناة السويس المصرية بعشرة أعوام تحول وخلفه أطماع فرنسا الاستعمارية إلى النصف الآخر من الكرة الأرضية لحفر قناة أخرى هي قناة بنما، في ذلك الحين أي في عام ١٨٧٨ كانت بنما ما تزال جزءًا من دولة كولومبيا وقامت فرنسا بإبرام اتفاقية تقوم بمقتضاها باستغلال القناة بعد حفرها لمدة مائة عام وبدا العمل في يناير عام ١٨٨٢ ولكنه توقف بسبب انتشار الأوبئة وخطأ الحسابات الهندسية، في ذلك الوقت كانت الولايات المتحدة قوة إقليمية ناشئة أن ذاك تراقب الموقف بحظر وتنتظر اللحظة المناسبة للتدخل.

و عندما قرر الأميركان شراء الشركة خططوا أولا لانفصال بنما عن كولومبيا، فحرضوا بعض السياسيين البنميين حتى ينفصلوا عن كولومبيا وفعلاً سار الانفصال في خمسة نوفمبر ١٩٠٣.

دفعت الولايات المتحدة لهؤلاء السياسيين المنشقين مائة ألف دولار وأعطتهم مع المبلغ وثيقة جاهزة لإعلان الاستقلال وعلماً مشابهاً للعلم الأميركي حتى يكون علم الدولة الناشئة وعندما تحركت القوات الكولومبية إلى بنما لمنع الانفصال كانت القوات الأميركية الأكثر عدة وعتاداً قد تمركزت بالفعل على الحدود الوليدة ومنعتهم من التقدم .

بعدها بأربعة أيام اعترفت أميركا رسمياً بالدولة الجديدة وتبعتها فرنسا وبريطانيا وسرعان ما وقعت اتفاقية القناة التي منحت الولايات المتحدة بمقتضاها

السيطرة الكاملة على القناة وعلى الأراضي المحيطة بها سياسياً وعسكرياً لمدة مائة عام وقامت الولايات المتحدة باستكمال بناء القناة مستخدمة أحجاراً تحمل اسم "المصري" تفاؤلا بالنجاح المصري في قناة السويس وتم افتتاح القناة عام ١٩١٤.

ولأهمية هذا المشروع ولضرورته بدأ الأميركيون يتدارسون التواجد الأمني لحماية هذا المشروع ومن هنا بدأنا نرى أو بدأ البنميون يرون التواجد الأميركي في قواعد في الأرض البنمية على مدى سنوات طويلة، على مدى هذه السنوات بدأ الشعب البنمي يشاهد هذا التواجد الأميركي وبدأ يعاني من التمييز والقهر الأميركي في الأرض البنمية للشعب البنمي حيث الأميركيين حددوا منطقة ما تسمى بمنطقة القناة، في هذه المنطقة وضع الأميركيون قانونهم القضائي، قانونهم الأمني وبدأت تُشاهَد من قبل البنميين بأنها دولة داخل دولة.

كانت منطقة القناة تشكل عالما خاصا، على أهل البلد أن يحملوا تصريحا للدخول إليها والخروج منها وكان عليهم إطاعة أوامر الأميركيين الذين كانوا يعاملون البنميين معاملة مهينة انطلاقا من اعتقادهم أن الأميركيين هم القوة العظمى الأعلى وأن أهل البلد عبيد لديهم وكانوا يشعرون بالأسى والحزن دائما للتفرقة العنصرية في المعاملة، فكان هناك نوعان من التعاملات التجارية بالذهب وبالفضة وبالطبع كانت معاملات البنميين تتم بالفضة فقط بينما معاملات الأميركيين بالذهب وهكذا كان الحال دائما في كل الأمور، فهم يعاملوننا من منطلق أننا بلد صغير وواقع تحت الحماية الأميركية ويجب أن يبقى هكذا خاضعا ومقهورا بسلطتهم.

وفي سنة ١٩٦٤ تحديدا في تسعة يناير تظاهرت مجموعة من الطلبة البنميين وحاولت إختراق هذه المنطقة على السير الأمني الموضوع وحاولوا إنزال العلم الأميركي ورفع العلم البنمي، طبعا تمكنوا من رفع العلم البنمي لكن كانت خسارة البنميين أكثر من عشرين قتيلا وعددا كبيرا من الجرحى.

كانت البلاد تموج بالغضب والثورة حينما وقع انقلاب عسكري سنة ١٩٦٩ وتولى الجنرال عمر توريخوس السلطة في بنما وعمر هو اسم إسباني منتشر في أميركا اللاتينية، مصدره أندلسي بلا شك، كان عمر توريخوس يشعر بالمهانة بسبب الاحتلال الأميركي لبلاده وكان هدفه الأول هو استعادة القناة من الأميركيين.

خرج توريخوس وبدأ في زيارته لكثير من دول العالم، منها في اعتقادي حتى زار ليبيا وزار بعض الدول العربية الأخرى، بدأ يبذل الجهود في المحافل الدولية مثل الأمم المتحدة، دول عدم الانحياز.

وبكل تأكيد عاصر المشكلة الموجودة في مصر وتأميم قناة السويس، وما يحدث في العالم الثالث المقهور والمسلوب حقه، فكان ما يجرى في بنما يماثل تماما ما جرى في مصر وهذا بالطبع ما كان يعطيه الحماس لتكملة مشوار الكفاح لأنه إذا لم ندافع عن حقوقنا ونستعيدها بأيدينا فلن تعود إلينا أبدا.

بدأ توريخوس في المفاوضات لإعداد اتفاقية جديدة للقناة وبالفعل تم توقيع اتفاقية توريخوس- كارتر في العاشر من أغسطس عام ١٩٧٧ والتي بمقتضاها يخرج آخر جندي أميركي من بنما مع نهاية يوم الحادي والثلاثين من ديسمبر عام ١٩٩٩.

بعد هذه الاتفاقية قلص الأميركيون قواعدهم في عشر قواعد مبدئياً، انسحبوا من بعض القواعد الأخرى، أيضا بدأ يتم تقليص للتواجد الأميركية يعني بعدد الجنود.

و في الحادي والثلاثين من يوليو عام ١٩٨١ قتل عمر توريخس في حادث تحطم طائرة دبرته المخابرات الأمريكية بمساعدة عسكريين كان من بينهم نورييجا نفسه وتعاقبت بعده الحكومات المؤقتة إلى أن تولى الجنرال مانويل نورييغا الحكم عام ١٩٨٤، كان نورييغا صديقا لتوريخس ولكنه كان رئيسا لجهاز المخابرات البنمي منذ عام ١٩٧٠ وكان مقربا من الأميركيين.

وقد روى عميل المخابرات الأمريكية السابق جون بيركنز الذي نشر كتابا حديثا حول تحت عنوان "اعترافات سفاح اقتصادي" بعد اعتزاله المهنة لأسباب نفسية تتعلق – كما يقول – بتأنيب الضمير أنه وزملاءه الآخرين قد خلقوا أعظم إمبراطورية اقتصادية عالمية حقيقية في التاريخ البشري لهذه الأرض من خلال ابتزاز وسرقة ترليونات من الدولارات (ترليون واحد يعادل ألف مليار دولار) من دول العالم الثالث وجلب هذه الأموال إلى شركاتهم الاحتكارية الكبرى في الولايات المتحدة.

وقد اعترف بأنه كان على اتصال مع الرئيس البنمي الأسبق عمر توريخوس ولم يستطع إيقاعه في مصيدة القروض المالية لأن عمر توريخوس كان على علم بتحركاته وغايات لعبته الهادفة إلى منع بنما إعادة سيطرتها على قناتها الحيوية ولذلك تآمرت عليه الحكومة الأمريكية من خلال الاستخبارات المركزية وتعاونها مع شركتي "بيكتيل" و"هاليبورتون" وتخلصت منه بمعاونة نورييجا في حادث تحطم طائرته بعد شهرين من رفضه ضغوط وعروض الحكومة والشركات الأمريكية الاحتكارية ذات العلاقة والمصلحة في إدامة قناة بنما تحت السيطرة الأمريكية.

ويقول بيركنز إن الاستعمار القديم والحديث والإمبريالية العالمية كان ولا يزال لديهما بالإضافة إلى الأسلحة التقليدية مخزون كبير آخر من الأسلحة غير التقليدية تستعمل أثناء الحاجة في الوقت المناسب والمكان المناسب للسيطرة على مقدرات واقتصاديات البلدان وتوجيه سياساتها حسب ما يقتضي وبالكيفية الملائمة لتحقيق أغراضها وأطماعها ومنافعها في المناطق الجغرافية المختلفة من العالم والتي تريد بسط نفوذها فيها.

من هذه الأسلحة الضغوط والابتزازات السياسية والاقتصادية أو توزيع الحلوى على شكل مساعدات اقتصادية أو حماية سياسية وعسكرية. إن فشل هذا المخزون في تحقيق مآرب القوى الإمبريالية والاستعمار فإنها ستلجأ إلى استعمال القوة

والحلول العسكرية ضد البلدان الضعيفة العاصية المراد السيطرة عليها لأسباب إستراتيجية سياسية أو عسكرية أو نهب خيراتها من معادن أو بترول إن وجدت.

ويكشف بيركنز دور السفاحين الاقتصاديين التابعين لوكالة المخابرات الأمريكية ودور المخابرات المركزية الأمريكية في بسط النفوذ الإمبريالي للولايات المتحدة في العالم وبناء صرح إمبراطوريتها الاقتصادية.

ويقول إن السفاح الاقتصادي أو "الإكونومك هتمان" هو الشخص أو " الشبح " الذي يعمل خلف الكواليس كخط أول والذي له الذكاء والقابلية على المكر والخداع والابتزاز في عملية نهب الخيرات والهيمنة السياسية والاقتصادية من خلال إيقاع رؤساء وحكومات البلدان "الفريسة" في شبكة الديون المالية الأبدية التي لا تستطيع هذه البلدان تسديدها على المدى القريب أو البعيد مما يجعلها عرضة للابتزاز والهيمنة الإمبريالية السياسية والاقتصادية الأزلية أو بمعني آخر فقدان الاستقلال الوطني.

ويقول إن السفاح الاقتصادي يعمل بعيدا عن كل الشبهات والملاحقات الصحفية وفي الأغلب يعمل ضمن فريق مفاوض يمثل الشركات الاستشارية والاستثمارية مثل البنوك والشركات والمؤسسات الاحتكارية الكبرى الأمريكية ويرعى مصالحها ومثال على هذه الشركات هي شركة "هاليبورتون"، "بيكتيل" و"كيلوج" العاملة في الوقت الحاضر في العراق بعد احتلاله. البدعة في عملية "الإكونومك هتمان" هو تعيين أو تشخيص الدولة الضحية من دول العالم الثالث التي تمتلك الموارد الطبيعية مثل المعادن والبترول أو المواقع الإستراتيجية مثل قناة بنما ومن ثم يعملون على تشجيع هذه الدولة الضحية على أخذ القروض الضخمة من مصادر عالمية مثلا البنك الدولي أو مصادر مالية أخرى لكي تستعمل في بناء مشاريع تنموية داخل البلد الضحية مثل بناء محطات مولدات الطاقة الكهربائية الضخمة جدا والمكلفة وبناء الطرق والجسور والموانئ ومعامل صناعية ضخمة. ومن أهم

إحدى شروط قبول إعطاء القرض هو أن تستخدم معظم الأموال المقترضة حوالي ٩٠٪ في استئجار خدمات الشركات والمؤسسات الاحتكارية الأمريكية الكبرى مثل شركة "بيكتيل" و"هاليبورتون" للقيام بهذه الأعمال.

المستفيد الوحيد من استلام القرض هي الطبقة الغنية في المجتمع فقط بينما الطبقتين الوسطى والفقيرة تبقى محرومة من المكاسب وتعاني بسبب زيادة الأسعار وشحة الخدمات الاجتماعية والصحية والتعليمية بسبب وجوب دفع الديون المستحقة على القرض والتي لا تتمكن الدولة التخلص منها أبدا. نتيجة لذلك تكون هذه الدولة معرضة للابتزاز الأمريكي بحيث تكون مستعدة لبيع مواردها الإستراتيجية بأسعار رخيصة وبخسة إلى الشركات والمؤسسات الاحتكارية الأمريكية وبدون مقابل ثمين يذكر وبهذا فقدت استقلالها السياسي والاقتصادي ومن ثم العسكري وتكون معتمدة اعتمادا كليا على رحمة القوة والهيمنة الأمريكية التي تدير مقدرات ذلك البلد.

ويرجع تاريخ هذه العمليات الابتزازية إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية وخصوصا نشأت فكرة "الإيكونومك هتمان" أبان ثورة مصدق في إيران عام ١٩٥٣ واليوم تسيطر أمريكا على معظم الموارد الإستراتيجية في العالم.

ويقول بيركنز إنه في حالة فشل الخط الأول في إقناع رؤساء الدول وحكوماتها المستهدفة من قبل السفاك الاقتصادي فيأتي دور الخط الثاني الذي تقوم به فرق القتل والاغتيالات (الجاكالس أو أولاد آوى) التابعة لوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية للتخلص جسديا من السياسيين الرافضين لعروض الهيمنة والابتزاز الأمريكية وهذا ما حصل لرئيس جمهورية بنما الجنرال عمر توريخوس في العقد الثامن من القرن الماضي .



نوريجا في عنفوانه

المهم، كان نورييغا عميلا أمريكيا شديد البطش مع شعبه ..لم تكن أي من الحركات المناهضة تزعزعه عن منصبه لأنه لم يكن مجرد رجل .. وإنما كان هناك جهاز كامل من الشرطة الموالية له، وكانت البلاد مدمرة ولا تستطيع أن نحصى عدد الموتى في تلك الفترة والطرق التي كانت تموت بها الناس على أيدي أجهزته .

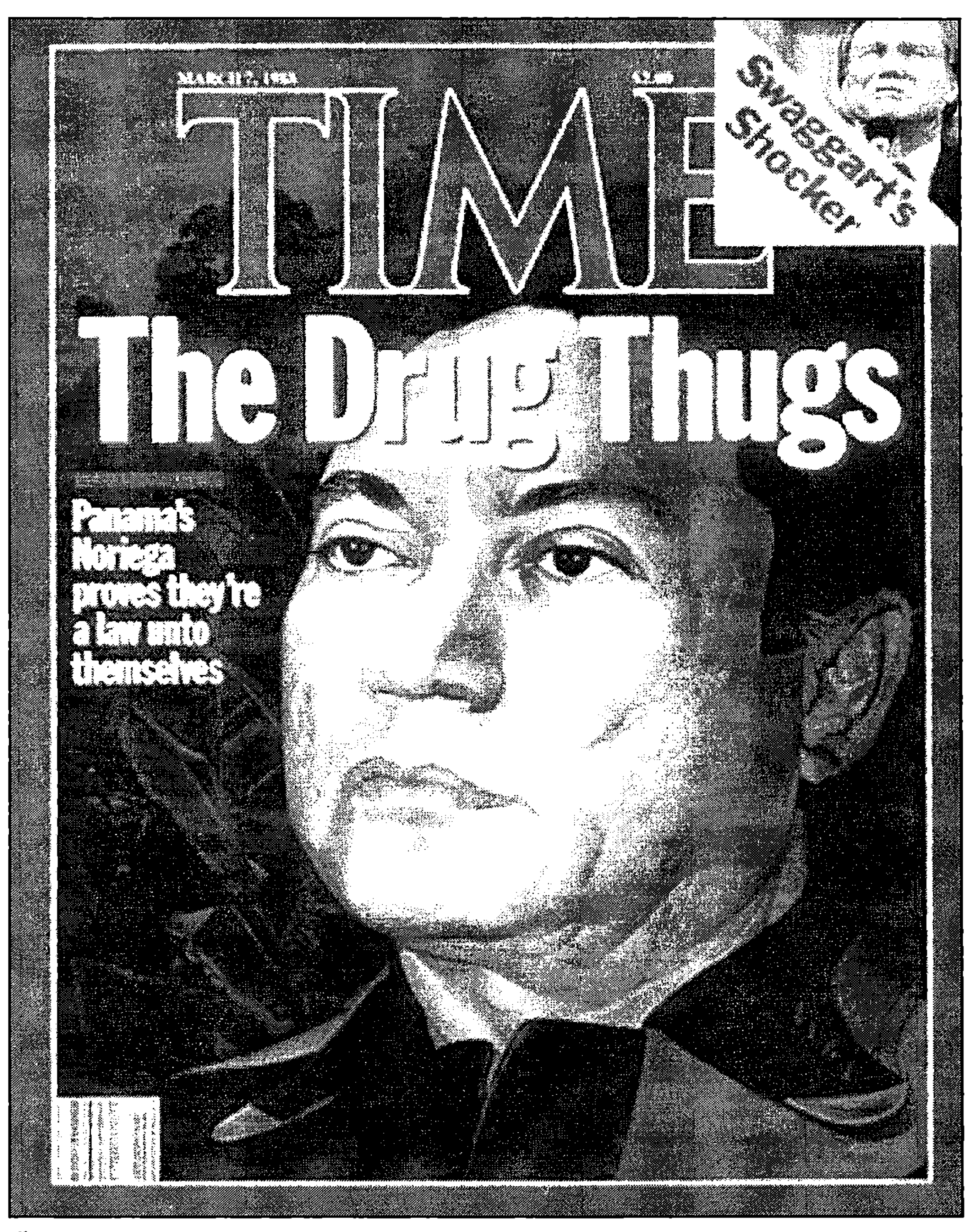
ورغم توقيع اتفاقية القناة وتصديقها من الكونغرس الأميركي، الكونغرس الأميركي كان يصر وفي تصريحاته حتى الرسمية وغير الرسمية بأنه قناة بنما هي للأميركيين ولا ينبغي أن يخرج الأميركيون من بنما وطبعا نمت وأثمرت هذه السياسة في عهد الرئيس بوش الأب في ذاك الوقت وأصر على إعادة برمجة بنما في إطار السياسة الأميركية وفعلا بدأت الاستنزافات بخلال سنتين وفرض الحصار على البنميين، الحصار الاقتصادي على البنميين استمر أيضا حوالي سنتين وانتهى هذا بما يسمى بالغزو الأميركي لبنما.

المعضلة كانت هنا بالنسبة للأمريكيين هى وجود عميل أمريكي دربته المخابرات الأمريكية في الحكم، ولكنه لم يعد يصلح للمرحلة التالية، فالأجندة الأمريكية لا تريد حاكما لا يسيطر على بلاده بالكامل فيؤدي خدماته لأسياده في واشنطون كما ينبغي، وكان الأمريكيون في عجلة من أمرهم للسيطرة على قناة بنما .

وحسب استراتيجية التخلي عن الحلفاء الأمريكيين، بدأت إدارة بوش الأب حملة دعائية هائلة ضد نورييجا، وبعد أن كان صديقا أصبح مجرما يتاجر في أسوأ سلعة مدمرة " المخدرات " ويا " عيني " يهربها لأمريكا " ليقتل رجالها وشبابها وبناتها وأطفالها " ولا بد من استئصال الخطر من منبعه " . الغريب أن نورييجا لطالما كان يتاجر في المخدرات بمباركة المخابرات الأمريكية وبعلمها وبتسهيلات منها ولم يحرك أحد في واشنطون ساكنا !!

و من هنا بدأ ت عملية تهيئة الرأي العام الأمريكي لعملية غزو بنما، وإسقاط مانويل نورييجا .

نعم، الأميركيون كانوا يعلمون أن نورييغا يتاجر في المخدرات ولم يكونوا يعيرون الأمر أهمية على الإطلاق لأنه كان عميلاً لهم .



نوريجا رجل أمريكا أصبح مجرما يهرب ويتاجر في المخدرات كما جاء على غلاف مجلة " تايم " الأمريكية بعد إراقة دمه !!

كان الغزو جريمة مدبرة تمت التضحية فيها بحليف وعميل لأهداف أكبر .. وإذا كان سببه المزعوم هو القبض على الجنرال نورييجا فقد كان في وسعهم إلقاء القبض عليه بطريقة أخرى، ودون غزو، ودون تلك العملية الاستعراضية .

الأميركيون كانوا يستطيعون قتل بنورييجا في أقل من ساعتين كانوا يتعايشون مع بعض قريبين من بعض تنقله كان معروفاً لم يكن من الصعب الحصول عليه في أي لحظة.

ومع كل هذا كانت هناك جماعات ضغط في واشنطن تدافع عن نورييجا في الوقت الذي حدث فيه الغزو للقبض عليه، وتلقى منها مكالمات هاتفية، وطالبوه بالتخلي بالهدوء وأنهم سوف يحلون المشكلة، وحين وجد أنه قد خسر كل شيء طلب اللجوء للسفارة الأميركية، والشخص الذي قام بترحيله إلى الولايات المتحدة هو مسؤول في قسم مكافحة المخدرات، وسبق أن قيل للسفير الأميركي أمام رئيس الجمهورية إن أكبر مروجين للمخدرات في البلاد هم مسؤولو مكافحة المخدرات والمفارقة أن هذا الشخص الذي قام بترحيل نورييجا إلى الولايات المتحدة قد انتهى به الأمر في السجن بعد أربعة شهور في قضية مخدرات.

العجيب أن نورييجا كان يعمل مع الـ مخابرات الأمريكية، وكانت لديهم فرص كثيرة للقبض عليه لأن الأميركيين بكل قوتهم وسلطتهم كانوا قادرين على إسقاطه لكن الولايات المتحدة الأميركية كانت لها مصالح أخرى أكبر.

THE MEMOIRS OF

MANUEL NORIEGA

AMERICA'S PRISONER

MANUEL NORIEGA
AND PETER EISNER

كتاب مذكرات " مانويل نورييجا السجين في أمريكا " !!

ونتذكّر جميعا كيف أغرق الجيش الأمريكي عبر مكبرات الصوت آذان دكتاتور بَنَما آنذاك "مانويل نورييجا بموسيقى الروك "لفان هيلن "، ذلك أيّام غزو هذا الجيش لبَنَما والتجاء الديكتاتور لسفارة الفاتيكان.

هذه العملية التي نفذتها القوات الأمريكية في بنما عام ١٩٨٩ للإطاحة بنظام مانويل نورييجا، وإلقاء القبض عليه تعد مماثلة لما حدث لصدام في العراق وكان من قبل يحظى بمساندة الولايات المتحدة، ثم ساءت علاقاته مع واشنطن، وتحدى السلطات الأمريكية الموجودة هناك. وعرضت عليه واشنطن أن يتخلى عن الحكم، ويغادر البلاد إلا أنه رفض!!

■■■





أوجستو بينوشيه..
عبرة لمن يبيع وطنه!!



لا يمكن أن يتذكر العالم عميلا نموذجيا للأمريكيين كما يتذكر الجنرال أوجستو بينوشييه حاكم شيلي.. السبب لأن الرجل كان مستعدا لكل شيء وأي شيء.. وما كان على الأمريكيين إلا أن يأمروه فيطيع.. كانت عينه هو على السلطة.. وكان من المستحيل أن يبلغ مراده، لسبب بسيط وهو أن من يشغل مقعد الرئيس هو الزعيم الوطني الكبير سلفادور الليندي، الذي لا يمكن لأحد أن يزحزحه عن كرسي الرئاسة ولو قيد أنملة لشعبيته وجماهيريته ووطنيته وأمانته ونزاهته.. ومن ثم وجد هذا الجنرال الحالم بالرئاسة في الأمريكيين ضالته المنشودة.. عرضوا عليه الصفقة وقدموا الثمن، فوافق على أن يبيع نفسه، ومن قبلها وطنه.. وعندما سقط في النهاية، تخلى عنه حلفاؤه في واشنطون، ورفضوا استقباله، وحتى علاجه— فيما بعد — وهم الذين قتل هو من أجلهم سلفادور الليندي بعد أن اقتحم عليه قصر الرئاسة وأمطره بالرصاص !!

لقد أدى بينوشييه للأمريكيين خدمات لا تقدر بثمن.. خدمات ملوثة بدم وعرق وثروات شعب شيلي دون وازع من رحمة أو ضمير .

فمجرد وصوله للحكم على أشلاء الليندي، سُرعان ما دمر هو وزمرته - بأوامر أمريكية - كل الروابط السياسية والاقتصادية بكوبا، والتي بدأت وتوثقت في عهد ألليندي والمد الثوري العالمي، كما قطع كل علاقات تشيلي بالاتحاد السوفيتي والمنظومة الاشتراكية تأكيداً للمصالح الأمريكية في الانقلاب.

كما أن تشيلي بينوشيه كانت الدولة اللاتينية الوحيدة التي لم تدعم الأرجنتين في حرب جزر الفوكلاند ضد بريطانيا.

كانت علاقات تشيلي بينوشيه مع الولايات المتحدة الأمريكية أولاً ثُم مع الدول التي تنضوي تحت عباءتها، ونتيجة لكون بينوشيه ممثل المصالح الأمريكية في تشيلي، تلقى نظامه دعماً أمريكياً لا محدوداً رغم انتهاكاته الصارخة لحقوق الإنسان.

نعم أوغستو بينوشيه هو الحاكم الديكتاتوري التشيلي السابق، وأحد أشهر جنرالات الولايات المتحدة في منطقة أمريكا اللاتينية، والمسئول الأول عن مقتل الرئيس التشيلي المُنتخب سلفادور ألليندي بتكليف وتمويل وتخطيط من وكالة المخابرات الأمريكية.

كان الجنرال أوغستو خوسيه رامون بينوشيه أوغارتا المولود في الخامس والعشرين من نوفمبر عام ١٩١٥ رئيس الحكومة التشيلية العسكرية منذ العام ١٩٧٣ وحتى العام ١٩٩٠ حاكماً عسكرياً مطلقاً، تابعا مطيعا لأمريكا، تنسب إليه وإلى عهده الكثير من المفاسد السياسية والمالية، ويتهم بالديكتوتارية، والتعذيب، واستخدام الاغتيال السياسي، والإخفاء، وتشويه وسائل للتفاهم مع المعارضة.

ولقصة تجنيد بينوشييه من جانب الأمريكيين قصة دامية .ففي نوفمبر من العام ١٩٧٠ وصل الزعيم الاشتراكى سلفادور ألليندي إلى رئاسة تشيلي في انتخابات حرة ومباشرة لم تعجب الولايات المتحدة، ذلك أن أمريكا اللاتينية كانت تمور وقتها بالاشتراكية، والعداءِ للرأسمالية، لدرجة جعلت الكثير من القسس يتركون وظائفهم الكنسية في معقل الكاثوليكية ويتجهون للاشتراك في الثورة، والتحريض ضد فساد الحكام الرأسماليين المرضي عنهم من الولايات المتحدة، وذلك في فترة المد الاشتراكي العالمي، والحرب الباردة.

وقد اتخذ طبيب الفقراء سياسات شجاعة ضربت مصالح الإمبراطورية الأمريكية في تشيلي بانتصارها لجانب الفقراء، وميولها الاشتراكية الواضحة.

قررت الولايات المتحدة أن سلفادور ألليندي خطر كبير يتهدد مصالحها، لكنها لم تستطع الطعن والتشكيك في شرعيته كحاكم ذلك لأنه فاز في الانتخابات بطريقة شريفة، لذا، قررت الإمبراطورية الكشف عن وجهها القبيح، والقضاء على أحلام الشعب التشيلي، والشعوب الفقيرة في العالم، وكان رجلها المختار لهذا هو الجنرال أوغستو بينوشيه قائد الجيش الذي استولى على السلطة بإيعاز أمريكي في ١١ سبتمبر عام ١٩٧٣، وحاصر القصر الرئاسي بدباباته مطالباً سلفادور ألليندي بالاستسلام والهروب، لكن ألليندي رفض، وارتدى الوشاح الرئاسي الذي ميز رؤساء تشيلي طوال قرنين من الزمان، ليسقط قتيلاً في القصر الرئاسي رافضاً التخلي عن حقه الشرعي.

بدأ أوغستو بينوشيه عهده العسكري بقتل الرئيس المفضل للشعب، واستمر حاكماً سبعة وعشرين عاماً كان فيها مخلب القط الأمريكي في المنطقة، والعدو الأول لكل مفكري وكتاب وأحرار أمريكا اللاتينية. شهد عهده اغتيال الجنرال عمر توريخوس رجل بنما القوي، والذي كان عائقاً في وجه الهيمنة الأمريكية الشاملة على القناة، وشكل مع نوريجا الحاكم البديل لـ بنما ورافاييل ليونداس تروخيليو حاكم الدومينيكان أسوأ وجوه الديكتاتورية التابعة لأمريكا في عالم شهد ديكتاتوريات عديدة، كـ سالازار في البرتغال، وفرانكو في إسبانيا، وتشاوشيسكو في رومانيا.

غير أن بينوشيه لم ينته في سجن أمريكي مداناً بالاتجار بالمخدرات كما انتهى نوريجا، اللعبة الأمريكية هو الآخر، ولا انتهى مقتولاً على يد شعبه كما انتهى ليونداس تروخيليو – رغم أنه تعرض لمحاولات اغتيال –، بل انتهى مخلوعاً على يد شعبه الذي خلعه رغم قوة نظامه العسكري وأنهى سبعة وعشرين عاماً من خنق الحريات على يد واحد من أسوأ أنظمة العالم الديكتاتورية.

في الحادي عشر من سبتمبر ١٩٧٣ اقتحم أوغستو بينوشييه ورجاله القصر الرئاسي، قتلوا ألليندي، حلوا الكونجرس التشيلي، وعلقوا الدستور، أعلنوا أنفسهم المجلس العسكري الحاكم، وحرموا الأحزاب السياسية اليسارية التي شكلت تحالف ألليندي الحاكم، منعوا أي نشاط سياسي، ومارسوا الإرهاب السياسي. طاردوا اليساريين في كل أنحاء البلاد، ونتيجة لأفعال المجلس العسكري، قتل أكثر من ثلاثة آلاف تشيلي أو اختفوا، كما عُذب وسُجن أكثر من سبعة وعشرين ألفاً، ونُفي الكثيرون، أو هربوا طالبين اللجوء السياسي، ومنهم السياسية التشيلية إيزابيل ألليندي ابنة سلفادور ألليندي، والروائية التشيلية الأعظم إيزابيل ألليندي ابنة أخيه.



بينوشييه الجنرال وزير الدفاع بعد لحظات من قتله الليندي

وقبل إعلان نفسه رئيسا لشيلي !!

و في العام ١٩٨٠ أُقر دستور جديد للبلاد، واستفتاء بمرشح واحد للسلطة، لكن البلاد التي كانت تمور بالكراهية لنظام بينوشيه، والضغوط الدولية المتزايدة، أعادت القاعدة المدنية إلى البلاد، منذ العام ١٩٨٨، حين رفض الكونجرس إقرار دستور يتيح لـ بينوشيه حكم البلاد طوال حياته وفضل بينوشيه، الذي كان لا يزال محتفظاً بنفوذه الكبير سياسياً وعسكرياً، أن يتنازل عن رئاسة البلاد لـ باتريشيو أيلوين الرئيس المنتخب ديموقراطياً عام ١٩٨٩، وذلك في العام ١٩٩٠، لكنه حافظ على منصبه كقائد للجيش حتى ١٩٩٨، حين أخذ مقعداً في مجلس الشيوخ طبقاً لتعديلات دستورية أقرت في ١٩٨٠.

و في عام ٢٠٠٢، سافر رجل تشيلي القوي، الحاكم الديكتاتور العجوز الذي بقي يتمتع بنفوذ هائل على الحياة السياسية في تشيلي إلى بريطانيا لإجراء فحوص طبية، وبينما كان هناك، أعتقل بتفويض قضائي أصدره القاضي الإسباني بالتاسار جارسون، وبقي قيد الإقامة الجبرية لأكثر من سنة، قبل أن يتم إطلاق سراحة لأسباب طبية، عاد إلى تشيلي، وترك مقعده كسيناتور، بعد قرار من المحكمة العليا بأنه يعاني من (خرف وعائي) لا يمكن معه أن يُحاكم لأفعاله، ثم في مايو ٢٠٠٤ حكمت محكمة تشيلي العُليا بناء على تصرفاته بأنه قادر على الصمود في محاكمة، وبدأت محاكمته في ديسمبر من العام نفسه لتهم تتعلق بحقوق الإنسان.

مؤيدو بينوشيه يفتخرون بتفاديه لما سُمي بداية الشيوعية في تشيلي، وقتال الجماعات الإرهابية الثورية مثل مير MIR، وتطبيق سياسات السوق الليبرالية الجديدة التي وضعت الأساس للنمو الاقتصادي السريع الذي استمر حتى الثمانينيات.

أما معارضوه فيتهمونه بتحطيم ديموقراطية تشيلي، واتباع سياسية إرهاب الدولة المنظم التي قتلت وعذبت آلاف المعارضين، وتفضيل مصالح الفئة الثرية الحاكمة، بتبني سياسيات اقتصادية آذت ذوي الدخل المتدني، وخدمت النخبة الثرية.

ولد أوغستو بينوشيه أوغارتا في والباraيسو في الخامس والعشرين من نوفمبر عام ١٩١٥ ابن أوغستو بينوشيه فيرا، وأفيلينا أوغارتا مارتينيز.

درس الابتدائية والثانوية في كلية القديس رافاييل وكذلك معهد كويلوتا (الإخوة ماريست) وهم المبشرون الفرنسيون في والباraيسو، ودخل المدرسة العسكرية في ١٩٣٣ ليتخرج منها بعد أربع سنوات برتبة ألفاريز (مُلازم ثان) في المشاة.

تزوج في الثلاثين من يناير عام ١٩٤٣ من لوتشيا هيريارت رودريغز، وأنجب منها خمسة أطفال، ثلاث بنات (إينيس لوتشيا، ماريا فيرونيكا، جاكلين ماري)، وولدان (أوغستو أوزوالدو وماركو أنطونيو).

عاد إلى الأكاديمية العسكرية في خمسة وأربعين ليواصل دراساته فيها، وقوطعت هذه الدراسات في ١٩٤٨ عندما اتجه لإخماد تمردات مناطق الفحم في لوتا.

بعد حصوله على لقب ضابط رئيس هيئة الأركان في ١٩٥١ اتجه إلى التدريس في الأكاديمية العسكرية، وفي نفس الوقت عمل كمساعد أستاذ في أكاديمية الحرب، وكان اختصاصه التصانيف الجغرافية، كما نشط في تحرير مجلة (تشين أجويلاس) مائة نسر العسكرية.

و في بداية ١٩٥٣ أرسل إلى أريكا برتبة عسكرية عليا، ثم عُين أستاذاً في أكاديمية الحرب، وعاد إلى سانتياغو عاصمة تشيلي لأجل منصبه الجديد، كما حصل على البكالوريا ودخل كلية الحقوق في تشيلي.

في ١٩٥٦ أرسل مع مجموعة من الضباط الشباب إلى مهمة عسكرية في الإكوادور فقوطعت دراسته للحقوق، لكنه عوض عنها بالاستمرار في دراسة الجغرافيا السياسية والعسكرية، والاستخبارات العسكرية. وبقي في هذه المهمة ثلاث سنوات ونصف عاد في نهايتها إلى تشيلي، وأرسل إلى مقر القيادة العامة للتقسيم العسكري في أنتوفاجاستا، وفي السنة التالية عُين قائداً لفوج (إزميرالدا)، وبسبب نجاحه في هذا الموقع عُين رئيساً لثانوية تتبع أكاديمية الحرب في ١٩٦٣.

وفي ١٩٦٨ سُمي رئيس أركان الفرقة الثانية للجيش، وفي العام التالي رُقي إلى رئيس الأركان في سانتياغو وحصل على رتبة بريجادير جنرال (عميد). وعُين أيضاً قائداً لمقاطعة تاراباسا.

وفي ١٩٧١ رُقي إلى رتبة جنرال فوج وصار قائد حامية سانتياغو، وفي ١٩٧٢ صار رئيس هيئة الأركان خلال نزاع محلي متصاعد سبق ولاية سلفادور ألليندي، وعُين القائد الأعلى للجيش في الثالث والعشرين من أغسطس ١٩٧٣ من قبل الرئيس سلفادور ألليندي.



بينوشيه الرئيس بعد أن أحكم قبضته على السلطة !!

وصل الجنرال بينوشيه إلى السُّلطة في انقلاب سبتمبر ١٩٧٣، حين قصفت القوة الجوية التشيلية القصر الرئاسي في الحادي عشر من سبتمبر، بينما اقتحم القصر من قبل جنود المشاة والدبابات. رئيس تشيلي المنتخب سلفادور ألليندي رفض الاستسلام، وقُتل أثناء الاجتياح للقصر.

الزُّمرة الجديدة الحاكمة تكونت من: الجنرال أوغستو بينوشيه عن الجيش، والأدميرال خوسيه توريبيو ميرنو عن القوات البحرية، والجنرال غوستافو لاي عن القوات الجوية. وسيزار ميندوزا عن قوات الكارابينيروس (الشرطة العسكرية الموحدة).

و كان بينوشيه يرأس الفئة الأقدم والأكثر قوة، وغرضه من هذا التقسيم توزيع السلطة بينه وبين الزمرة، والإيحاء بأن المجلس العسكري شوروي، لكن الحقيقة هي أن هذه الزمرة سُرعان ما تورطت في أعمال غير مشروعة، وتحولت إلى حكومة اشتهرت عالمياً بانتهاكاتها الحادة لحقوق الإنسان، وبالتسبب بالكثير من (الاختفاءات).

ومنذ بدايته كسب بينوشيه عداء كُتاب أمريكا اللاتينية الأشهر كالحائز على نوبل الكولمبي غابرييل غارسيا ماركيز الذي كتب كتاباً عن نظامه أسماه (مهمة سرية في تشيلي)، واستلهم سيرته في روايته الشهيرة (خريف البطريرك).

و كذلك الروائية التشيلية الأعظم إيزابيل ألليندي التي استعادت انقلابه العسكري في روايتها (بيت الأرواح) وكتبت عن فظائع نظامه، بالإضافة إلى البيروفي ماريو بارغاس ليوسا، وحتى الكاتب الإنجليزي الشهير غراهام غرين الذي كان من أكبر مُعاديه، وبإيجاز، كان بينوشيه ونظامه العدو الأكبر للصف الأول من المثقفين والأدباء العالميين. ولم يفعل هو ما من شأنه تخفيف هذا العداء بل إنه أمعن في تحويل تشيلي إلى سجن كبير.

في مذكراته، يقول بينوشيه إنه كان المسئول الأول عن الإنقلاب، والمخطط له مستفيداً من مكانه كقائد للجيش، بينما يؤكد الآخرون بأن الانقلاب بدأته البحرية، وأنه كان متردداً ولم يحسم أمره حتى قبل أيام من الانقلاب الذي دبر بإملاء أمريكي.

وعندما امتلكت الزمرة العسكرية السلطة، دعم بينوشيه سلطته بإعلان نفسه زعيماً على الزمرة وعين نفسه (كابيتاين جنرال) أو النقيب جنرال، وهو لقب حمله الحكام الاستعماريون الإسبان لـ تشيلي سابقاً، وكذلك حمله بيرناردو أوهيغينز بطل حرب استقلال تشيلي وأول رئيس لها. ومن ثم في السابع والعشرين من يونيو عام ١٩٧٤ أعلن نفسه رئيس تشيلي.

عارض قائد القوات الجوية الجنرال لاي سياسات بينوشيه بشكل متزايد فُطرد من الزمرة في الرابع والعشرين من يوليو ١٩٧٨ واستبدل بالجنرال فرناندو ماتهي.

وخلال العامين ١٩٧٧ و١٩٧٨ كانت تشيلي على شفير الحرب مع الأرجنتين– المحكومة أيضاً بنظام عسكري – على ملكية الجزر الاستراتيجية الثلاث (بيكتون، لينوكس، ونيوفا)، وقد تدخل أنتونيو ساموري مبعوث البابا يوحنا بولس الثاني كمبعوث لحل الأزمة، ونجح في مهمته لنزع فتيل حرب شاملة، وبتوقيع معاهدة الصداقة والسلام (تراتادو دي باز إي أميستاد) بين البلدين في ١٩٨٤، والجزر محل التنازع تتبع تشيلي الآن.

تبنى بينوشيه الطروحات الاقتصادية الرأسمالية، واقتصاد السوق المفتوح، وأعلن صراحة بأنه يطمح لـ: "جعل تشيلي أمة من رجال الأعمال، لا البروليتاريين"، ولتنفيذ سياسته اعتمد في رسم اقتصاده على أولاد شيكاغو المدعين من خريجي الجامعات الأمريكية المتأثرين بسياسات ميلتون فريدمان (منظر اقتصادي رأسمالي) الاقتصادية.

أطلق بينوشيه عصر إلغاء التنظيم والخصخصة الاقتصادية، ولإنجاز أهدافه، ألغى الحد الأدنى من الأجور، أبطل حقوق اتحاد العمال، خصخص نظام الراتب التقاعدي، الصناعات الرسمية، والبنوك، خفض الضرائب على الثروات والأرباح.

مؤيدو هذه السياسات (من بينهم ميلتون فريدمان نفسه) لقبوه بـ "معجزة تشيلي"، بسبب ٣٥٪ من الزيادة لحصة كل فرد في الناتج المحلي الإجمالي من ١٩٦٠ إلى ١٩٨٠، لاحقاً من ١٩٩٠ إلى ٢٠٠٠ زاد بحوالي ٩٤٪ لكن بينوشيه لم يعد في السلطة.

ويعارض المعارضون مثل نعوم تشومسكي (مفكر عالمي حر، مشهور بتأملاته في الحالة الأمريكية المعاصرة، ووصل العداء بينه وبين سدنة الإمبراطورية الأمريكية إلى حد مُطالبة البعض بتجريده من جنسيته الأمريكية) هذه العناوين، مشيراً إلى أن معدل البطالة ارتفع من ٤,٣٪ في ١٩٧٣ إلى ٢٢٪ في عام ١٩٨٣، بينما هبطت الأجور الحقيقية بنسبة ٤٠٪ .

وهناك خلاف بين الاقتصاديين حول صحة هذه النسب، ذلك أن كل فريق ينتقي النسب التي تدعم وجهة نظره، ويصعب الفصل بين الفريقين، أيهما محق.

على أي حال، استطاع بينوشيه علاج هذه القضايا في سنواته الأخيرة كرئيس حيث انخفضت البطالة إلى ٧,٨٪ بحلول ١٩٩٠، وعولجت مشاكل النقص أثناء السنوات الأخيرة من إدارة ألليندي أيضاً.

الخصخصة، تخفيض الإنتاج الوطني، وسياسات العمل الحرة، كلها أثر سلباً على طبقة تشيلي العاملة، لكنه حتماً أراح الطبقة الثرية وأطلق لها المجال لتثري دون حد.

وتُعبر إيزابيل ألليندي عن هذه الحالة في رواية بيت الأرواح على لسان الحفيدة بالقول: "لم يكن جدي قادراً على متابعة ثرواته، كان يكفي أن يتركها في البنوك لتتضاعف وحدها"

وتضمنت سياسات ألليندي الاقتصادية تأميم الشركات الأجنبية، خصوصاً شركات الولايات المتحدة، والتي كانت تملك امتياز مناجم النحاس في تشيلي، وكان هذا سبباً هامًّا في معارضة الحكومات الغربية لحكومة ألليندي الماركسية، بالإضافة إلى علاقته الودية بالاتحاد السوفيتي وكوبا، ومُعظم المعارضة الداخلية له جاءت من قطاع العمل، وتفيد وثائق مؤكدة بأن المخابرات المركزية الأميركية مولت إضراب سائقي الشاحنات الذي تسبب في الفوضى الاقتصادية التي سبقت الانقلاب كما مولت الانقلاب (فعلت الولايات المتحدة الشيء نفسه بعد ثلاثين عاماً بتمويل معارضي هوغو شافيز في فنزويلا).

وخلال سبعة عشر عاماً أمضاها بينوشيه في الحكم، منعت الزمرة كل أشكال النشاط السياسي، وخصوصاً نشاط اليساريين والاشتراكيين والمتعاطفين مع الشيوعية أو مع سلفادور ألليندي، وقامت بتصفية وتشريد المثقفين اليساريين، وتسببت بالكثير من الاختفاءات، وتمكنت لجنة تحقيق "ريتيج" من إثبات ألفين وخمس وتسعين حالة قتل، كما ألف ومائة واختفائين.

كذلك كان التعذيب مستخدماً بكثرة في هذا العهد، للبطش بكل المعارضين، ويذكر تقرير "فاليك" أكثر من ثمانية وعشرين ألف حالة تعذيب.

وسُرعان ما دمرت الزمرة كل الروابط السياسية والاقتصادية بـ كوبا، والتي بدأت وتوثقت في عهد ألليندي والمد الثوري العالمي، كما أن الزمرة قطعت كل علاقات تشيلي بالاتحاد السوفيتي والمنظومة الاشتراكية تأكيداً للمصالح الأمريكية في الانقلاب.



سلفادور الليندي " إلى اليمين " وبجانبه عميل أمريكا بينوشييه الذي استخدمته لتصفية الليندى جسديا !!

كانت تشيلي، الأوروغواي، الباراغواي، بوليفيا، البرازيل، ولاحقاً الأرجنتين تخضع في وقت متزامن لأحكام دكتاتورية انقلابية، وكونت هذه الديكتاتوريات ما يُسمى بـ "عملية كوندور" لاستهداف جميع التنظيمات الماركسية والاشتراكية، والأفراد المشتبه في ولائهم للاشتراكية في دول أمريكا اللاتينية.

كما أن تشيلي بينوشيه كانت الدولة اللاتينية الوحيدة التي لم تدعم الأرجنتين في حرب جزر الفوكلاند ضد بريطانيا.

كانت علاقات تشيلي بينوشيه مع الولايات المتحدة الأمريكية أولاً ثُم مع الدول التي تنضوي تحت عباءتها، ونتيجة لكون بينوشيه ممثل المصالح الأمريكية في تشيلي، تلقى نظامه دعماً أمريكياً لا محدوداً رغم انتهاكاته الصارخة لحقوق الإنسان.

وفي مايو ١٩٨٣ بدأت المعارضة والحركات العمالية بتنظيم الإضرابات والعصيانات المدنية، وأثارت هذه الحركات ردود فعل عنيفة من قبل مسؤولي تشيلي الحكوميين. في ١٩٨٦ اكتشفت قوات الأمن ثمانين طُناً من الأسلحة التي هُربت إلى البلاد بواسطة جبهة مانويل رودريغز الوطنية (FPMR)، الجناح العسكري للحزب الشيوعي المحظور، متضمنة قاذفات صواريخ، ومنصات لإطلاقها، وبنادق إف ١٦، واشترك في تمويل الحركة كوبا مع ألمانيا الشرقية والاتحاد السوفيتي.

وفي سبتمبر من العام ذاته، استخدم بعض من هذه الأسلحة في محاولة فاشلة لاغتيال بينوشيه قامت بها جبهة مانويل رودريغز الوطنية، ورغم نجاة بينوشيه بجروح طفيفة، إلا أن خمسة من حراسه الشخصيين العسكريين قتلوا في المحاولة.

أدى قطع رؤوس الشيوعيين الثلاثة: خوسيه مانويل بارادا، مانويل غويريرو، وسانتياغو ناتيني من قبل الشرطة العسكرية (الكارابينيروس) إلى استقالة الجنرال ميندوزا من الزمرة في ١٩٨٥. وطبقاً لدستور ١٩٨٠ الانتقالي، والذي

صوت له ٧٥٪ من الناخبين، نظم استفتاء غير اعتيادي، وغير ديموقراطي لصالح بينوشيه كمرشح أوحد، غير أن المحكمة العُليا حكمت ببطلانه، ونظمت عملية الانتخاب والتصويت، وحددت أوقات الإعلانات التلفزيونية، المجانية والمشروطة بوقت وقواعد معينة.

وكنتيجة لقرار المحكمة نشرت المعارضة بقيادة ريكاردو لاغوس إعلانات مستبشرة وزاهية تحرض الناس على رفض بينوشيه، ووجد بينوشيه نفسه مُطالباً بالإجابة عن أسئلة تتعلق بالذين اختفوا، قُتلوا، أو عُذبوا. في الاستفتاء العام، ربح محامو (لا) التصويت بنسبة ٥٥٪ مقابل ٤٢٪ قالوا (نعم)، وبناء على نتائج الاستفتاء كان على بينوشيه أن يرحل عن السلطة، وحكمت المحكمة العليا بانتخابات البرلمان في العام التالي، وتلتها الانتخابات الرئاسية العامة التي فاز بها باتريشيو آيلوين، وفي الحادي عشر من مارس ١٩٩٠ ترك بينوشيه رئاسة الدولة.

وبناء على نصوص دستور ١٩٨٠ الانتقالي، احتفظ بينوشيه بمنصبه كقائد للجيش، وأقسم اليمين كعضو في البرلمان وهو امتياز كان حقاً لجميع رؤساء تشيلي السابقين، مما أعطاه حصانة ضد المحاكمة، الحصانة التي سقطت باعتقاله في لندن بضوء أخضر من حلفائه الأمريكيين الذين كانوا قد قرروا كالعادة التخلي عنه باعتباره جوادا خاسرا.

وتسببت في بدء محاكمته والتنقيب في حساباته في الخارج حيث اكتشفت حساباته في الولايات المتحدة بملايين الدولارات من أموال شعب تشيلي.

أورث بينوشيه النظام اللاحق ملفات كثيرة عن انتهاكات حقوق الإنسان الصارخة، ونظاماً رأسمالياً بنسبة نمو اقتصادي معتدلة تُبقي الفقراء أكثر فقرا والأغنياء أكثر غنى، مما وسع الهوة بين طبقات الشعب، وقسمهم ما بين باك على ألليندي، ونادبٍ لـ بينوشيه، كل بحسب ثرائه، كما أن علاقات نظامه الخارجية

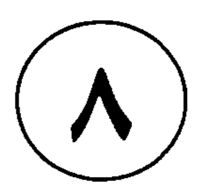
كانت مع دول الكتلة الغربية، ومقطوعة تماماً مع دول المنظومة الاشتراكية، لكنه ترك تشيلي مستقرة، وعصرية، بهوية أمريكية.

تم الإعلان في صباح ٣ ديسمبر ٢٠٠٦ أن أوغستو بينوشيه تعرض لنوبة قلبية، وحدث ذلك بعد أيام من وضعه رهن الإقامة الجبرية. وفي ٤ ديسمبر ٢٠٠٦، أصدرت محكمة الاستئنافات التشيلية أمرا برفع الإقامة الجبرية.

وفي ١٠ ديسمبر ٢٠٠٦ أخذ بينوشه إلى وحدة العناية المركزة وتوفي بسبب فشل في عمل القلب وتراكم مياه في الرئتين محاطا بأفراد عائلته، في المستشفى العسكري .

■■■





إدوارد شيفرنادزه..
ليلة اصطياد الثعلب!!



نموذج حديث لقرابين مذبح الغدر الأمريكي بالحلفاء.. إنه رئيس جورجيا الجمهورية السوفييتية السابقة إدوارد شيفرنادزه، الذي خلعته الثورة الوردية المدعومة بالكامل من واشنطن في شهر نوفمبر من عام ٢٠٠٣ !!

يقول شيفرنادزه لصحيفة " ديلي تليغراف " البريطانية في فبراير عام ٢٠٠٣ : لقد قدمت للأميركيين كل ما طلبوه مني، بل وأكثر مما طلبوه، ولعبت دورا أساسيا في انهيار الاتحاد السوفيتي، وقدمت لهم قاعدة عسكرية على أراضي جورجيا بالقرب من الحدود الروسية، وجلبت جنرالاتهم ليدربوا جيشنا ويقودوه، ورغم كل هذا خانوني، ودبروا الانقلاب ضدي، وكان السفير الأميركي يجلس معي، وبعد ساعة واحدة شاهدته وسط المتظاهرين ضدي في الميدان أمام مبنى البرلمان، ولا أدري لماذا فعلوا ذلك معي !!

هذا هو إدوارد شيفرنادزه رئيس جورجيا السابق الذي اعترف بأنه لعب دورا أساسيا في تفكيك الاتحاد السوفيتي لمصلحة أمريكا ، واستجاب لكل مطالبها ، وبرغم ذلك كله باعته، واعترفت بحكومة الانقلاب، بعد أن أعدت وجهزت البديل، ودعمته وساندته، لكي يكون رجلها في المستقبل بدلا من حليفها التليد، الذي انتهى دوره، وحان وقت إلقائه في سلة قمامتها السياسية !!

لقد كان جورج شولتز وزير خارجية الولايات المتحدة في فترة رئاسة ريغان صديقه كما كان جيمس بيكر وزير الخارجية الأميركي في عهد جورج بوش الأب،

ولكن عندما زار بيكر جورجيا قبل سقوط الصديق الوفي لم يكن لدعمه وإنما لإعطائه شهادة انتهاء الصلاحية ولإقناعه بالتنحي عن السلطة !!

ثم في الوقت الذي أخذ فيه السياج الذي أحاط شيفاردنادزه به نفسه في الانهيار وأصبح يتحاشى صيحات الجماهير الغاضبة.

ومن الصعب اليوم أن تجد شخصاً في تبليسي يذكر شيفارنادزه بكلمة طيبة فقد امتلأت نفوس الشعب الجورجي بالمرارة من سنوات الفساد والمحسوبية والانهيار الاقتصادي والتلاعب السياسي وتزوير الانتخابات حتى لم تدع شعوراً بالعطف عليه.



شيفارنادزه بعد الهجوم عليه داخل البرلمان وقبل فراره.. هكذا بدت الصورة !!

و تبدأ رحلة الغدر الأمريكي بوصول أول مجموعة من العسكريين الأمريكيين إلى العاصمة الجورجية تبليس في بداية عهد شيفاردنادزه تمكنت واشنطن من أول اختراق عسكري لها للمنطقة، وهو الأمل الذي ظلّ يداعب الإدارة الأمريكية منذ سقوط الاتحاد السوفيتي.

وفي سجل صراع النفوذ في المنطقة أصبحت قاعدة "قارزياني" الجورجية هي الأولى التي تدخلها قوات أمريكية بعد انسحاب القوات الروسية منها مباشرة، وهي الثالثة التي تحل فيها قوات أمريكية، بعد دخول قوات أمريكية إلى قيرغيزيا وأوزبكستان على حساب القواعد السوفيتية السابقة، وهو ما كان يعني زحزحة النفوذ الروسي خطوة أخرى لصالح النفوذ الأمريكي.

وقد لخَّص الرئيس السابق لجمهورية أنجوشيتيا المسلمة في القوقاز الروسي الجنرال رسلان آوتشيف الهدف الأمريكي في القوقاز قائلًا: "إن الأمريكيين يريدون تطويق بحر قزوين" الغني بالنفط بإرسالهم عسكريين إلى جورجيا.

وقال في مقابلة مع صحيفة "نزافيسيمايا غازيتا" ١٢ مارس ٢٠٠٢ : "لقد أرادوا على الدوام التأثير على الوضع في هذه المنطقة. لقد سبق ونظفوا البلقان وآسيا الوسطى، والآن يحاصرون بحر قزوين وينظفونه. ونحن نساعدهم على القيام بذلك بأعمال غير مدروسة"، ملمحًا إلى أنه كان على موسكو ألا تسمح بتواجد الأمريكيين في آسيا.

إلا أن ما لم يقله رئيس أنجوشيتيا أن هدف الأمريكيين الأهم هو محاربة القوى الإسلامية في هذه المنطقة كي لا تتحول إلى أفغانستان أخرى، كما قال الرئيس بوش، وهو يدافع عن إرسال قوات إلى الفليبين وجورجيا.

واللافت أن الرئيس الجورجي إدوارد شيفرنادزه الذي فشل في حربه ضد مسلمي أبخازيا (تسمَّى بلاد الأباظة المسلمة) سعى لإطلاق تحذير من اتخاذ قوات

تنظيم القاعدة لهذه المناطق المحاذية لجورجيا قاعدة جديدة لها؛ لجذب القوات الأمريكية لخوض حرب بالوكالة عنه ضد المسلمين الأباظة وربما مسلمي القوقاز!!

ففي أعقاب انتصار الثورة البلشفية في روسيا، سمح لينين للمسلمين الأبخاز عام ١٩٢١م بإقامة دولة مستقلة لهم سميت وقتها (بلاد الأباظة المسلمة)، واستمرت هذه الجمهورية المستقلة تحكم نفسها بنفسها بواسطة دستورها الخاص لمدة عشر سنوات حتى عام ١٩٣١م عندما أمر ستالين (من أصل جورجي) بضم أبخازيا (المسلمة) لجورجيا (المسيحية) كجمهورية ذات حكم ذاتي تابعة لجورجيا.

ومع إعلان انهيار الاتحاد السوفيتي، ألغت سلطات جورجيا برئاسة شيفرنادزه الدستور الجورجي الذي كان يحمي حقوق الأقليات ويسمح بجمهوريات ذات حكم ذاتي، وكان من الطبيعي أن ترد سلطات أبخازيا بإعلان استقلالها وعودتها لدستور عام ١٩٢٥، وبالتالي سيادة المسلمين على إقليمهم الذي يُعَدّ أحد الطرق الإستراتيجية الهامة التي يطل منها الاتحاد السوفيتي القديم على موانئ البحر الأسود والمياه الدافئة.

وبدلاً من اعتماد شيفرنادزة على أسلوب الحوار -كدبلوماسي قديم ووزير خارجية للاتحاد السوفيتي- أرسل عشرات الآلاف من الجيش الجورجي لاحتلال أبخازيا وعاصمتها سوخومي، واحتج وقتها بحماية الأقليات الجورجية والروسية.

وقد نجح المسلمون في إعادة تجميع قواتهم وتشكيل جيش قوي نجح في خوض غمار حرب طويلة مع الجيش الجورجي، ونجح أخيرًا في منتصف التسعينيات في حصار وطرد هذه القوات الجورجية، واستعادة سيطرة المسلمين على أراضيهم وبلادهم في سبتمبر ١٩٩٢، خاصة أن جورجيا أفصحت -على لسان وزير خارجيتها في حينه- عن أن هدفها هو سحق هؤلاء المسلمين الأباظة وإبادتهم؛ إذ قال وزير الدفاع الجورجي لتليفزيون بلاده: إنه مستعد للتضحية بـ ١٠٠ ألف جورجي لقتل ١٠٠ ألف مسلم أبخازي، وترك الأمة الأبخازية المسلمة دون ذرية أو هوية!!

ومع اندحار الاحتلال الجورجي عادت بلاد الأباظة حرة للمرة الأولى منذ الخلافة العثمانية.

وقد أدى الصراع بين زعماء هذه المنطقة القريبة من البحر الأسود والتي تتشابك فيها المصالح، وتتعقد فيها الصراعات بين القوى المحلية والدولية لإعطاء الأمريكان الفرصة للنفاذ إليها.

فجورجيا وأبخازيا بينهما صراع تاريخي طويل لإصرار أبخازيا على الاستقلال، بينما تُصِرّ جورجيا على اعتبارها جزءاً من أراضيها، ونفس الحالة تنطبق على أوسيتيا الجنوبية، أما روسيا فتؤيد أبخازيا وأوسيتيا في مساعيهما للاستقلال؛ نكاية في جورجيا المتمردة على الانضواء تحت الهيمنة الروسية أسوة ببقية دول المنطقة، وردًّا على ذلك تؤيد جورجيا المقاتلين الشيشان في قتالهم ضد الغزو الروسي لبلادهم.

من جانبها أصرت الولايات المتحدة وجورجيا شيفاردنادزه على التأكيد على أن الهدف من وصول القوة الأمريكية هو التعرف على المنطقة عن كثب وتدريب وحدات من القوات الخاصة الجورجية على مكافحة ما يسمى بالإرهاب، ومواجهة "الإرهابيين" المتمركزين في منطقة وادي بانكيسي على الحدود الجورجية، وهم مجموعة من المقاتلين الشيشان الذين فروا إلى المنطقة القريبة من بلادهم، واستقروا بها بموافقة السلطات الجورجية التي يحفل سجل علاقاتها مع روسيا بخلافات حادة.

وفي هذا الإطار سربت الولايات المتحدة أنباء عن اتفاق غير معلن مع موسكو على التواجد الأمريكي في جورجيا، لكن مدير إدارة الأمن الفيدرالي الروسي نيكولاي باتروشيف نفى ذلك، كما أن روغوزين رئيس لجنة العلاقات في مجلس الدوما الروسي قال صراحة: إن أي عمل عسكري في المنطقة حتى ولو كان ضد مقاتلين شيشان، سيحمل تهديدًا للحدود الروسية، وإن موسكو تملك الحق في اتخاذ إجراءات الدفاع عن أمنها القومي.

وقد حاولت واشنطن التهدئة من الغضب الروسي من خلال مكالمة وزير خارجيتها لنظيره الروسي، مؤكدًا أن التدريبات الأمريكية ستكون في مصلحة روسيا، وأن واشنطن ستواصل إطلاع موسكو على التطورات أولاً بأول.

لكن موسكو سارت في خط الضغط على جورجيا التي فتحت ذراعيها للتواجد الأمريكي، فقد صوت مجلس الدوما الروسي (٣/١) بغالبية كبيرة على قرار يقضي بإمكان النظر في وضع جمهوريتي أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية (شمال جورجيا)، وهو ما يشير إلى إمكانية اعتراف موسكو باستقلال الدولتين، الأمر الذي أثار غضب وتخوف جورجيا المتشبثة ببقاء الدولتين ضمن أراضيها.

ومن الواضح أنه كانت هناك صفقة كبيرة بين جورجيا والولايات المتحدة تفتح الأولى بمقتضاها أراضيها للقوات الأمريكية والتمكين للهيمنة الأمريكية هناك على حساب النفوذ الروسي، مقابل تسهيل واشنطن انضمام تبليس لحلف شمال الأطلنطي، وقد أكد ذلك مستشار الرئيس الجورجي للشؤون الخارجية بقوله: إن بلاده لن تتراجع عن قرارها بتقديم طلب للانضمام للحلف عام ٢٠٠٥، وكان أكثر تحديدًا عندما أوضح أن الجهود التي تقوم بها بلاده لتدريب قواتها المسلحة تتم حسب المعايير التي وضعها الحلف، مشيرًا إلى المساعدات التي تتلقاها بلاده في هذا الصدد من دول الحلف، وعلى رأسها واشنطن، ولندن، وباريس.

وقد سار شيفاردنادزه خطوة أكثر تقدمًا في سبيل توطيد العلاقات مع واشنطن بتعيين سفيرها السابق لدى واشنطن "تيدو جاباريدزة" سكرتيرًا لمجلس الأمن القومي الجورجي، وهو الموقع الأكثر أهمية بعد موقع الرئيس، الأمر الذي دعا مراقبين في موسكو إلى التكهن بأن سياسة جورجيا تسير نحو ترسيخ وجود عسكري طويل الأمد في المنطقة، وهو ما دعا مسؤولين من الروس إلى القول بأن الأسباب الحقيقية لظهور القوات الأمريكية في منطقة القوقاز (جورجيا متاخمة لمنطقة القوقاز) لا تزال خافية.

ومن الواضح أن الروس قلقون رغم أنهم سبق أن حاولوا جرَّ أمريكا لمستنقع الشيشان وتمنعت واشنطن، ولكنهم الآن بعدما وصل الأمريكان للجوار زادت مخاوفهم، ويسعون جاهدين للإمساك بتلابيب الهيمنة على الدول المستقلة، والحيلولة دون تحول استقلال الدول المنسلخة من الاتحاد السوفيتي القديم إلى استقلال حقيقي يجعل من كل دولة صاحبة قرار حر في علاقاتها الدولية، بما يمكن أن يفتح الباب للاختراق العسكري الغربي للمنطقة.

ويمكن القول: إن المخاوف الروسية من واشنطن تنبني على معلومات لدى روسيا عن وجود خطة لدى الإدارة الأمريكية، ترمي إلى احتواء روسي عسكري باختراق الناتو للمنطقة عسكريًّا، واقتصاديًّا، وتحجيم النفوذ الروسي على دول المنطقة. **وتقوم هذه المخاوف على شواهد ملموسة على أرض الواقع تتمثل في:**

١ - إعلان الولايات المتحدة اعتزامها مشاركتها في قوات لحفظ السلام إلى إقليم ناجورنو كاراباخ المتنازع عليه بين أرمينيا وأذربيجان، وذلك تحت إشراف منظمة الأمن والتعاون الأوروبي، وبمشاركة قوات روسية.

٢ - مشاركة قوات أمريكية في تدريبات عسكرية على حدود روسيا نفسها في سبتمبر من عام ١٩٩٧ مع القوات المشتركة لكل من كازاخستان، وأوزبكستان، وقيرغيزستان التي تجمعها اتفاقيات عسكرية.

٣ - قدوم طلائع القوات الأمريكية إلى جورجيا تمهيدًا لاستقرار دائم في المنطقة.

ويلاحظ هنا حرص واشنطن على أن يكون تدخلها الأمني والإستراتيجي من قبيل المساعدة الإنسانية، وحفظ السلام، وتقديم الخبرات، وعلى سبيل المثال تجلى التدخل الأمريكي في هذه الدول خلال العديد من النزاعات التي اشتعلت بها، مثل: (النزاع الأرمني الأذري) حول إقليم ناجورنو كاراباخ، حيث كان التدخل

هنا عبر منظمة الأمن والتعاون الأوروبية، ومؤتمر مينسك الذي عقد في ظل النزاع، وجاء التدخل الأمريكي لصالح أرمينيا صاحبة العلاقات القوية بين أعضاء الكونجرس الذين شكّلوا جماعة ضغط نجحت في سن القانون رقم ٩٠٧ تحت عنوان: "قانون دعم الحرية" عام ١٩٩٢م، ويحظر على الإدارة الأمريكية تقديم أي دعم لأذربيجان، رغم أنها المتضررة من النزاع، حيث فقدت ١٥٪ من أراضيها، وعانى ٨٠٠ ألف من التهجير القسري بسبب الحرب (١١٪ من السكان).

ويبدو أن الولايات المتحدة تسعى لإدماج روسيا، ومعها المنطقة كلها في النظام الدولي -وفق الرؤية الأمريكية بالطبع-، وتعتبر واشنطن وجودها ونفوذها في المنطقة هو الضمانة لهذا الإدماج، ولكن بحذر ودون استفزاز لروسيا أو مجموعة دول المنطقة؛ ولهذا فإن الولايات المتحدة اتخذت طريق التدخلات الاقتصادية المليئة بالإغراءات المالية من خلال المنظمات غير الحكومية ومجموعات رجال الأعمال والمستثمرين.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الولايات المتحدة غضت الطرف عن الانتهاكات الدائرة في الشيشان على أيدي روسيا والانتهاكات الأخرى على أيدي الديكتاتوريات في أوزبكستان، في تلك الآونة كان حضورها السياسي ونفوذها العسكري وتغلغلها الاقتصادي يفرد شباكه على دول الانفكاك السوفيتي.

ولم تتحرك واشنطن بمفردها في المنطقة، وإنما حاولت أن تصنع نوعًا من التحالف القوي من الدول ذات الصلة والمصلحة هناك، فقد أقامت شراكة في هذا الصدد مع تركيا الطامحة لدور أكبر، وأخذت الكيان الصهيوني تحت معطفها.

بل وحرص الطرف الأمريكي على ألا يكون الصراع عنيفًا، وإنما فضّل منهج الاحتواء، فروسيا لديهم تمثل -وفقًا لرؤية أزجينيو بيرجنسكي مستشار الأمن القومي الأمريكي السابق في كتابه "رقعة الشطرنج الكبرى" - "دولة غير مستقرة سياسيًا وتمتلك في نفس الوقت ترسانة نووية، ومن المحتمل أن تشهد فوضى

سياسية قد تؤدي إلى تهديد أوروبا من انتشار أسلحة الدمار الشامل"؛ لهذا يسير الاتجاه الأمريكي في التعامل مع روسيا منذ سقوط الاتحاد السوفيتي نحو الاحتواء والمساومة وليس الاستفزاز والصدام.

وعودة إلى قصة سقوط شيفرنادزه سنجدها هي نفسها قصة سقوط كل ديكتاتور تخلت عنه " بركة " حلفائه الأمريكيين، الذين باعوه رخيصا !!

ففي عام ٢٠٠٣ ولأكثر من ثمانية عشر يوما واللجنة المركزية للانتخابات في جورجيا تحتجز – بناء على أوامر الرئيس شيفاردنادزه بتوصية أمريكية عرف فيما بعد أنها كانت محاولة من واشنطون لكسب بعض الوقت لاستكمال تحالفها مع خصمه المعارض ميخائيل ساكشفيلي – نتائج الانتخابات البرلمانية، فالمعارضة تندد، والشارع يغلي، والمحاكم الجورجية تشهد مئات الدعاوى والقضايا المرفوعة من المعارضة متهمة الحكومة بالتزوير، والعالم يتعجب لماذا تنتظر النتائج كل هذا الوقت في عالم اشتهر عنه أنه عالم الكمبيوتر والإنترنت والبرامج المحاسبية المتطورة؟ والجواب حاجة في نفس ديكتاتور، أراد أن يزيف إرادة شعبه الذي كره بقاءه في السلطة، ولكن الرسالة التي كانت تصل للرئيس من أجهزته الخاصة تلخصت في التالي: "ولا يهمك يا ريس"، أو "هؤلاء نفر قليل"، أو "إنهم مجموعة خارجة على القانون".

والنتيجة أن شيفرنادزة على الدرب سار، أو فرَّ من بلاده التي حكمها بالحديد والنار، والتي تعرض فيها لمحاولات اغتيال بسبب سياساته، إلا أنه فضل السلطة على الديمقراطية،

شيفارنادزه الحليف الأمريكي القوي في البيت الأبيض مع بوش في بداية حكمه !!

وفي نفس المكان استقبل بوش الرجل الذي أسقط شيفارنادزه وهو ميخائيل ساكشفيلي !!

واعتبر المعارضة مواطنين من الدرجة الثانية؛ وبلغ به الأمر -وهو يفر من البرلمان مذعورا من المعارضة السلمية- أنه قال: "لقد منحتهم الفرصة، ولو استمروا في طلباتهم فسأسلم السلطة للجيش هكذا.. إما أنا أو الطوفان".

ما أشبه شيفرنادزة بميلوسوفيتش، وما أشبههما بفوجيموري وهتلر وأنور خوجا وشاه إيران وغيرهم ممن يمسك الفم عن ذكرهم؛ مخافة أشياء كثيرة.. ليس من بينها الحرص على الحياة.

سقوط شيفرنادزة هو السقوط المدوي الذي توقع كثيرون أن علاقته بالغرب ستقف حائلا بين الناس والسلطة، وأن مصالح الغرب هي شبكة الأمان التي ستحميه؛ ولكن الذي حدث أن الرجل لم يجد عونا من أحد، حتى من روسيا التي نصحته بالاستسلام لإرادة شعبه والرحيل في هدوء. فهذا ليس زمان القهر حتى ولو كان الأمر متعلقا بجورجيا؛ ولكن قد يتساءل المرء: لماذا أتاحت القوى الكبرى الفرصة لشعب جورجيا ليخلع ديكتاتورا محكم التثبيت من السلطة، ولم يسمح لشعب آخر بمجرد تنفس نسيم الحرية في بلد مثل أذربيجان التي تم تسليمها لعاليف الابن وسط صمت دولي مريب؟

كما ذكرنا فإن النتائج احتاجت إلى ١٨ يوما حتى يتم الإفصاح عنها قبل ساعة واحدة من الموعد النهائي لإعلانها. كان شيفرنادزه يحاول بقدر الإمكان الإبقاء على الحزب الذي يدعمه (حزب جورجيا الجديدة - لاحظ الاسم) في المقدمة؛ ومن الواضح أنه سقط سقوطا مدويًّا، لكنه نفخ فيه وأعاده للحياة بنسبة ٢١,٣٢٪؛ ليكون أعلى الأحزاب نسبة في الانتخابات؛ ويأتي تاليا له حزب تكتل الإحياء بنسبة ١٨,٨٤٪، ثم حزب الحركة القومية بنسبة ١٨,٠٨٪. والأخيران حزبان معارضان، ولو تفوق أحدهما لنجح في التحالف مع الآخر ومع الأحزاب الصغيرة، ولانتهت قصة الرئيس الجورجي عبر صناديق الانتخابات. ولكن لا.. فالرئيس المتمسك بأهداب السلطة دائما لا يريد أن يرى الديمقراطية تحل ببلاده، وعادة ما يكون السبب هو أنه ما زال أمامنا الكثير قبل أن نشرع في الديمقراطية.

حين زور سلوبودان ميلوسوفيتش انتخابات المحليات في عام ١٩٩٨ خرجت المعارضة عن بكرة أبيها لتعتصم بميادين العاصمة في أشهر البرد القارس. صحيح أنها لم تنجح وقتها في الإطاحة به، لكنها بعد عامين نجحت وبجدارة في إخراجه من مكمنه. واليوم تتكرر التجربة.. المعارضة تخرج في مسيرات على مدار أسبوعين منددة بالتزوير، ومهددة بدخول البرلمان حتى ولو كان الرئيس بداخله. لم يأخذ شيفرنادزة الأمر على محمل الجد، رغم أن الخارجية الأمريكية قد نفضت يدها وغسلتها من الرئيس الجورجي، وأعلنت تبرؤها من ديكتاتوريته، قائلة على لسان المتحدث: "يمكنني القول بأنه قد خاب ظننا بدرجة كبيرة في هذه الانتخابات وفي القيادة الجورجية"، وتابع "هذه الانتخابات لا تعكس إرادة الشعب الجورجي، وعلى العكس تعكس تزييفا واسعا لأصوات الناخبين".

في حالة صربيا تحصن ميلوسوفيتش بالجيش، وفي حالة جورجيا حاول شيفرنادزة الشيء ذاته، ولكن الجيش والأمن أعلنا أنه لو سالت دماء فإن المسئولية ستقع على رأس الحكومة والمعارضة، وهو تصريح خطير ينم عن وعي وعن رغبة المؤسسة العسكرية في أن تكون منحازة للوطن وليس للساسة.

ما الذي يدفع رئيس دولة، كبيرة كانت أم صغيرة، لأن يقف هذا الموقف البئيس؟ المعارضة تهاجمه، والجمهور يندفع نحو البرلمان في مشهد مذاع على الهواء، وحراسه يتلقفونه ويخرجونه من الباب الخلفي، وحشد من سياراته يمر في الطرقات، والناس يشيرون إليه بالسقوط.. ماذا لو كان احترم شعبه ونزل على رغبته؟

شيفرنادزه وعلى الهواء مباشرة يخرج من الباب الخلفي، يطلب عون الجيش فيرفض، يطلب دعم الأمن فلا يجد إلا السبيل الوحيد الخروج دون قيد أو شرط، وبالفعل خرج. كان يتوقع أن ينقذه أصدقاؤه الأمريكيون ولكنهم لم يفعلوا ذلك، وتركوه لمصيره ومصير كل طاغية. وقد كان من الممكن للرجل أن يتفادى هذا المصير لو سار بحياته في اتجاه آخر.

فقد ولد إدوارد شيفرنادزه في ٢٥ يناير عام ١٩٢٨ في ماماتي، لانجخوتي، بالقوقاز في الاتحاد السوفيتي وعَملَ كرئيسِ لجورجيا مِنْ ١٩٩٥ حتى خلعه في ٢٣ نوفمبر ٢٠٠٣ كنتيجة لثورةِ الزهور.

قبل رئاستهِ خَدمَ تحت ميخائيل غورباتشوف كوزير خارجية الاتحاد السوفيتي مِنْ ١٩٨٥ إلى ١٩٩٠. مهارات شيفرنادزه السياسية أكسبتْه لقبَ " الثعلب الأبيض "، بينما شريكا تفاوضه السابقان الأمريكان كانا الرّئيس الأمريكي جورج بوش ووزير الخارجية جيمس بيكر يناديناه " شيفي " على سبيل التدليل.

كَانَ والده معلما فقيرا جداً؛ ولديه أخت وثلاثة إخوةِ، قُتِل أحدهم في الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٧. اعتقل والده أثناء حملةِ التطهير العظيمةِ، عند انفصال المنشفية عن البلشفية في منتصف العشرينياتِ، وقد تم إطلاق سراحه بسبب توسط أحد ضباط المخابرات ممن كانوا من طلابه.

تَزوّجَ شيفر نادزه من "نانولي تساغاريشفيلي" وقد كان التخوف من قبلِ أهله وأصدقائه مِن هذه الزيجة من أن تسبب له المتاعب لكون (والدها كَانَ قَدْ أُعدمَ كـ"عدو للشعب")، وقد ماتتْ نانولي في ٢٠ أكتوبر ٢٠٠٤.

انضم شيفاردنادزه إلى الحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي في ١٩٤٨ بعد سنتين أصبح رئيس اتحاد الشباب الشيوعي، وظل يرتقع من خلال الرُّتَب إلى أَنْ أصبحَ عضو مجلس السوفيت الأعلى في جورجيا علم ١٩٥٩.

و في عام ١٩٦٥، عُيّنَ الوزيرَ الجورجيَ لحفظ النظام العام وأصبحَ بعد ذلك الوزيرَ الجورجيَ للشؤون الداخلية مِنْ ١٩٦٨ إلى ١٩٧٢ وبرتبة جنرال في الشرطة. عُيّنَ السكرتير العام للحزب الشيوعي الجورجي من قبل الكرملين ووكلت له مهمّة قَمْع رأسماليةِ السوق السوداءِ والرماديةِ التي كَانَت تَنْمو وتشكل تحدياً للشيوعية في الاتحاد السوفيتي آنذاك. أجبرت فضيحة فسادِ في عام ١٩٧٢ "فاسيلي

مزافاندازه" السكرتير الأول للحزب الشيوعي الجورجي على الاستقالة. سقوطه لَرُبَّما عُجّلَ مِن قِبل شيفرنادزه، الذي كَانَ المرشّح البديل وعُيّنَ حسب الأصول وعلى جناح السرعة.

و أثناء عمله كسكرتير أول، واصلَ مُهَاجَمَة الفسادِ وتَعاملَ بِحزم مَع المنشقّين. وفي عام ١٩٧٧ وكجزء مِنْ تفتيش في كافة أنحاء اتحاد سوفيتي ضدّ نشطاءِ حقوقِ الإنسان، قامت حكومته بسَجن عدد مِنْ المنشقّين الجورجيينِ البارزينِ على أساس القيام بنشاطات معادية للسوفيتية.

وكان من ضمن هؤلاء المنشقّين البارزينَ "ميراب كوتافا" و"زفياد غامسخورديا" (الذي أصبح فيما بعد أول رئيس جمهوريةَ مُنتخَب ديموقراطياً في جمهورية جورجيا).. ومن ناحية أخرى استطاع أن يكسب تنازلا ليس له مثيل من قبل السلطات المركزية السوفيتية عام ١٩٧٨ بالاعتراف الدستوري باللغة الجورجية.

تشدّد شيفرنادزه في القضاء على الفسادِ جذب انتباهَ السلطات السوفيتية سريعاً. فإنضمّ إلى اللجنةِ المركزيةِ للحزب الشيوعي السوفيتيِ عام ١٩٧٦، وفي عام ١٩٧٨ رَقّى إلى رتبةِ المرشّحِ (غير مصوّت) عضو للمكتب السياسي في الحِزب الشيوعي السوفيتي.. لعدة سَنَوات، بالرغم من أنّه عرف بسمعة التقشّف الشخصي، حيث كان يَتجنّبُ بهارجَ المكتبِ الفخم ويُسافرُ للعَمَل بالنقلِ العامّ بدلاً مِنْ استِعْمال سياراتِ الليموزين التي زوّدَ بها أعضاء المكتب السياسي للحزب.

وفي عام ١٩٨٥، جاءتْ فرصته عندما غادر وزيرِ الشؤون الخارجية السوفيتي المخضرم، أندري غروميكو منصبه إلى موقع أكبر هو (رئيس اللجنة التنفيذية لمجلس السوفيت الأعلى). فقام السكرتير العام للحزب الشيوعي ميخائيل غورباتشوف بتعيين إدوارد شيفرنادزه كوزير للشؤون الخارجية.

بعد ذلك لَعبَ دورا رئيسيا في السلام الذي ظهر نهايةَ الحرب الباردةِ. وسَاعَد على ابتِكار ما يسمّى بـ"مبدأ سيناترا" ألذي سمح للأقمار الصناعية الاتحاد السوفيتي والأوربية الشرقيةِ أن تشق طريقها بدلاً مِنْ محاولات إعاقتها بالقوّة من قبل الولايات المتحدة وخصوم الاتحاد السوفيتي الآخرين، عندما بدأت الثورات الديمقراطية باكتِساح أوربا الشرقية، رَفضَ شيفرنادزه التماسَ الزعماءِ الشيوعيينِ في أوروبا الشرقية للتدخّلِ السوفيتي وساعد ذلك في الغالب على تغيير ديمقراطي سلمي في المنطقةِ. حيث أجاب هولاء الزعماء المتشدّدين : " لقد حان الوقت لإدْراك أنه لا اشتراكيةَ، ولا صداقةَ، ولا احترامَ ولا حسنَ جوار جيدًا، يُمْكِنُ أَنْ يُنْتَجَ بالحراب أو الدباباتِ أو الدم " .

على أية حال، اعتداله كان ينظر من بَعْض الشيوعيين الوطنيين الروسَ كخيانة وأكسبتْه خصومة طويلة المدى مع مراكز القوى في موسكو.

وأثناء أواخر الثمانينياتِ، كان الاتحاد السوفيتي قد انحدر إلى الأزمةِ، أصبح الوضع جَافياً على نحو متزايد بين غورباتشوف وشيفر نادزه بسبب الخلافاتِ السياسةِ. كافح غورباتشوف على إبْقاء الحكومة الاشتراكية ووحدة الاتحاد السوفيتي، بينما دعا شيفردنادزه إلى التحرر السياسي والاقتصادي.

واستقالَ الرجل في ديسمبر ١٩٩٠ احتجاجاً ضدّ سياساتِ غورباتشوف، وقام بتَسليم تحذير مثير إلى البرلمانِ السوفيتِي جاء فيه : "المصلحون ذَهبوا واختفوا في الغاباتِ.. الدكتاتورية آتية " .

وبعد شهور قليلة، أُدركتْ مخاوفه جزئياً عندما قام انقلابَ فاشلَ مِن قبل مجموعة من المتشدّدين الشيوعيينِ وعجّل ذلك بانهيار الاتحاد السوفيتي. عادَ شيفرنادزه سريعاً كوزير للخارجية السوفيتية في نوفمبر ١٩٩١، لكنه استقالَ مَع غورباتشوف في الشهر التالي عندما انحل الاتحاد السوفيتي رسمياً.

وتعتبر جورجيا جمهورية حديثة الاستقلال، أول رئيس منتخب فيها بعد الانفصال عن الاتحاد السوفيتي كان زعيم الحركة القومية "زفياد غامسخورديا" وهو أيضاً عالم وكاتب مشهور، كان قَدْ سُجِن على يد حكومةِ شيفرنادزه السوفيتية في أواخر السبعينياتِ.

وانتهى حُكمُ غامسخورديا فجأة في يناير ١٩٩٢ عندما خُلِعَ في إنقلاب دموي وأجبرَ على الهُرُوب إلى الجمهوريةِ الشيشانيةِ المُجَاوِرَة لروسيا.

وعُيّنَ شيفرنادزه رئيساً بالوكالة لمجلسِ الرئاسة الجورجي في مارس ١٩٩٢. وفي نوفمبر ١٩٩٥، أعيدت الانتخابات في جورجيا وفاز شيفرنادزة بنسبة ٧٠٪ من الأصواتِ. وفي أبريل ٢٠٠٠ أعيد انتخابه لفترة ثانية ولكن اتهم هذه المرة بتزوير أصوات الناخبين.

عمل شيفرنادزه رئيساً لجورجيا كَانَ من بعض النواحي أكبر تحد مِنْ مهنتِه السابقةِ كوزير خارجية للاتحاد السوفيتي. وواجهَ العديد مِنْ الأعداء، البعض منهم من الذين يَتذكرونَ حملاتِه ضدّ الفسادِ والقوميةِ في زمن الاتحاد السوفيتي. اندلعتْ الحرب الأهلية في غرب جورجيا عام ١٩٩٣ بين أنصار "غامسخورديا" و"شيفرنادزه" لكنها انتهت بفعل التدخّلِ الروسيِ إلى جانب شيفرنادزه وموت رئيس جورجيا السابقِ غامسخورديا في ٣١ ديسمبر ١٩٩٣.

و تعرض شيفرنادزه إلى محاولتي اغتيال في أغسطس ١٩٩٥ وفبراير ١٩٩٨ وقد وجهت أصابع الاتهام إلى بقايا حزبِ غامسخورديا.. وواجهَ حركات انفصاليةً أيضاً في أقليم أبخازيا واقليم أوسيتيا الجنوبية أدت إلى مقتل ١٠،٠٠٠ شخص تقريباً، بالإضافة إلى قيام حكمٍ ذاتي مستقل بشكل قاطع في أقليم أجاريا.

وقد سبّبتْ الحرب الروسيةِ في الشيشان على حدودِ جورجيا الشمالية خِلافا كبيرًا بين جورجيا وروسيا، حيث اتُّهمَ شيفرنادزه بإيواء الفدائيين الشيشانيينِ

ودعم الانفصاليين الجورجيينِ في عمليات الانتقام. الخلاف الآخر كَانَ سببه علاقة شيفرنادزه الوثيقةِ بالولايات المتّحدةِ، التي رأته كموازنة بالنسبة إلى التأثيرِ الروسيِ في منطقة القوقاز الإستراتيجية. تحت إدارةِ شيفرنادزه المؤيّدة للغرب بقوة، جورجيا أصبحتْ كحليف رئيسي للولايات المتحدة وتتلقى المساعدات العسكرية من الغرب، ووَقّعت شراكة إستراتيجية بمنظمة حلف شمال الأطلسي " الناتو " وأعلنتْ عن طموحها للانْضِمام إلى منظمة حلف شمال الأطلسي والاتحاد الأوربي. وربما كان انجازه الدبلوماسي الأعظم كَانَ ضمان الحصول على ٣ بليون دولار من أجل مشروعِ بِناء خط أنابيب لنقل النفط مِنْ آذربيجان إلى تركيا عن طريق جورجيا.

على أية حال، في نفس الوقت، عَانتْ جورجيا بشكل كبير مِنْ تأثيراتِ الجريمة والفسادِ المنتشرِ، والتي كانت ترتكب في أغلب الأحيان مِن قِبل المسؤولين والسياسيين القريب من شيفرنادزه ومن مُستشارى شيفرنادزه المقربين والبعض من أفراد عائلته من الذي أصبحوا كقوة اقتصادية هائلة.

وقد بلغت سيطرة المقربين من شيفرنادزه على ٧٠٪ من مقدرات جورجيا الاقتصادية (زوجته كانت تكتب لإحدى أكبر الصحُفِ في البلادِ، وابنته كَانتْ تدير إستوديو لصناعة أفلام التلفزيون وزوجِها قام بتأسيسس واحدة من شبكاتِ الهاتف الجوال الرئيسيةِ في جورجيا وبتمويل أمريكيِ). بينما شيفرنادزه نفسه اتّهمَ مِن قِبل العديد مِنْ الجورجيين بحِماية المؤيدين الفاسدينِ ويَستغل السلطات من أجل تحقيق مصالحه الشخصية وتقوية مركزه.. اكتسبتْ جورجيا سمعةً لاتحسد عليهاَ كأحد أكثر بلدانَ العالمَ فساداً. وأخيرا، حتى أنصاره من الأمريكان تَعبوا مِنْ صب المالِ في حفرة مظلمة.

وفي ٢ نوفمبر ٢٠٠٣، نظمت جورجيا الإنتخابات البرلمانية التي شجبت على نحو واسع واتهمت بانها غير عادلة من قبل مراقبي الانتخابِ الدوليينِ، وكذلك من قبل الأمم المتحدة والحكومة الأمريكية.

وأثارتْ النتيجةُ غضباً شديداً بين العديد مِنْ الجورجيين، أدت إلى المظاهراتِ الجماعيةِ في العاصمة تبليسي وغيرها من المدن. حيث اقتحمَ المحتجّون مبنى البرلمان في ٢١ نوفمبر في الجلسة الأولى للبرلمانِ الجديدِ، مما أجبر الرّئيسَ شيفرنادزه على الهُرُوب مَع حرّاسِه. وأعلنت فيما بعد حالة الطوارئ في البلاد وأصرّ شيفرنادزه على عدم الاستقالة. على الرغم مِنْ نمو حالة التوترِ، فقد ذَكرَ كلا الجانبين عن رغبتِهم علناً لتَفادي أيّ عنف، وصرح فيما بعد "نينو بوريانادزي" الناطق باسم البرلمانِ الجورجي بأن البرلمان سيقوم بأعمال الرئيس حتى تحل مشكلة الرئاسة. ولكن زعيم المعارضةِ ميخائيل شكاسفيلي ذَكرَ بأنه سوف يَضْمنُ سلامة الرئيس شيفرنادزه ويَدْعمُ عودتَه أن أعطى الرّئيس وَعدًا بدَعوة إنتخابات رئاسية مبكّرة.

في ٢٣ نوفمبر، اجتمعَ شيفرنادزه بزعماءِ المعارضة "ميخائيل شكاسفيلي" و"زوراب جفانيا" لمُنَاقَشَة الحالة، في اجتماع رتّبَ من قِبل وزيرِ الخارجية الروسي "إيغور إيفانوف". وبعد هذا الاجتماع أعلنَ الرئيس استقالته من منصبه رغبةً منه لتَفادي أي صراع دام على السلطةَ قائلاً " كُلّ هذا يُمْكِنُ أَنْ ينتهي بسلام وليس هناك إراقة دماء وَلا إصابات". على أية حال، كان ذلك بعد أن رفضَت القوات المسلحة من التدخل لفَرْض مرسومه الطارئ وكَان هذا السبب الرئيسي مِنْ الاستقالة. وادّعى في اليوم التالي بإنّهُ كَانَ قَدْ هيّأَ نفسه للتنازُل منذ صباحِ اليوم الماضي لكنه مُنِعَ مِنْ عَمَل ذلك من قبل حاشيتِه.

بالرغم من أنّه ليس من الثابت من أن القوى الخارجية قد لَعبتْ دورا في إسْقاط شيفرنادزه، لكنه ظَهرَ فيما بعد ذلك بقليل من أن كلاًّ من روسيا والولايات المتّحدة كان لهما دور بارز. حيث كان وزير الخارجية الأمريكي "كولن باول" على اتصالٍ مستمر مَع شفيرنادزه أثناء أزمةِ ما بَعْدَ الانتخابَات، يَدْفعُه حسب ما يقال على التَنَازُل بسلام. وطارَ وزيرُ الخارجية الروسي إيغور إيفانوف إلى تبليسي لزيارَة زعماءِ المعارضةِ الرئيسيينِ الثلاثة إلى جانب شيفرنادزه، ورتّب فيما بعد اجتماعا

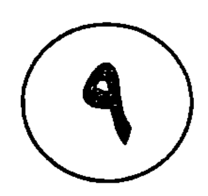
بين زوراب وشكاسفيلي مع شيفر نادزه في ٢٣ نوفمبر. ثمّ سافرَ إيفانوف إلى "أجاريا" وهي منطقة ذات حكم ذاتي للاستشاراتِ مَع زعيمها "أصلان اباشيدزي" الذي كَانَ موالياً لشيفرنادزه.

وقد دَفعَ إبعادُ شفيرنادزه بعشراتِ آلاف الجورجيين إلى احتفالات جماعية بالشرب والرقص في الشوارع من الذين تجمعوا في شوارع تبليسي وفي ميدان الحرية. لقّبَ المحتجّون حركَتهم بـ"ثورة الزهور"، مُقارنة بالإسقاط السلميَ للحكومة الشيوعيةِ في تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٨٩ والتي سميت بـ"الثورة المخمليةَ".

وقارن المراقبون بين سقوط الرئيس الجورجي إدوارد شيفرنادزه وسقوط الرّئيسِ اليوغوسلافي سلوبودان ميلوسيفيتش في عام ٢٠٠٠ الذي أُجبرَ أيضاً على الاستقالة بالاحتجاجاتِ الجماعيةِ، مما دعى بالمعارضة الجورجية بالاتصال مع المعارضة اليوغسلافية للاستفادة من خبرتها في إسقاط ميلوسيفتش حيث نصحهم "جورج سورو" زعيم المعارضة في يوغسلافيا بالتعبئة الشعبية ضد "إدوارد شيفرنادزه".

▪▪▪





باتيستا..
أدى دوره.. وانتهى أمره!!



وجدت فيه واشنطون العميل النموذجي.. جعلت منه طاغية.. وقفت معه بكل قوة ضد زعيم الثورة الكوبية الشاب فيدل كاسترو.. لم تكترث لمذابحه الدموية.. دافعت عن ديكتاتوريته ووحشيته.. وعندما أسقطه كاسترو ورفيق دربه الثائر التاريخي تشي جيفارا باعته.. لم تنصت له.. رفضت استقباله.. لم تمد له يد المساعدة وتوفر له المنفى، بل ولم تحاول طلب مساعدته من حلفائها.. وكان السبب بسيطا جدا.. الأمريكيون أول من يبيعون حليفهم متى أوشك على السقوط !!

و لم يتوقف الأمريكيون عند حد التخلي تماما عن ديكتاتور كوبا باتيستا، بعد رحلة مساندة له لا حد لها، أدارت فيها ظهرها لشعب كوبا عندما ضجرت من فساد نظام باتيستا، وإنما تركته فريسة لكاسترو وجيفارا، حتى تضحي به في سبيل خطة شيطانية للتدخل العسكري – فيما بعد – واحتلال كوبا، بذريعة استعادة " الشرعية " في البلاد بعد أن استولى عليها انقلابيون " دمويون " يريدون تغيير معالم أمريكا اللاتينية !!

وهناك كوبيون يتذكرون كيف كانت بلادهم متخلفة في ظل حكم الديكتاتور باتيستا، وكيف كان يحصل باتيستا على الدعم القوي من الولايات المتحدة، ومدى التقدم الذي تحقق في كوبا في ظل ثورة فيدل كاسترو. وهم يتذكرون خليج الخنازير والحصار المفروض على بلادهم، ولديهم لا شك الكثير من التذمر تجاه الولايات المتحدة

في ١٩٥٩ اكتسح رجال حرب العصابات هافانا برئاسة فيدل كاسترو وأسقطوا الديكتاتورية العسكرية لفولجنسيو باتيستا. هذا برغم تسليح حكومة الولايات المتحدة وتمويلها لباتيستا ولعملاء الـ CIA داخل جيش عصابات كاسترو.

دخل الثوار كوبا على ظهر زورق ولم يكن معهم سوى ثمانين رجلا لم يبق منهم سوى ١٠ رجال فقط، بينهم كاسترو وأخوه "راءول" وجيفارا، ولكن هذا الهجوم الفاشل أكسبهم مؤيدين كثيرين خاصة في المناطق الريفية، وظلت المجموعة تمارس حرب العصابات لمدة سنتين وخسروا نصف عددهم في معركة مع الجيش.



كاسترو الشاب المناضل " إلى اليمين " ومعه الثائر التاريخي جيفارا بعد إسقاطهما باتيستا عميل الأمريكيين !!

كان خطاب كاسترو سبباً في إضراب شامل، وبواسطة خطة جيفارا للنزول من جبال سييرا باتجاه العاصمة الكوبية تمكن الثوار من دخول العاصمة هافانا في يناير ١٩٥٩ على رأس ثلاثمائة مقاتل، ليبدأ عهد جديد في حياة كوبا بعد انتصار الثورة وإطاحتها بحكم الديكتاتور "باتيستا".

أنهكت الديكتاتورية البلاد. حلم المحامي الشاب بتخليص شعبه. هاجم مع رفاقه ثكنة مونكادا في ١٩٥٣. فشل الهجوم واقتادوه إلى المحكمة. اتهموه وحاكموه. رفع سبابته في وجه القضاة وقال: «سينصفني التاريخ». أغلب الظن انهم سخروا من الشاب المغرور ولحيته.

لن يتأخر موعد الثأر. ففي بداية ١٩٥٩ ستسقط هافانا في أيدي الثوار. وسيفر الديكتاتور باتيستا الذي أدماها. ومذاك ستعيش كوبا في عهدة رجل اسمه فيديل كاسترو. على بعد ١٤٥ كيلومتراً من سواحل فلوريدا زرع التاريخ شوكة في حلق أميركا لن تنجح في انتزاعها.

وكان جيفارا يتمنى أنه يلتقي بفيدل كاسترو لأنه كان يسمع عنه الكثير وكان معجبا فيه وبشخصيته وبالفعل التقى فيه وبعدها حس جيفارا أن هذا هو القائد اللي كان يدور عنه من زمان وبعدها قويت علاقتهما ببعض وقاما بالتخطيط لتحرير كوبا من حكم الديكتاتور باتيستا.

وصل جيفارا وكاسترو ومعه ٨٠ من الثوار وكانوا على أحد السفن اللي وصلت لسواحل كوبا وعلى طول وصل الخبر لجيش باتيستا وهاجموهم وقتلوا ٦٠ من الثوار ومابقى منهم إلا عشرون راحوا لجبال السيرا مايسترا ونجحوا في إقناع الفلاحين والفقراء بضرورة الثورة ومساعدتهم في مهمتهم وبالفعل ساعدهم الفلاحون وقاوموا جيش باتيستا إلى أن انتصروا عليهم حتى وصلوا للعاصمه هافانا وأعلنوا نجاح الثورة والقضاء على حكم باتيستا .

و يمكن القول أن أطماع الولايات المتحدة في كوبا، واستهدافها قديم للغاية، لا سيما وأنها – وربما يخفى ذلك على الكثيرين – كانت مستعمرة لهذه الجزيرة (١٨٩٩-١٩٠٢) بعد أن تسلمتها من مستعمريها الأوائل " الإسبان " .

فبتوقيع اتفاقية باريس، تم تحديد مصير المستعمرة الأسبانية السابقة، وتتخلى عن كونها مستعمرة، ولكنها فى نفس الوقت، لم تنجح فى إنشاء الجمهورية، وتبدأ فترة انتقالية من خلال وجود أمريكى مباشر فى إدارة مصير الجزيرة الكوبية .

وبدأت الولايات المتحدة منذ الأول من يناير ١٨٩٩، رسميا وضع يدها على كوبا، وتحقق بذلك حلمها القديم، ورسموا تحديدا لمستقبل كوبا واعتبرت حكومة واشنطن أنه من الملائم اختفاء المؤسسات الممثلة لحركة التحرير الكوبية.

وساهم فى تحقيق هذا الهدف الضعف والتناقضات بين الكوبيين، وبخاصة الخلافات التى نشبت بين القائد العام لجيش التحرير وبين مجلس النواب، وهو الجهة السياسية العليا للثورة. وترجع تلك الخلافات بشكل أساسى إلى الإجراءات التى اتخذت لتسريح جيش التحرير.

وكنتيجة لتلك الخلافات، وبالإضافة إلى حل الحزب الثورى الكوبى، بقرار من رئيسه توماس استرادا، تفككت قوات الاستقلال وتُركت دون قائد.

وأصبح الاحتلال العسكرى، بعدما أخذ شكلا شرعيا، بعد معاهدة باريس فى ١٠ أكتوبر ١٨٩٨، الإطار الذى من خلاله تطبق الولايات المتحدة سياستها نحو كوبا. ومن جانب أخر، كانت الولايات المتحدة تشهد توترات قوية داخلية وخارجية بالإضافة إلى ضغوط ومفاوضات داخلية حول اتخاذ القرارت الحكومية.

ونجد من بين العوامل التى ساعدت على عدم الاستقرار فى كوبا، أن إدارة مشاكل البلاد كانت فى يد قطاعات، مهتمة، بشكل أو بآخر، فى مصالح فردية.

وبالرغم من جهود المجموعات السلمية بالولايات المتحدة، فإن الاتجاه الانضمامى، بكافة بدائله، فتح مجالا ازداد قوة لدى المسؤولين، ولكن بالرغم من هذا، فإنه يجب علينا أن نبرز أنه فى كافة تلك البدائل، سيظهر مفهوم إبراز لما يسمى " صبيانية " الكوبيين، أى بمعنآ أخر فإن الطفل عند بدء خطواته لا يستغنى عن ساعد أبيه القوي لكى يسنده ويحميه من السقوط المحتمل.

و أحد تلك المبادرات كان فى الشهور الأخيرة لحكم جون بروك، وهو أول حاكم عسكرى لكوبا، وتتمثل فى نقل السيادة الكوبية إلى حكومة مدنية، والتى ستنتقل بمقتضاها ومن أول مره إلى أراض تابعة للولايات المتحدة الأمريكية. واكتسبت هذه الفكرة قوة بين الدوائر التوسعية ووكلائها الأساسيين.

وقد ساعدت المعارضة التاريخية لهذه الأطروحة، وبخاصة رفض الشعب الكوبى لها، على أن يضع الحاكم الجديد ليوناردو ويد فكرة " أمركة" الجزيرة الكوبية، عبر إحتلال طويل المدى.

ولاقت هذه الفكرة عائقين هامين، الأول : مشروع إصلاحى متسع ويتضمن فحواه تغيير المجتمع الكوبى (المدارس، النظام الصحى، النظام القضائى، النظام الحكومى، البلديات، إلخ...) والعائق الثانى هو تشجيع الهجرة وبخاصة لمن هم ذوو أصول أنجلوساكسونية، بهدف تحقيق استعمار تدريجى، يتيح توغل طابع المجتمع الأمريكى بالبلاد.

وبلا شك، فإن أى من تلك المشاريع كان يهدف إلى تحسين الهياكل المتهالكة للمستعمرة الأسبانية السابقة " كوبا" عبر مراحل انتقالية نحو الاستقلال، وانما كان الإهتمام منصبا على إتاحة الظروف لتشجيع " سوق الأرض" والذى بمقتضاه يتم تيسيير نقل الملكيات إلى أيدى السياسيين والأعيان الأمريكان. وفى تلك الأثناء، فإن ندرة رؤوس الأموال ومصادر القروض لأصحاب الأراضى من الكوبيين، جعلهم فى وضع ضعيف بحيث لم يستطيعوا إدارة مشاريعهم وبخاصة المرتبطة بقطب هام وهو السكر الذى تضرر كثيرا من جراء الحروب.

ومع ذلك ازدادت الحاجة يوما بعد يوم لإجراء تغيير سياسى، فمنذ عام ١٨٩٩، بدأت مناقشة إمكانية إعداد الساحة للضم، ليس عبر الاحتلال العسكرى المباشر الممتد، وإنما عبر إنشاء جمهورية، تحت شروط محددة، وعدم قدرة الكوبيين لحكم أنفسهم، أسرعت من طلبهم الانضمام إلى الجارة القوية .

وأول حجر فى تأسيس المبنى كان إملاء الأوامر من خلال الدعوة إلى انعقاد جمعية تأسيسية كوبية، وفقا للقانون العسكرى رقم ٣٠١ بتاريخ ٢٥ يوليو ١٩٠٠. ووفقا لما هو معروض فعلى الجمعية كتابة الدستور وتبنيه وكجزء من الإتفاق، الجانب المتعلق بالعلاقات بين كلا الحكومتين الأمريكية والكوبية .

وفى خضم عمل اللجنة الكوبية المخولة بإعطاء تقرير حول العلاقات المستقبلية بين كوبا والولايات المتحدة، أقر الكونجرس الأمريكى قانون " تعديل بلات" والذى بمقتضاه تُمنَح حكومة الولايات المتحدة الحق فى التدخل فى الشؤون الداخلية بكوبا كلما اقتضت الضرورة ذلك.

و بالرغم من معارضة إعضاء الجمعية التأسيسية، فإن الضغط الأمريكى، الذى وضع الكوبيين أمام الاختيار بين الحصول على الجمهورية ومعها قانون بلات الذى يحد من استقلال البلاد أو استمرار الاحتلال الأمريكى . وبالتالى نجحت الولايات المتحدة فى أن يبقى القانون إلى الأبد بعدما صدق عليه الكوبيون فى ١٢ يونيو ١٩٠١ .

و قد وضعت حكومة واشنطن القلقة من الاضطرابات السياسية المتكررة فى مستعمرتها الجديدة، سياسة وصاية حقيقية-تحت مسمى- الدبلوماسية الوقائية- والتى بلغت ذروتها بتعيين الجنرالأنوك كرودر للقيام بمهام الحاكم الفعلى للمراقبة والإشراف على حكومة الفريدو زايس (١٩٢١-١٩٢٥)) والذى أصبحت إدارته مسرحا لحركات سياسية هامة.

وقد أفسح الرفض المعمم بالبلاد نتيجة التدخل الأمريكى والفساد الحكومى المجال أمام تيارات متعددة للتعبير عن عودة القوميين والديمقراطيين.

وقد تعارضت حالة الجمود والعجز للوطنيين السياسيين البرجوازيين لمواجهة النظام العسكرى - والذى ضموا إليه بعض هؤلاء الوطنيين مع كفاح القطاعات الشعبية، وبخاصة جيل الشباب الذى انضم حديثا للحياة السياسية.

ومن بين صفوفه ظهرت حركة من نوع جديد بقيادة فيدل كاسترو وهو محام شاب بدأت نشاطاته السياسية الأولى فى الجامعة وداخل صفوف الأرثوزكس وكرس فيدل كاسترو نفسه للإعداد بثبات وصمت للمعركة.

و كان فيدل أليساندرو كاسترو قد وُلِدَ وترعرع في كنف والديه المهاجرين من إسبانيا والذين يعدون من المزارعين . تلقى تعليمه في المدرسة التحضيرية، وفي عام١٩٤٥، التحق بجامعة هافانا حيث درس القانون وتخرج فيها عام ١٩٥٠. ثم عمل كمحام في مكتب محاماة صغير وكان لديه طموح في الوصول إلى البرلمان الكوبي إلا أن الانقلاب الذي قاده فولغينسيو باتيستا عمل على إلغاء الانتخابات البرلمانية المزمع عقدها. وكردة فعل احتجاجية، شكّل كاسترو قوّة قتالية وهاجم إحدى الثكنات العسكرية وأسفر هذا الهجوم عن سقوط ٨٠ من أتباعه وإلقاء القبض على كاسترو. حكمت المحكمة على كاسترو بالسجن ١٥ عاماً وأطلق سراحه في مايو ١٩٥٥، ونفي بعدها إلى المكسيك، حيث كان أخوه راؤول ورفاقه يجمعون شملهم للثورة، وكان قد التحق إرنستو تشي جيفارا بالثوار ليتعرف على فيديل كاسترو ويصبح جزءًا من المجموعة الثورية .

وعلى متن قارب شراعي، أبحر كاسترو ورفاقه من المكسيك إلى كوبا وسُميت زمرته بحركة ال ٢٦ يوليو، ولم يعرب كاسترو عن خطه السياسي رغم قيامه بتأميم الأراضي في المناطق التي سيطر عليها الثوار، لكن بعد انتصار الثورة قام بتكليف أحد الرأسماليين الذين تبنوا لفكر الرئيس الأمريكي توماس جيفيرسون والرئيس

إبراهام لينكن، وذلك لتفادي أي هجوم أمريكي على الثورة البكر كما حدث في غواتيمالا، وبعد أن سيطرت الثورة على كوبا كاملة بدأ بتأميم كل الصناعات المحلية. والمصارف وتوزيع ما تبقى من الأراضي للفلاحين.

تحرك كاسترو عسكرياً مع ما يقارب من ثمانين رجلا في ٢ ديسمبر ١٩٥٦ واستطاع ٤٠ من مجموع الـ ٨٠ رجل الانسحاب إلى الجبال، بعد أن تعرضوا لهجوم غير متوقع من جيش باتيستا عند نزولهم على الشاطئ ودخولهم كوبا ،وعمل على ترتيب صفوفه وشن حرب عصابات من الجبال على الحكومة الكوبية. وبتأييد شعبي، وانضمام رجال القوات المسلحة الكوبية إلى صفوفه، استطاع كاسترو أن يشكل ضغطاً على حكومة هافانا مما اضطر رئيس الحكومة ورئيس الجمهورية إلى الهرب من العاصمة في ١ يناير ١٩٥٩ على إثر إضراب عام وشامل جاء تلبية لخطاب فيديل كاسترو وثم دخلت قواته إلى العاصمة هافانا بقيادة ارنستو تشي غيفارا حيث كان عدد المقاتلين الذين دخلوا تحت إمرة غيفارا ثلاثمائة استقال فيديل كاسترو من رئاسة كوبا ومن قيادة الجيش في ١٨ فبراير ٢٠٠٨ بعد صراع دام ١٩ شهرا من المرض وقد تولى شقيقه راؤول كاسترو زمام السلطة في كوبا.

وقد أقصت البابوية في الفاتيكان كاسترو عن المذهب الكاثوليكي في ٣ يناير ١٩٦٢ لارتداد كاسترو عن الكاثوليكية. وقد تحسنت علاقه كاسترو بالبابوية في مطلع التسعينيات من القرنِ العشرين عندما انهار الاتحاد السوفيتي وتخلى الغرب عن الفاتيكان، سمح للبابا بزيارة كوبا بعد أن أعلن البابا أن المسيحية تؤيد الاشتراكية، وفعلا دخل البابا إلى كوبا وأصبح صديقا بعد عداء دام عقودا، وقال كاسترو عن البابا : نحن اليوم نتفق معه فقد كان يقول ياعمال العالم اتحدوا، ويعتبر هذا الشعار شعار الأحزاب الشيوعية.

وسارعت الولايات المتحدة بالاعتراف بالحكومة الكوبية الجديدة وكان كاسترو رئيساً للدولة آنذاك. وكلف أحد البرجوازيين برئاسة الحكومة، تفاديا لضربات

السياسة الأمريكية المعادية للشيوعية والاشتراكية، وسرعان ما بدأت العلاقات الأمريكية الكوبية بالتدهور عندما قامت كوبا بتأميم الشركات، وتحديداً، شركة "الفواكه المتحدة".

وفي أبريل من ١٩٥٩، زار الرئيس كاسترو الولايات المتحدة والتقى مع نائب الرئيس ريتشارد نيكسون، وتذرّع الرئيس الأمريكي لعدم استطاعته اللقاء مع كاسترو لارتباطه بلعبة الغولف وقد طلب الرئيس الأمريكي من نائبه التحقق من انتماء كاسترو السياسي ومدى ميوله لجانب المعسكر الشرقي، وخلص نائب الرئيس نيكسون إلى أن كاسترو "شخص بسيط وليس بالضرورة يميل إلى الشيوعية".

وفي فبراير عام ١٩٦٠، اشترت كوبا النفط من الاتحاد السوفييتي ورفضت الولايات المتحدة المالكة لمصافي تكرير النفط في كوبا التعامل مع النفط السوفييتي، فقام كاسترو على تأميم المصافي الكوبية التي تسيطر عليها الولايات المتحدة الأمريكية، مما جعل العلاقات الأمريكية الكوبية في أسوأ حال.

و قامت الولايات المتحدة بمحاصرة كوبا ولا يزال الحصار قائما إلى هذا اليوم، وقد تحسنت العلاقات الكوبية السوفيتية، واستمر التبادل الاقتصادي حتى الثمانينيات حيث قام الاتحاد بمحاصرة كوبا ووقف استيراد الرصاص الكوبي.

واستناداً على مذكرات الرئيس السوفييتي خوروشوف، فقد رأى الاتحاد السوفييتي أن يقوم على نشر صواريخ بالستية لتحول دون محاولة الولايات المتحدة من غزو الجزيرة. وفي ١٥ أكتوبر ١٩٦٢، اكتشفت طائرات التجسس الأمريكية منصات الصواريخ السوفييتية في كوبا ورأت تهديداً مباشرا للولايات المتحدة نتيجة المسافة القصيرة التي تفصل بين كوبا والولايات المتحدة (٩٠ ميلا).

وقامت البحرية الأمريكية بتشكيل خط بحري يعمل على تفتيش السفن المتجه إلى كوبا. وفي ٢٧ أكتوبر ١٩٦٢، بعث الرئيس الكوبي كاسترو برسالة خطية للرئيس

السوفييتي يحثه فيها على شنّ هجوم نووي على الولايات المتحدة ولكن الاتحاد السوفييتي لم يستجب لهذا الطلب.

ورضخ الاتحاد السوفييتي لإزالة الصواريخ الكوبية شريطة أن تتعهد الولايات المتحدة بعدم غزو كوبا والتخلص من الصواريخ البالستية الأمريكية في تركيا. وباستتباب الأمن وزوال الخطر، اتسمت العلاقة بين الولايات المتحدة وكوبا بالعدائية، واستمرت الولايات المتحدة بدعمها لمحاولات اغتيال كاسترو.

ومنذ ذلك الوقت أصبح كاسترو العدو الأول للولايات المتحدة، وحاولت الاستخبارات الأميركية اغتياله أكثر من ٦٠٠ مرة كما جاء على لسان أحد الوزراء الكوبيين. وكان من بين الأفكار الغريبة لاغتياله محاولة جعله يدخن سيجاره المفضل وهو محشو بالمتفجرات.

وقد استقال فيدل كاسترو من رئاسة كوبا ومن قيادة الجيش في ١٩ فبراير ٢٠٠٨ بعد صراع دام ١٩ شهرا من المرض وتولى الحكم بدلاً منه شقيقه راؤول كاسترو زمام السلطة في كوبا.

أما "تشي جيفارا"، أو بـ"التشي"، أو "تشي" ١٤ مايو ١٩٢٨ – ٩ أكتوبر ١٩٦٧ – رفيق كاسترو في إسقاط عميل أمريكا باتيستا فهو ثوري كوبي أرجينتيني المولد، كان رفيق فيدل كاسترو. يعتبر شخصية ثورية فذّة في نظر الكثيرين.

درس الطب في جامعة بيونس آيرس وتخرج عام ١٩٥٣، وكان مصاباً بالربو فلم يلتحق بالخدمة العسكرية. قام بجولة حول أمريكا الجنوبية مع أحد أصدقائه على متن دراجة نارية وهو في السنة الأخيرة من الطب وكونت نلك الرحلة شخصيته وإحساسه بوحدة أميركا الجنوبية وبالظلم الكبير الواقع من الإمبرياليين على المزارع الأمريكي البسيط. توجه بعدها إلى غواتيمالا، حيث كان رئيسها يقود حكومة يسارية شعبية، كانت من خلال تعديلات –وعلى وجه الخصوص تعديلات في شؤون

الأرض والزراعة- تتجه نحو ثورية اشتراكية. وكانت الإطاحة بالحكومة الغواتيمالية عام ١٩٥٤ بانقلاب عسكري مدعوم من قبل وكالة المخابرات المركزية.

في عام ١٩٥٥ قابل جيفارا المناضلة اليسارية "هيلدا أكوستا" من "بيرو" في منفاها في جواتيمالا، فتزوجها وأنجب منها طفلته الأولى، وهيلدا هي التي جعلته يقرأ للمرة الأولى بعض الكلاسيكيات الماركسية، إضافة إلى لينين وتروتسكي وماو تسي تونغ ماو.

سافر جيفارا للمكسيك بعد أن حذرته السفارة الأرجنتينية من أنه مطلوب من قبل المخابرات المركزية، والتقى هناك راؤول كاسترو المنفي مع أصدقائه الذين كانوا يجهزون للثورة وينتظرون خروج فيدل كاسترو من سجنه في كوبا. ما إن خرج فيديل كاسترو من سجنه حتى قرر جيفارا الانضمام للثورة الكوبية، وقد رأى فيدل كاسترو أنهم في أمس الحاجة إليه كطبيب.

ولد جيفارا في ١٤يونيو ١٩٢٨ في روزاريو (الأرجنتين). أصيب بالربو منذ طفولته ولازمه المرض طوال حياته.ومراعاة لصحة ابنها المصاب بالربو استقرت أسرته في ألتا غراسيا في السيرا دو كوردوبا. وفيها أسس والده لجنة مساندة للجمهورية الإسبانية عام١٩٣٧، وفي ١٩٤٤ استقرت الأسرة في بيونس أيريس.

ومن ١٩٤٥ إلى ١٩٥٣ أتم إرنيستو بنجاح دراساته الطبية. وبسرعة جعلته صلته بأكثر الناس فقرا وحرمانا وبالمرضى مثل المصابين بالجذام، وكذا سفره المديد الأول عبر أمريكا اللاتينية، واعيا بالتفاوت الاجتماعي وبالظلم.

امتهن الطب، إلا أنه ظل مولعاً بالأدب والسياسة والفلسفة، سافر أرنستو تشي غيفارا إلى غواتيمالا عام ١٩٥٤ على أمل الانضمام إلى صفوف الثوار لكن حكومة كاستيلو أرماس العميلة للولايات المتحدة الأميركية قضت على الثورة. وانتقل بعد ذلك إلى المكسيك حيث التقى بفيدل كاسترو وأشعلوا الثورة ضد نظام حكم

"باتيستا" الرجعي حتى سقوطه سنة ١٩٥٩. وتولى منصب رئيس المصرف الوطني سنة ١٩٥٩. ووزارة الصناعة (١٩٦١ -١٩٦٥).

حصل تشي بالكاد على شهادته لما غادر من جديد الأرجنتين نحو رحلة جديدة عبر أمريكا اللاتينية. وقد كان عام ١٩٥١، خلال رحلته الأولى، قد لاحظ بؤس الفلاحين الهنود. كما تبين استغلال العمال في مناجم النحاس بشيلي والتي تملكها شركات أمريكية. وفي عام ١٩٥٣ في بوليفيا والبيرو، مرورا ببناما وبلدان أخرى، ناقش مع منفيين سياسيين يساريين من كل مكان تقريبا، ولاسيما مع كاسترويين كوبيين. تسيس، وفي تلك اللحظة قرر فعلا الالتحاق بصفوف الثوريين. واعتبر نفسه آنذاك شيوعيا.

وفي العام ١٩٥٤ توقف في غواتيمالا التي كانت تشهد غليانا ديمقراطيا في ظل حكومة جاكوب أربنز. وشارك تشي في مقاومة الانقلاب العسكري الذي دبرته المخابرات الأمريكية والذي أنهى الإصلاحات الزراعية التي قام بها أربنز، وستطبع هذه التجربة فكره السياسي.

التحق آنذاك بالمكسيك. وهناك تعرف في يوليو ١٩٥٥ على فيديل كاسترو الذي لجأ إلى ميكسيكو بعد الهجوم الفاشل على ثكنة مونكادا في سانتياغو دو كوبا. وجنده كاسترو طبيبا في البعثة التي ستحرر كوبا من ديكتاتورية باتيستا. وهناك سمي بتشي وهو تعبيير تعجب يستعمله الأرجنتينيون عمليا في نهاية كل جملة.

وفي يونيو ١٩٥٦ سجن تشي في مكسيك مع فيدل كاسترو ومجموعة متمردين كوبيين. وأطلق سراحهم بعد شهرين.

وفي ١٩٥٩ اكتسح رجال حرب العصابات هافانا برئاسة فيدل كاسترو وأسقطوا الديكتاتورية العسكرية لفولجنسيو باتيستا. هذا برغم تسليح حكومة الولايات المتحدة وتمويلها لباتيستا ولعملاء الـ CIA داخل جيش عصابات كاسترو.

دخل الثوار كوبا على ظهر زورق ولم يكن معهم سوى ثمانين رجلا لم يبق منهم سوى ١٠ رجال فقط، بينهم كاسترو وأخوه "راءول" وجيفارا، ولكن هذا الهجوم الفاشل أكسبهم مؤيدين كثيرين خاصة في المناطق الريفية، وظلت المجموعة تمارس حرب العصابات لمدة سنتين وخسروا نصف عددهم في معركة مع الجيش.

كان خطاب كاسترو سبباً في إضراب شامل، وبواسطة خطة جيفارا للنزول من جبال سييرا باتجاه العاصمة الكوبية تمكن الثوار من دخول العاصمة هافانا في يناير ١٩٥٩ على رأس ثلاثمائة مقاتل، ليبدأ عهد جديد في حياة كوبا بعد انتصار الثورة وإطاحتها بحكم الديكتاتور "باتيستا"، وفي تلك الأثناء اكتسب جيفارا لقب "تشي" الأرجنتيني، وتزوج من زوجته الثانية "إليدا مارش"، وأنجب منها أربعة أبناء بعد أن طلّق زوجته الأولى.

برز تشي جيفارا كقائد ومقاتل شرس جدا لا يهاب الموت وسريع البديهة يحسن التصرف في الأزمات. لم يعد جيفارا مجرد طبيب بل أصبح قائدا برتبة عقيد، وشريك فيدل كاسترو في قيادة الثورة، وقد أشرف كاسترو على استراتيجية المعارك بينما قاد وخطط جيفارا للمعارك.

عرف كاسترو بخطاباته التي صنعت له وللثورة شعبيتها، لكن جيفارا كان خلف أدلجة الخطاب وإعادة رسم ايديولوجيا الثورة على الأساس الماركسي اللينيني.

صدر قانون يعطي الجنسية والمواطنية الكاملة لكل من حارب مع الثوار برتبة عقيد، ولم توجد هذه المواصفات سوى في جيفارا الذي عيّن مديرا للمصرف المركزي وأشرف على محاكمات خصوم الثورة وبناء الدولة في فترة لم تعلن فيها الثورة عن وجهها الشيوعي، وما أن أمسكت الثورة بزمام الأمور -وبخاصة الجيش- حتى قامت الحكومة الشيوعية التي كان فيها جيفارا وزيراً للصناعة وممثلاً لكوبا في الخارج ومتحدثاً باسمها في الأمم المتحدة. كما قام بزيارة الاتحاد السوفيتي والصين، واختلف مع السوفييت على إثر سحب صورايخهم من كوبا بعد أن وقعت الولايات المتحدة معاهدة عدم اعتداء مع كوبا.

تولى جيفارا بعد استقرار الحكومة الثورية الجديدة –وعلى رأسها فيدل كاسترو– على التوالي، وأحيانا في نفس الوقت المناصب التالية:

سفير منتدب إلى الهيئات الدولية الكبرى.

منظم الميليشيا.

رئيس البنك المركزي.

مسئول التخطيط.

وزير الصناعة.

ومن خلال هذه المناصب قام الـ"تشي" بالتصدي بكل قوة لتدخلات الولايات المتحدة؛ فقرر تأميم جميع مصالح الدولة بالاتفاق مع كاسترو؛ فشددت الولايات المتحدة الحصار على كوبا، وهو ما جعل الحكومة الكوبية تتجه تدريجيا نحو الاتحاد السوفيتي. كما أعلنت عن مساندتها لحركات التحرير في كل من: تشيلي، وفيتنام، والجزائر.

لم يرتح جيفارا للحياة السياسية فاختفى، ونشرت مقالات كثيرة عن مقتله لكي يرد لعل رده يحدد مكانه لكنه لم يرد.

نشرت وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية شائعات تدعي فيها اختفاء إرنستو تشي جيفارا في ظروف غامضة، ومقتله على يد زميله في النضال القائد الكوبي فيدل كاسترو، مما اضطر الزعيم الكوبي للكشف عن الغموض الذي اكتنف اختفاءه من الجزيرة للشعب الكوبي فأدلى بخطابه الشهير الذي ورد في بعض أجزائه ما يلي:

لدي هنا رسالة كتبت بخط اليد، من الرفيق إرنستو جيفارا يقول فيها: أشعر أني أتممت ما لدي من واجبات تربطني بالثورة الكوبية على أرضها، لهذا أستودعك،

وأستودع الرفاق، وأستودع شعبك الذي أصبح شعبي. أتقدم رسميا باستقالتي من قيادة الحزب، ومن منصبي كوزير، ومن رتبة القائد، ومن جنسيتي الكوبية، لم يعد يربطني شيء قانوني بكوبا.

في أكتوبر ١٩٦٥ أرسل جيفارا رسالة إلى كاسترو تخلى فيها نهائيا عن مسؤولياته في قيادة الحزب، وعن منصبه كوزير، وعن رتبته كقائد، وعن وضعه ككوبي، إلا أنه أعلن عن أن هناك روابط طبيعة أخرى لا يمكن القضاء عليها بالأوراق الرسمية، كما عبر عن حبه العميق لكاسترو ولكوبا، وحنينه لأيام النضال المشترك.

أكدت هذه الرسالة إصراره على عدم العودة إلى كوبا بصفة رسمية، بل كثائر يبحث عن ملاذ آمن بين الحين والآخر. ثم أوقف مساعيه الثورية في الكونغو وأخذ الثائر فيه يبحث عن قضية عالمية أخرى.

و سعى جيفارا لإقامة مجموعات حرب عصابات في الكونغو. ومع أن فكرته لم تلق صدى واسعا لدى بعض القادة، أصر جيفارا على موقفه، وتموه بملابس رجل أعمال ثري، لينطلق في رحلة طويلة سافر فيها من بلد إلى آخر ليواجه المصاعب تلو الأخرى.

ذهب "تشي" لأفريقيا مسانداً للثورات التحررية، قائدا لـ ١٢٥ كوبيا، ولكن فشلت التجربة الأفريقية لأسباب عديدة، منها عدم تعاون رؤوس الثورة الأفارقة، واختلاف المناخ واللغة، وانتهى الأمر بالـ"تشي" في أحد المستشفيات في براغ للنقاهة، وزاره كاسترو بنفسه ليرجوه العودة، لكنه بقي في زائير (جمهورية الكونغو الديمقراطية) محارباً بجانب قائد ثورة الكونغو باتريس لومومبا، لكنه فجأة ظهر في بوليفيا قائدا لثورة جديدة، ولم يوثق هذه المرحلة سوى رسائله لفيديل كاسترو الذي لم ينقطع الاتصال معه حتى أيامه الأخيرة.

لم يكن مشروع "تشي" خلق حركة مسلحة بوليفية، بل التحضير لرص صفوف الحركات التحررية في أمريكا اللاتينية لمجابهة النزعة الأمريكية المستغلة لثروات دول القارة. منذ بداية عام ١٩٦٧ وجد جيفارا نفسه مع مقاتليه العشرين، وحيداً يواجه وحدات الجيش المدججة بالسلاح بقيادة السي آي إيه في براري بوليفيا الاستوائية. أراد جيفارا أن يمضي بعض الوقت في حشد القوى والعمل على تجنيد الفلاحين والهنود الحمر من حوله، ولكنه أجبر على خوض المعارك مبكراً.

وقد قام "تشي" بقيادة مجموعة من المحاربين لتحقيق هذه الأهداف، وقام أثناء تلك الفترة الواقعة بين ٧ نوفمبر ١٩٦٦ و٧ أكتوبر ١٩٦٧ بكتابه يوميات المعركة.

وألقي القبض على اثنين من مراسلي الثوار، فاعترفا تحت قسوة التعذيب أن جيفارا هو قائد الثوار. فبدأت حينها مطاردة لشخص واحد. بقيت السي آي على رأس جهود الجيش البوليفي طوال الحملة، فانتشر آلاف الجنود لتمشيط المناطق الوعرة بحثا عن أربعين رجلا ضعيفا وجائعا. قسم جيفارا قواته لتسريع تقدمها، ثم أمضوا بعد ذلك أربعة أشهر متفرقين عن بعضهم في الأدغال. إلى جانب ظروف الضعف والعزلة هذه، تعرض جيفارا إلى أزمات ربو حادة، مما ساهم في تسهيل البحث عنه ومطاردته.

وفي يوم ٨ أكتوبر ١٩٦٧ وفي أحد وديان بوليفيا الضيقة هاجمت قوات الجيش البوليفي المكونة من ١٥٠٠ فرد مجموعة جيفارا المكونة من ١٦ فرداً، وقد ظل جيفارا ورفاقه يقاتلون ٦ ساعات كاملة وهو شيء نادر الحدوث في حرب العصابات في منطقة صخرية وعرة، تجعل حتى الاتصال بينهم شبه مستحيل. وقد استمر "تشي" في القتال حتى بعد موت جميع أفراد المجموعة رغم إصابته بجروح في ساقه إلى أن دُمّرت بندقيته (م-٢) وضاع مخزن مسدسه وهو مايفسر وقوعه في الأسر حياً. نُقل "تشي" إلى قرية "لاهيجيرا"، وبقي حياً لمدة ٢٤ ساعة، ورفض أن يتبادل كلمة واحدة مع من أسروه. وفي مدرسة القرية نفذ ضابط الصف

"ماريو تيران" تعليمات ضابطيه: "ميجيل أيوروا" و"أندريس سيلنيش" بإطلاق النار على "تشي".

دخل ماريو عليه متردداً فقال له "تشي": أطلق النار، لا تخف؛ إنك ببساطة ستقتل مجرد رجل"، لكنه تراجع، ثم عاد مرة أخرى بعد أن كرر الضابطان الأوامر له فأخذ يطلق الرصاص من أعلى إلى أسفل تحت الخصر حيث كانت الأوامر واضحة بعدم توجيه النيران إلى القلب أو الرأس حتى تطول فترة احتضاره، إلى أن قام رقيب ثمل بإطلاق رصاصه من مسدسه في الجانب الأيسر فأنهى حياته.

وقد رفضت السلطات البوليفية تسليم جثته لأخيه أو حتى تعريف أحد بمكانه أو بمقبرته حتى لا تكون مزاراً للثوار من كل أنحاء العالم.

وقد شبّت أزمة بعد عملية اغتياله وسميت بأزمة "كلمات جيفارا" أي مذكراته. وقد تم نشر هذه المذكرات بعد اغتياله بخمسة أعوام وصار جيفارا رمزاً من رموز الثوار على الظلم. نشر فليكس رودريجيس، العميل السابق لجهاز المخابرات الأميركية (CIA) عن إعدام تشي جيفارا. وتمثل هذه الصور آخر لحظات حياة هذا الثوري الأرجنتيني قبل إعدامه بالرصاص بـ"لا هيجيرا" في غابة "فالي غراندي" ببوليفيا، في ٩ أكتوبر (تشرين الأول) من عام ١٩٦٧. وتظهر الصور كيفية أسر تشي جيفارا، واستلقائه على الأرض، وعيناه شبه المغلقتين ووجهه المتورم والأرض الملطخة بدمه بعد إعدامه. كما تنهي الصور كل الإشاعات حول مقتل تشي جيفارا أثناء معارك طاحنة مع الجيش البوليفي. وقد كشف السيد فليكس رودريجيس النقاب عن أن أيدي تشي جيفارا بُترت من أجل التعرُّف على بصمات أيديه.

الأعمال العدوانية الأمريكية ضد كوبا عام ١٩٥٩

و لكن المؤامرات الأمريكية ضد كوبا لم تنته بسقوط الصنم الذي صنعته "الديكتاتور باتيستا، حيث بدأت الولايات المتحدة الأمريكية منذ الأيام الأولى

بعد انتصار الثورة الكوبية في عام ١٩٥٩ بالأعمال العدوانية ضد كوبا. وكانت هذه الأعمال في البداية تخريبية ذات طبيعة سياسية ـ اقتصادية ودبلوماسية.

لكن أمريكا لم تنجح في خنق الجمهورية بفعل طوق الحصار الاقتصادي وعندئذ أخذت أمريكا تستعين بالعنف العسكري، مراهنة على الهجرة المعادية للثورة حيث كلف الرئيس ايزنهاور في مارس ١٩٦٠ إدارة المخابرات المركزية بـ "التنظيم والتسليح والاعداد... لإسقاط نظام كاسترو".

وفي نفس الشهر فجر عملاء وكالة المخابرات الأمريكية " سي . آي . إيه " في ميناء هافانا السفينة الفرنسية "لي كوبر" المحملة بصفقة أسلحة.

ومنذ أكتوبر عام ١٩٦٠ ضاعفت الولايات المتحدة الأمريكية حشد المشاة البحرية والسفن العسكرية في قاعدة غوانتنامو متسترة بشعار "الوقاية من الهجوم الكوري".

وفي كانون الأول وضعت واشنطن تحت تصرف المهاجرين الكوبيين السياسيين مليون دولار.

وأنشئ في ميامي مركز لتشكيل وتدريب القوات المناوئة للثورة وإعداد المرتزقة بواسطة خبراء عسكريين من وكالة المخابرات الأمريكية "سي . آي . إيه" ووزارة الدفاع الأمريكية " البنتاغون " جرى أيضاً في القواعد الأمريكية الموجودة في جواتيمالا.

وطبقاً لخطة الأوساط الأمريكية الحاكمة كان يجب على فصائل المرتزقة أن تنزل في كوبا وتشكل فوراً "الحكومة المعادية" التي كانت ستتوجه إلى أمريكا وإلى بلدان منظمة الدول الأمريكية بطلب لفرز "قوات أمريكية" قوامها ١٥ ألف عسكري للمشاركة في العدوان. جرى الإعداد للعدوان تحت الإشراف الشخصي للرئيس الامريكي ج. كينيدي. سبق العدوان استفزازات عسكرية علنية من قبل أمريكا ضد كوبا ومناورات ضخمة في البحر الكاريبي مع التدريب علانية من

قبل أمريكا ضد كوبا ومناورات ضخمة في البحر الكاريبي مع التدريب على إنزال المرتزقة في بورتوريكو.

وفي ١٧ أبريل١٩٦١، نزل المرتزقة الأمريكيون بقوة مكونة من ٤ كتائب مشاة وإنزال جوي وكتيبة سلاح ثقيل وسرايا دبابات وفصيلة مدرعة من الوحدات الإضافية على الأراضي الكوبية في منطقة بلاي ـ هيرون.

وقد صاحبت عملية الإنزال بضرب القنابل لأهم عقد المواصلات الكوبية وللمطارات والمراكز السكنية بما في ذلك هافانا.

أضف إلى ذلك أن الطائرات القاذفة للقنابل استخدمت من قبل الطيارين الأمريكيين. وفي نفس الوقت طوقت سفن الأسطول الامريكي مدن كوبا من الشرقِ وأخذت تنتشر عند سواحلها الجنوبية، لكن خطط الإمبريالية الأمريكية العدوانية أحبطت بواسطة الشعب الكوبي الثوري الذي انتفض برجولة للدفاع عن حريته واستقلاله.

و تم فرض في البلاد حالة الطوارئ وأُعلنت التعبئة العامة. كان على رأس القوات رئيس وزراء الحكومة الثورية ف. كاسترو. واتخذ نضال الشعب الكوبي منذ البداية طابعاً شعبياً عاماً.

و كان الجيش الكوبي والميليشيات الشعبية بحاجة إلى ٧٢ ساعة فقط من أجل الهزيمة الكاملة للمعتدين.

وفي الاجتماع الذي عقد في البيت الأبيض في ١٩فبراير١٩٦١ بمشاركة الرئيس جون كيندي وقيادة إدارة المخابرات المركزية والبنتاغون بحثت مسألة الاستمرار في تقديم الدعم المستمر لقوات الإنزال المأجورة على كوبا، إلاّ أنه لم تتخذ أية قرارات بهذا الشأن.

ولم تستطع الولايات المتحدة تجاهل تصريح الحكومة السوفييتية الجاد الذي أُعلن بسبب العدوان على كوبا حول استعداد الاتحاد السوفييتي والبلدان الأخرى

المحبة للسلام لتقديم كل الدعم والمساعدة الضرورية للشعب الكوبي في نضاله العادل من أجل حرية واستقلال الجمهورية.

وأثناء المعارك تم الاستيلاء على المئات من المرتزقة وعلى كميات كبيرة من الأسلحة الأمريكية والمعدات.

كانت هذه، حسب أقوال ف. كاسترو، هي الهزيمة الأولى للولايات المتحدة الأمريكية في أمريكا اللاتينية حيث تصرفت حتى ذلك الوقت كما أرادت.

و في أبريل عام ١٩٦٢ مثل أمام المحكمة العسكرية الثورية في كوبا حوالي ١٢٠٠ مرتزق حيث تم فضح أمريكا كمنظم وملهم للعدوان. أدانت المحكمة المرتزقين وحددت مقدار الضرر الذي سببوه لكوبا في غضون العدوان والذي بلغت قيمته ٦٣ مليون دولار.

دفعت أمريكا كل هذا المبلغ تقريباً لكوبا الثورية وأجابت كوبا مقابل ذلك بإطلاق سراح المرتزقين الامريكيين.

خسر المعتدون في عدوانهم على كوبا ٨٢ قتيلا و١٢١٤ أسيرا. ودمرت ١٢ طائرة أمريكية في المعارك وتم الاستيلاء على ٥ دبابات م. ٤١ من طراز "شيرمان" و١٠ حاملات مصفحة وكل أسلحة "اللواء ٢٥٠٦" الخفيفة والثقيلة.

كانت واشنطون مجبرة على التنازل لكنها لم تتوقف عن المكائد العدوانية ضد كوبا. وفي فبراير ١٩٦٢ وتحت الضغط الامريكي استبعدت كوبا من منظمة الدول الأمريكية.

وخرقت الولايات المتحدة الأمريكية مراراً حدود كوبا واقتحمت مجالها الجوي والبحري وقصفت بالقنابل المدن الكوبية.

وبسبب الخطر المتزايد للعدوان المسلح توجهت الحكومة الكوبية إلى حكومة الاتحاد السوفييتي بطلب لتقديم المساعدة لتعزيز القدرة الدفاعية للبلاد وعقدت اتفاقية لنشر الأسلحة الصاروخية في كوبا.

وأعلنت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية عن فرض الحصار البحري على جزر الحرية. ولتنفيذ هذا الفعل العدواني فرز البنتاغون أكثر من ١٨٠ سفينة من أنواع مختلفة وعددا من التشكيلات الجوية. وقد تمت كل الاستعدادات لإدخال حوالي ١٠٠ ألف عسكري أمريكي إلى كوبا.

وضعت أمريكا قواتها المسلحة في حالة الجاهزية القتالية الكاملة. وتلقت السفن العسكرية الأمريكية أمراً بتوقيف جميع السفن التجارية القادمة إلى كوبا والعائدة منها وتفتيشها. حتى السفن التي حملت على متنها شحنات عسكرية تعرضت للحجز.

تفاقم الوضع كثيراً لأن التفتيش لم يقتصر على السفن الكوبية فقط، بل وعلى السفن التجارية للعديد من بلدان العالم الأخرى.

وقد أوصلت أعمال أمريكا العدوانية الإنسانية في اكتوبر عام ١٩٦٢ إلى الحافة الخطيرة التي لاح خلفها خطر اندلاع حرب حرارية نووية.

وكان تهديد الحكومة السوفييتية بأنها ستستخدم جميع الإجراءات اللازمة من أجل توجيه الرد المناسب للمعتدي هو الفعل الحاسم لإحباط خطط الإمبريالية الأمريكية تجاه كوبا في عام ١٩٦٢.

وانسجاماً مع هذا التحذير فقد تم اتخاذ التدابير اللازمة في القوات المسلحة السوفييتية الهادفة إلى رفع الجاهزية القتالية للجيش وللأسطول. وهكذا، كانت واشنطن مجبرة على رفع الحصار.

أكد الرئيس الامريكي جون كيندي للاتحاد السوفييتي وللرأي العام العالمي أن أمريكا سترفع الحصار البحري عن كوبا وأن حكومتها تتعهد بعدم القيام بأي تدخل مسلح ضد جمهورية كوبا.

واصلت الولايات المتحدة الأمريكية في السنوات الأخيرة وحتى أيامنا هذه الاستفزازات المسلحة وأعمال التخريب مع الاستهتار المميز للبيت الأبيض ضد كوبا كما شددت الحصار الاقتصادي.

وكانت الكارثة الجوية للطائرة الكوبية في ٦أكتوبر١٩٧٦ التي وضع في صالونها قنبلة موقوتة أحد الأمثلة الدامغة على هذا النشاط العدواني.

سقطت الطائرة في منطقة جزيرة برbادوس في المحيط ومات ٧٢ راكباً بما فيهم أفراد طاقم الطائرة. إن المحاولات التخريبية ضد الطائرات الكوبية لم تتوقف.

والقرصنة الجوية لا تنحصر بالاستفزازات على الخطوط الجوية "كوبان دي أفياسون". ويجري أكثر فأكثر تجريب الطائرات التجسسية فوق الأراضي الكوبية ذاتها.

أضف إلى ذلك أن واشنطن لا تعتبر حتى خرق القوانين البسيطة للقانون الدولي انتهاكاً.

وقد عرض الرئيس الأمريكي رونالد ريجان نفسه أمام الكاميرات التلفزيونية صور الطائرات التجسسية التي تم التقاطها من الأراضي الكوبية.

كما أورد السكرتير العام لنقابة عمال الصحة في كوبا أ. فالديفيا في المقابلة التي أجرتها معه "لتيراتورينا غازيتا" والتي نشرت في ٢ديسمبر١٩٨١ أمثلة حول الحرب الجرثومية الأمريكية ضد كوبا بما في ذلك نشر وباء الطاعون الأفريقي في كوبا الذي أصاب جزءاً كبيراً من عدد رؤوس الخنازير ووباء حمى الضنك الذي مرض بسببه فجأة ٣٥٠ ألف إنسان.

وكان من بين القتلى الـ ١٥٦ ٩٩ طفلاً. ومن أجل مكافحة حمى الضنك (أبو الركب) كانت كوبا مضطرة لاستيراد الأدوية والمستحضرات الكيميائية بعشرات الملايين من الدولارات وتجنيد ١٠ آلاف إنسان لنفس الغرض. أثبتت التحقيقات الدقيقة وأقوال أعداء الثورة أن المرض قد جلب إلى كوبا.

واعترف عملاء اعداء الثورة، خاصة، أنهم ساهموا في "الأفعال البيولوجية" ضد كوبا وأعطوا أسماء الذين دعموهم ولقنوهم مثل هذه الأعمال. وبالإضافة إلى وباء الطاعون وحمى الضنك انتشرت في كوبا مجموعة من الأمراض الغريبة التي أصابت مزارع قصب السكر، التبغ وقطعان الماشية.

واعترف عملاء " سي . آي . إيه " أنهم جاؤوا بمثيرات هذه الأمراض إلى كوبا. لقد كلف ذلك كوبا جهداً كبيراً وأموالاً طائلة للقضاء على تلك الأوبئة وعواقبها.

وطبقاً لبلاغ المجلة الفنزويلية "تريبيون بوبيولار" الذي نشر في نوفمبر عام ١٩٨٤ فإن إدارة الاستخبارات المركزية " سي . آي . إيه " نشرت في كوبا فيروسات التهاب الحملاق الباسوري الذي أصاب ٢٢٠ ألف إنسان كوبي.

وتسرب وباء هذا المرض فيما بعد إلى المكسيك، الهندوراس، كولومبيا، بنما، سورينام وفنزويلا.

ففي نوفمبر عام ١٩٨٤ عانى آلاف الفنزويليين من التهاب لحمة العين، كما كتبت المجلة، وكانت هناك ضحايا كثيرة.

أما المهاجرون الكوبيون المناوئون للثورة الذين عملوا لصالح المخابرات الأمريكية فقد قتلوا الدبلوماسيين الكوبيين في الولايات المتحدة الأمريكية، الأرجنتين، إيطاليا وبلدان أخرى.

وفجروا بناء مفوضية كوبا التابعة لهيئة الأمم المتحدة في نيويورك وبناية ويلنغتون حيث عمل ممثلو كوبا.

ولم تتوقف أمريكا لسنوات عديدة عن المحاولات المنظمة لتنظيم قتل قادة الثورة الكوبية مستخدمة أحذق الأساليب من ترسانة المؤامرات والجرائم.

وقد تضمنت هذه الخطط محاولة اغتيال زعيم الثورة الكوبية فيديل كاسترو.

إن انتصار كوبا على قوى المرتزقة في أبريل عام ١٩٦١ وإحباط محاولات الاقتحام الجديدة لجزيرة الحرية في أكتوبر ١٩٦٢ كانت نتيجة لجهود الشعب الكوبي الموحد.

لعب الاتحاد السوفييتي دوراً مميزاً في هذا الموضوع. ففي ٢٣مايو١٩٦٣ قال فيدل كاسترو في جلسة صداقة في موسكو: "إن البلد السوفييتي الذي فقد أثناء الحرب الوطنية العظمى ضد الفاشيين أعداداً من البشر أكثر من مجموع سكان كوبا لم يتردد في المخاطرة بحرب صعبة للدفاع عن بلدنا الصغير. "

■■■



عسكر آكاييف..
الأمريكان باعونى!!



كانت حاله حال الحكام صنيعة الأعداء أو العملاء مخلصين لأسيادهم، بسبب عبوديتهم للمال والسلطة والمصلحة، فهم لا يهمهم مصلحة أوطانهم، ولا حماية أراضيهم، المهم عندهم هو كراسيهم وعروشهم حتى لو تعاونوا مع أعدائهم. وهذه صورة لما حدث في قرقيزيا مع حاكمها المستبد الموالي لأمريكا على طول الخط.

قبل انتفاضة الحادي والعشرين من مارس ٢٠٠٥ كانت قرغيزيا (قيرغيزستان) بلدا لا يستطيع الناس نطق اسمه أو التعرف على مكانه، وكذلك كان رئيسُها.

قبل انتفاضة مارس، كانت قرغيزيا تعيش هدوء التوتر الذي يرافق المشي فوق الحبال.

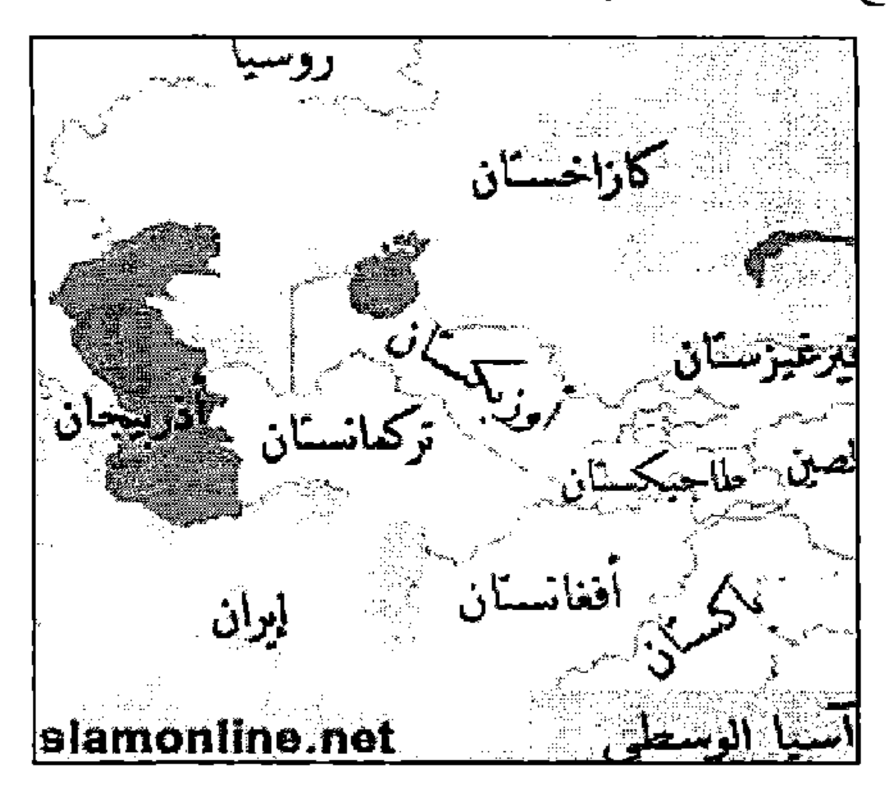
وكان من يمشي على الحبال هو عسكر آكاييف رئيس البلاد، حكم الرجل قرغيزيا أو قيرقستان بمبدأ التوازنات، راهن على حماية أمريكا له وسكوتها على تهميشه لمعارضيه وزجهم في غيابات السجون؛ اطمأن إلى رصيد قبلي وعشائري غرر به، فوقع في الخطأ المكرر. لم يشفع له أن ٩٠٪ من نواب برلمانه موالون له، تناسى مستمتعا، أن من يأتي إلى البرلمان بالتزوير ودعم أمريكا لا ربيب له ولا ولاء.

قدم آكاييف نفسه إلى الصحافة العالمية بابتسامته الشهيرة التي تغريك فتظنها تعكس فكرا ساذجا بريئا بينما تخفي وراءها مكر التاريخ وحنكة الصراعات في بلد

مر به كل شيء، حكمة الصينيين، وفورة التتر والمغول، وأطماع الروس، ومشروعات الإسلاميين، وأحلام الأمريكيين.

السيرة الذاتية لعسكر آكاييف لم تكن توحي بذلك المسار ولا بتلك النهاية. وعلى خلاف صعود الضباط وأنصاف السياسيين في العالم إلى سدة الحكم مستفيدين من أمية الشعوب، جاء آكاييف من خلف أسوار الجامعة.

في قرية كيزل بايراك شمال قرغيزيا (قيرغيزتان) ولد عسكر آكاييف عام ١٩٤٤. وفي أسرة تشربت أجواء المزارع الجماعية الإجبارية خلال الحقبة السوفيتية أكمل ابن الفلاح تعليمه وصولا إلى الجامعة.



سافر آكاييف خارج وطنه إلى جامعة لينينجراد قِبلة العلوم السوفيتية. من عشرينيات عمره واصل تعليمه في علم الفيزياء حتى حصل على شهادة الدكتوراه في التخصص ذاته، ليعود بعدها حاملا آمالا أكاديمية إلى الوطن عام ١٩٧٦.

وفي بلد زراعي قبلي كانت الطرق ممهدة إلى عالم الفيزياء للترقي الأكاديمي فبلغ أرقى منصب علمي في قرغيزيا وهو رئاسة أكاديمية العلوم. في عام ١٩٨٦

استعان الحزب الحاكم القرغيزي بعسكر آكاييف كجزء من تلميع صورته وتشكيل خط دفاع أمام الشعب بضم الفئات النخبوية إلى قياداته. سياسة رائجة في الأنظمة الشمولية أينما كان موقعها.

عام ١٩٨٩ تأكد الشيوعيون في قرغيزيا من أن الشيوعية تلفظ أنفاسها الأخيرة، وأن تحقيق شكل مًّا من أشكال الاستقلال عن المركز في موسكو قد قارب على البلوغ. في أكتوبر ١٩٩٠ اختار البرلمان القرغيزي آكاييف -ذلك الأكاديمي الذي ظنوه لا يفقه في حبائل السياسة الكثير- رئيسا للبلاد. راهن من اختاروه على قدرتهم على تحريكه من خلف الستار ليحققوا لأنفسهم مشاريع وطموحات. كان الطريق معبدا ليكسب مقعد الرئاسة في أول انتخابات شعبية بعد تفكك الاتحاد السوفيتي نهاية عام ١٩٩١.

رجل العصر وأمل الحرية

كما هي المفاجأة عادة في العالم الثالث، تحول آكاييف إلى سياسي في بضع سنين. بين عامي ١٩٩١-١٩٩٣ تمكن آكاييف من أن يدخل إلى بلاده مفاهيم إصلاحية جديدة كانت كفيلة بأن يعرف لدى العالم الغربي "بأمل" الديمقراطية؛ وأن تتحول قرغيزيا في عهده إلى أكبر ديمقراطية وسط آسيا.

نشر آكاييف في قرغيزيا مشروعات الإصلاح الاقتصادي دافعا الخصخصة خطوات كبرى إلى الأمام، خرجت عشرات الأحزاب بمختلف أطيافها. تمكنت سياساته الزراعية ومنح الفلاحين حقوقا متزايدة في العثور على مفتاح محبة الشعوب عبر التاريخ. صار آكاييف رجل الدولة بلا نزاع.

هكذا ظهرت قرغيزيا آكاييف مطلع التسعينيات مختلفة حقا عن باقي دول وسط آسيا والقوقاز التي لم تتغير فيها أجواء الحياة السياسية كثيرا بعد الاستقلال عن الاتحاد السوفيتي. بقيت الوجوه الشيوعية القديمة فوق صدور الناس في هذه البلاد

وأتقنت فن المراوغة وتغيير المصطلحات لتضمن لنفسها استمرارا في السلطة. آكاييف الذي لم يكن ينتمي وجدانا للحزب الشيوعي وجاء بعباءة الحرم الجامعي كان أكثر تحررا وقدرة على التغيير.

رغم انتمائه إلى سكان القسم الشمالي من البلاد لم يهمل آكاييف في جهوده الإصلاحية الجنوب المتأخر. كان يستمع لكل نقد.

ويتذكر الكثير من الصحفيين آكاييف مطلع التسعينيات حينما كانت الصحافة الحرة (التي ولدت برعايته) توجه إليه نقدا فيبادر بنفسه للاتصال بالمحررين شاكرا إياهم لفت نظره وواعدا بالتغيير.

سمحت أجواء الحرية ونمو مؤسسات المجتمع المدني بولوج تمويلات من قبل عديد من المؤسسات المالية الكبرى بعضها منسوب لأشخاص، مثل مؤسسة جورج سوروس وبعضها دولي منسوب للاتحاد الأوربي. انخرطت هذه المنظمات في أطياف متباينة من قضايا هذه الدولة التي لا يزيد سكانها عن الملايين الخمسة.



أكاييف في أيامه الأخيرة في السلطة لا يصدق تخلي الأمريكيين عنه !!

هكذا كانت الأحزاب والحركات الاجتماعية والسياسية على درجة معقولة من الاتصال بالخارج والوعي بالذات ولم تكن توجه للحكومة سوى ما هو معتاد ومألوف.

بين عامي ١٩٩٣ و١٩٩٥ وقع عسكر آكاييف في فخين كبيرين: الأول معارضة الحاشية السياسية للإصلاح والديمقراطية التي ستعيد توزيع القوى والثروة على مساحات أوسع لن تستفيد منها، وأمامها فزاعة النمو المتزايد للأحزاب والمؤسسات الصاعدة؛ والثاني ضعف آكاييف أمام ثقافة القبيلة وضغوط العشيرة فضم إلى المواقع الحساسة أقاربه وذويه. قبل أن يوقع آكاييف نفسه بين فكي كماشة الحاشية والعشيرة أعيد انتخابه -من بين مرشحين للمعارضة- بأغلبية كبيرة نهاية عام ١٩٩٥.

حينما قدم جون أندرسن كتابه الجاد عام ٢٠٠٠ عن قرغيزيا وضع له عنوانا فرعيا هو "واحة الديمقراطية في آسيا الوسطى". غير أن أندرسن أضاف للعنوان علامة استفهام. ويختزل الاستفهام هنا الدهشة التي أصابت المتابعين من تحول قرغيزيا من سويسرا الشرق -هكذا عرفت في الإعلام الغربي حتى منتصف التسعينيات- إلى نظام ديكتاتوري في نهاية نفس العقد.

تعتبر السنوات الخمس بين ١٩٩٥ و٢٠٠٠ (الفترة الرئاسية الثانية لعسكر آكاييف) مرحلة التحول بل التوجه نحو السقوط. وبعد أن كان آكاييف يدخل انتخابات الرئاسة واثقا من إنجازاته، فاز في انتخابات أكتوبر ٢٠٠٠ وسط اتهام منظمات غربية له بالتزوير ولعنات المعارضة. تفشت المحسوبية والفساد في حكومة آكاييف، وفي وقت واحد كان ابنه وابنتاه وأخواه وأختان لزوجته أعضاء في البرلمان القرغيزي!.

كان التزوير الانتخابي قد أَشعل حماسة المعارضة ورفع صوتها عاليا متهمة آكاييف بأنه "المافيوز الكبير"، كان الرد الرادع من حكومة الرجل أن زج بزعيم

المعارضة فيليكس كولوف إلى السجن بتهمة الاختلاس حينما كان يشغل منصب عمدة بيشكك. لا يعرف أحد على وجه الدقة من كان يختلس، ومن كان بريئا، لكن عمدة بيشكك كان قد شغل منصب نائب الرئيس في مطلع التسعينيات وصار المنافس الأكبر على كرسي الرئاسة.

جاءت أحداث سبتمبر والغزو الأمريكي لأفغانستان لتقدم سندا قويا لآكاييف الذي وقع في إغراء جيد بالتغاضي عن فساده في مقابل إقامة قاعدة عسكرية لواشنطن في بلاده. سرعان ما طمأن الرجل موسكو المفزوعة من التسلل الأمريكي إلى أبواب بيتها فسمح لها بإقامة قاعدة مماثلة.

هكذا ضمن الرجل في يمينه الرضا الأمريكي وفي يساره السند الروسي فطابت له الدنيا وهنأت! لم يكن ممكنا للمعارضة أن تبحث عن طرف ينجدها غير واشنطن وموسكو. بات الأمر وكأنه نهاية للتاريخ لصالح آكاييف.

ورغم اقتناعها بأن القوى الخارجية لن تقف معها، فقد دعمت المعارضة قوتها الداخلية وركزت على جنوب البلاد المهمش والأقل تنمية، والأبعد عن الكعكة المتقاسمة في الشمال. لم تجد المعارضة صعوبة في إقناع رجل الشارع بظواهر لا تخطئها العين من الفساد، فكسبت تعاطف الكثير وحيدت الكثير.

لم يكن عسكر آكاييف يظن حتى أكتوبر عام ٢٠٠٣ أن الولايات المتحدة ستغير من موقفها حيال دعم الأنظمة التي تخدم مصالحها.

رتب الرجل نفسه في الباطن للبقاء في السلطة عبر الانتخابات الرئاسية المنتظرة في أكتوبر ٢٠٠٥. وبمراوغة تستغل ذاكرة الشعب الضعيفة، لم ينس آكاييف أن يعلن للصحافة أنه "لن يرشح نفسه للانتخابات القادمة".

بعد شهر فقط من ذلك التاريخ وفي نوفمبر ٢٠٠٣ حين أطاحت المعارضة بالرئيس الجورجي إدوارد شيفرنادزه (الذي لم يعادِ يوما الولايات المتحدة!) دخل

عامل جديد في الضمانات الأمريكية للعروش الاستبدادية، وإن كان هذا الدرس لم يلق حتى الآن حظه من البحث والدراسة.

لم يكن هناك وقت على ما يبدو لعسكر آكاييف ليلتفت إلى أن هذا العامل الجديد قائم على فرضيات ثلاث:

١ - أن مصالح الولايات المتحدة الخارجية تتهدد بسبب دعمها للأنظمة الاستبدادية.

٢ - أن حركات المعارضة الداخلية في مثل هذه الدولة تشعر بالتدريج أن الولايات المتحدة هي الراعية للنظم التي تحول بينها وبين التداول السلمي للسلطة. ومن ثم فهناك خطر داخلي بهذه الدول على المنشآت الحيوية للولايات المتحدة ومن بينها القواعد العسكرية.

٣ - أنه ليس شرطا أن تكون حركات المعارضة ذات مشروعات معادية للولايات المتحدة. فأغلب الشواهد تشير إلى أن هذه المعارضة متعطشة لتداول السلطة وتحقيق مصالح حرمت منها لسنوات طويلة.

احتاجت هذه الفرضيات إلى عامل "تشحيم" لكي يكسبها القدرة على الحركة، وهذا ما قدمته المعارضة في قرغيزيا -على خلاف باقي دول آسيا الوسطى- حينما تمكنت من إحكام السيطرة على نصف البلاد وإشعال مظاهرات دموية حارقة والتنسيق الداخلي مع أطراف ضالعة في السلطة.

كان أول إعلان صرحت به المعارضة القرغيزية حينما طردت عسكر آكاييف هو أنها لن تمس المصالح الأمريكية أو الروسية في البلاد. إعلان جاء مهما جدا للجماهير الغاضبة قبل أن ينفلت عقالها أو تمضي في أحلام بعيدة بشأن الاستقلال عن تأثير القوى الأجنبية. هكذا لن تشعر الولايات المتحدة وروسيا باختلاف كبير بين آكاييف (الرئيس المخلوع) وباكييف (الرئيس المنتظر) فكلاهما متشابه الاسم، وكلاهما يحقق المصلحة!.

ويمكن القول أن من الأمور التي عجلت بسقوط آكاييف، أنه وافق على تحويل مطار "ماناس" الدولي القريب من العاصمة "بشكيك" إلى قاعدة جوية أمريكية مع حلول نهاية شهر فبراير ٢٠٠٢ وذلك في خطوة أثارت استفهامات عدة حول أهداف أمريكا من التمركز في هذه الدولة التي كانت تابعة للاتحاد السوفيتي قبل انهياره عام ١٩٩١.

وأكدت صحيفة لوموند الفرنسية الصادرة – آنذاك – أن القاعدة ستستخدمها القوات الفرنسية أيضا، مشيرة إلى أن الرئيس القيرغيزي "عسكر آكاييف" وافق على الطلب الأمريكي وكذلك على تجهيز المطار ليصبح قاعدة أمريكية.

وفي الوقت الذي قال فيه مسئولون أمريكيون لـ "لوموند": "إن استخدام هذه القاعدة العسكرية بقيرغيزستان سيتم لعدة سنوات" أشار "ألان ريشار" وزير الدفاع الفرنسي إلى أن قواته ستستخدم القاعدة لمدة عام على الأكثر.

وبحسب "لوموند" فقد قامت الولايات المتحدة بوضع معدات عسكرية في القاعدة ومنها نشر ٢٦٠ أمريكيا وعشر من طائرات النقل الضخمة لنقل التجهيزات لإعداد مستودعات للوقود، وكذلك مخازن للذخيرة الخاصة بكل نوع من أنواع الطائرات، ومن أهمها الطائرات القتالية طراز F١٨ وطائرات F١٥، ووصل ٣ آلاف جندي أمريكي إلى مطار ماناس مع نهاية شهر فبراير ٢٠٠٢.

وقالت صحيفة "لوموند": "إن الأهداف الرسمية المعلنة من تحويل مطار ماناس إلى قاعدة عسكرية أمريكية وبمشاركة فرنسية غير دائمة هي أن هذه القوات ستخصص لتوجيه ضربات إلى الجيوب الخفية التي يختبئ فيها المقاتلون من تنظيم القاعدة وحركة طالبان في أفغانستان".

وحسب صحيفة اللوموند فالهدف الآخر المعلن أيضا هو أن هذه المقاتلات الأمريكية والفرنسية ستستخدم في حماية قوات الدولية لحفظ الأمن في أفغانستان "إيساف" والتي من المتوقع أن تنتشر خارج كابول.

وينتقد بعض المراقبين للصحيفة الفرنسية الوجود الفرنسي الأمريكي في قيرغيزستان ويصفونه بأنه وجود غير مبرر لأن هذه الدولة غير متصلة بأفغانستان بأي صلة بل يوجد دولة طاجيكستان الفاصلة بينهما.

إلا أن المبررات الأمريكية الفرنسية كانت جاهزة، حيث قال ممثلو الدولتين للوموند: "إنهما حصلا على موافقة من قبل طاجيكستان باستخدام مجالها الجوي واستخدام قاعدة آني الطاجيكية القريبة من العاصمة دوشنبه".

ونقلت صحيفة لوموند نقلا عن بعض المسئولين الروس: "إن موسكو لا ترى أي تبرير أو تحليل منطقي لوجود مقاتلات أمريكية في جمهوريات الاتحاد السوفيتي سابقا حتى لو كان الهدف المعلن هو محاربة الإرهاب".

ومن جانبه يقول المحلل الفرنسي "جاك إسنارد" : "إن التجسس على كل من الهند والصين وباكستان والعديد من المناطق الإستراتيجية الهامة في آسيا من ضمن المهام التي ستقوم بها القوات الأمريكية في قيرغيزستان".

و بينما كانت" الثورة البرتقالية" تلملم أطرافها من شوارع العاصمة الأوكرانية "كييف" يوم ٣يناير ٢٠٠٥، بعد أن أوصلت زعيم المعارضة يوتشينكو إلى الرئاسة، كانت شوارع العاصمة القرغيزية "بشكيك" تشهد حركة غير معهودة بين أقطاب المعارضة المتصدعة لبلورة سياسة موحدة ضد الرئيس عسكر أكاييف.

يومها لم يكن يدور في خلد حكومة أكاييف ولا خلد المعارضة أن تتخذ الأحداث خطوات متسارعة خلال أقل من شهرين وتتحول إلى "ثورة بنفسجية" يوم ٢٤ مارس ٢٠٠٥ لتجد المعارضة نفسها في القصر الرئاسي بينما كان الرئيس أكاييف يغادر البلاد متجها إلى روسيا لينجو بنفسه من غضب الجماهير التي حركتها البطالة والفقر والفساد الإداري والاستبداد السياسي في هذه الجمهورية الصغيرة بوسط آسيا.

الواقع أثبت أن حسابات أكاييف كانت خاطئة وأن التجمعات البسيطة التي حركتها قوى المعارضة على مستوى العاصمة وبعض المدن أشعلت فتيل "ثورة شعبية دراماتيكية" أذهلت جميع المراقبين بمن فيهم الحكومة والمعارضة نفسها

"قرغيزستان ليست أوكرانيا أو جورجيا"، هذه هي الجملة التي أكدها وزير الخارجية القرغيزي ردا على مظاهرات نظمتها المعارضة في العاصمة بشكيك وكررها الرئيس عسكر أكاييف حينما أكد أنه لا مكان "لثورات مخملية" في قرغيزستان واتهم المعارضة حينها بالتخطيط لثورة شعبية بمساعدة قوى خارجية.

غير أن الواقع أثبت أن حسابات أكاييف كانت خاطئة وأن التجمعات البسيطة التي حركتها قوى المعارضة على مستوى العاصمة وبعض المدن أشعلت فتيل "ثورة شعبية دراماتيكية" أذهلت جميع المراقبين بمن فيهم الحكومة والمعارضة نفسها.

لقد كان الرئيس أكاييف يعول كثيرا على عدم قدرة المعارضة علي توحيد صفوفها المشتتة، وفشلها في قيادة الجماهير، حيث يتكون قادة المعارضة من وزراء وبيروقراطيين سابقين أقصوا من مناصبهم ويفتقدون إلى ثقة شعبية تمنحهم المساحة الكافية للمناورة ضد الحكومة.

لكن الرجل الذي كان في بداية التسعينيات الأكثر ديمقراطية في آسيا الوسطى بدا أن حرصه على تجديد رئاسته لدورة رابعة . رغم تصريحه بعدم رغبته في ذلك . وضمان حصول أبنائه وأقاربه وأعوانه على مقاعد في البرلمان، وضعاه في مواجهة صريحة وواضحة مع الكثير من القيادات المحلية التي سرعان ما وجدت من يتحرك من أجلها خصوصا بين الأجيال الشابة التي أبدت نشاطا سياسيا غير مسبوق في المعترك السياسي القرغيزي مؤخرا ولا سيما في المشهد الانتخابي الأخير.

ومن جهة أخرى كان الرئيس آكاييف يُعَوِّل كثيرا على الشمال القرغيزي الذي ينحدر منه والذي يستولي على مقاليد الحكم بشكل أساسي، في حين يشكل الجنوب مصدر قلق كبير للحكومة القرغيزية نظرا لتشابك العرقيات فيه حيث شهدت المنطقة مصادمات دامية بين الأوزبك والقرغيز في بداية التسعينيات كما أنها كانت مسرحا لعمليات المجموعات المسلحة التابعة لحركة أوزبكستان الإسلامية عامي ١٩٩٩ و٢٠٠٠ وشهدت مصادمات دموية كذلك عام ٢٠٠٢ بين الشرطة وبعض المتظاهرين على خلفية تحركات سياسية.

ولقد دأب الرئيس آكاييف الذي حكم البلاد منذ استقلالها عن الاتحاد السوفياتي عام ١٩٩١م على توسيع صلاحياته طيلة الفترة الماضية بحجة مجابهة التحديات الأمنية التي أثارتها الأصولية الإسلامية والحرب على الإرهاب وبذلك بدأ يقترب من النموذج الاستبدادي الموجود في أوزبكستان وتركمانستان والذي بدأت ملامحه تظهر في قزاقستان كذلك.

كما أدى انخراط قرغيزستان في الاتفاقيات الأمنية الإقليمية إلى ترسيخ الاستبداد السياسي بطريقة غير مباشرة عبر توسيع صلاحيات الرئيس على حساب صلاحيات البرلمان والحد من الحريات السياسية في ضوء الأخطار التي أحدقت بالمنطقة بعد أحداث عامي ٩٩ و٢٠٠٠ واتساع نشاط الجماعات الأصولية مثل حزب التحرير في جنوب البلاد وتحول قرغيزستان إلى قاعدة تحرك أميركية للحرب على ما يسمي بالإرهاب بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١.

وبجانب الاحتقان السياسي المتزايد في البلد شكل الفساد الإداري والبطالة أسبابا كافية لتحرك قطاعات صامتة من الشعب تأييدا لشعارات أحزاب المعارضة التي يصل عددها إلى ١٥ حزبا وتجمعا وتضم تيارات قومية وليبرالية ويسارية.

التدخل الحكومي السافر في نتائج الانتخابات لصالح الرئيس آكاييف خلق الظروف المناسبة للتحرك الشعبي الذي كان الأول في آسيا الوسطى والثالث على مستوى دول الاتحاد السوفياتي السابق "بعد جورجيا وأوكرانيا"

بدأت إرهاصات الثورة القرغيزية مع اقتراب موعد الانتخابات البرلمانية في مقاطعة يونج بولاية أسيك كول شرق البلاد، وجاءت ردا على قرار لمنع مرشح للمعارضة من خوض الانتخابات، وانتقلت المظاهرات إلى مدن الجنوب مثل باتكن وجلال آباد وأوش، وزادت وتيرة الاعتراضات الشعبية بعد إعلان نتائج الانتخابات البرلمانية التي قوبلت برفض قوي من المعارضة وانتقادات واسعة من المراقبين الدوليين.

ومع عقد الجولة الثانية من الانتخابات في ١٣مارس٢٠٠٥ طفح كيل الغضب الشعبي وأصبح المتظاهرون يعتصمون أمام مبنى البلدية في مدينتي أوش وجلال آباد في الجنوب إلى أن تحولت المظاهرات والاعتصامات إلى تقدم عملي نحو المباني الحكومية، وسقطت المدن الجنوبية الكبيرة بيد المعارضة يوم ٢٢مارس٢٠٠٥ دون أي مواجهة مع الحرس أو الشرطة.

أما المفاجأة الأصلية فكانت تنتظر في العاصمة بشكيك التي شهدت مظاهرات محدودة لم تضم غير مئات الأشخاص صباح يوم ٢٤مارس٢٠٠٥ ولكنها سرعان ما تحولت إلى مظاهرة ضخمة تضم أكثر من ١٠ آلاف شخص حاصروا القصر الرئاسي في لحظات وكسروا الحواجز وتخطوا صفوف الشرطة بعد مصادمات ومناوشات استمرت قرابة ساعتين من الزمان.

وبينما كان العالم يشهد بشيء من الذهول ما يجري في العاصمة القرغيزية، كانت الأسئلة تَطرح نفسها حول حقيقة ما يجري، إذ كيف لحكومة تملك كل هذه الإمكانيات لتزوير الانتخابات وصلاحيات واسعة لدى الرئيس أن تبدو ضعيفة لهذا الحد؟ ولماذا لم يتدخل الجيش وقوى الأمن في وقف تقدم المتظاهرين؟

لقد صرح قادة المعارضة بوضوح بأن الاستيلاء على القصر الرئاسي لم يكن من ضمن خطتهم أبدا، وهذا في حد ذاته يبرز عفوية هذه المظاهرات ويظهر هشاشة النظام من طرف آخر.

ويبدو أن الرئيس القرغيزي من خلال نقاشاته مع وفد منظمة الأمن والتعاون الأوروبي اقتنع بعدم استخدام القوة ضد المتظاهرين وبالتالي آثر الفرار خوفا من حدوث أي نوع من الأعمال الانتقامية ضده.

ومهما كانت حسابات الحكومة والمعارضة والمراقبين فإن الانتخابات القرغيزية والأجواء المصاحبة لها والتدخل الحكومي السافر في نتائجها لصالح الرئيس آكاييف وأعوانه خلقت الظروف المناسبة للتحرك الشعبي الذي كان الأول في آسيا الوسطى والثالث على مستوى دول الاتحاد السوفياتي السابق "بعد جورجيا وأوكرانيا".

وحتى قبل شهر واحد من سقوطه، لم يكن هناك أحد يستطيع تخيل عسكر آكاييف مؤسس دولة كرغيزستان الذي له فترتا حكم انتخابيتان، تتم الإطاحة به من الحكم عبر ثورة شعبية.

ويشبه النظام الذي أسسه آكاييف تلك الديكتاتوريات في أميركا اللاتينية. ويسمى هذا النوع من الديكتاتورية «الديكتابلاندا» (نظام استبدادي يضمن احترام الحقوق المدنية للمواطنين). وفي هذا النظام يعرف المواطن العادي أين يقف، فهو يعرف أنه إذا قال شيئا ما لا يحبه الحكام فيمكن أن يُكسَر فمه. ففي نظام «الديكتابلاندا» يكون المواطن غير متأكد أين عليه أن يغلق فمه وأين عليه أن يفتحه.

الغريب أن عسكر أكاييف قد اتهم حلفاءه الأمريكيين بتدبير عملية الإطاحة به، وذلك في الذكرى السنوية الأولى لإسقاطه في يوم ٢٤مارس٢٠٠٦.

ففي ظل هذه الاحتفالات ظهر الرئيس القرغيزي المنقلب عليه "عسكر آكاييف" في بعض وسائل الإعلام الروسية منددا بحادثة الانقلاب التي أطاحت به.

وقال "عسكر آكاييف" في حديث له مع وكالة "نوفوستي" الروسية: "كان بإمكاني أن أدافع عن رئاستي بالقوة، ولكني قررت حماية دم الشعب القرغيزي وتجنبت

استخدام القوة لئلا أتسبب في الحرب الأهلية وقتل أبناء وطني، فلذا تركت الحكم لمن تمرَّدوا على نظامي.

وأما هذه الانقلابات الملوّنة التي تحدث في الجمهوريات المستقلة لم تأت من فراغ، بل إن هناك قوة خارجية تقف وراءها، وهي الولايات المتحدة الأمريكية، فلها يد فيها.

والانقلاب "الوردي" في قرغيزستان بدلاً من أن تجلب لها الديمقراطية إنما تقودها إلى الانهيار، وحوادث الإجرام والقتل المتعمد وتصفية الحسابات بين المتنازعين تزداد يوماً بعد يوم".

وانتقد الرئيس القرغيزي السابق "عسكر آكاييف" أيضاً تعيين يوم الانقلاب" ٢٤مارس بالعيد الوطني، لأنه لا يستحق ذلك، فلم تجلب للشعب القرغيزي السعادة التي يتمناها.

ولد آكاييف في ١٠نوفمبر١٩٤٤ في كيزيل- بايراك، مديرية كيمين الحالة الاجتماعية، متزوج وله ولدان وبنتان .

وحصل على دكتوراه في الهندسة والرياضيات من معهد لينيجراد للميكانيكا الدقيقة والبصريات .

وقد بدأ حياته العملية كمحاضر بمعهد لننجراد، ومحاضر وأستاذ بمعهد فرونز للعلوم التقنية (٧٢- ١٩٧٣)،أستاذ بمعهد الميكانيكا الدقيقة والبصريات (٧٣- ١٩٧٦)، نائب الرئيس (٨٧- ١٩٨٩)، رئيس (٨٩- ١٩٩٠) أكاديمية قرغيزستان للعلوم العمل السياسي: عضو حزب قرغيز الشيوعي (٨١- ١٩٩١)،عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي القيرغيزي، رئيس إدارة العلوم والتربية، اللجنة المركزية لحزب قيرغيز الشيوعي (١٩٨٦- ٨٧)؛ وأصبح رئيس قيرغيزستان والقائد الأعلى للقوات المسلحة منذ ٢٧أكتوبر ١٩٩٠ .

▪▪▪



موبوتو...
نفس النهاية.. نفس المصير!!



كان موبوتو سيسي سيكو ديكتاتور إفريقيا الأول لمدة سبعة وثلاثين عاما.. كانت معادلته السياسية أشبه بنظام المقايضة مع الغرب.. دعوني أفعل ما أشاء.. وخذوا ما تشاءون.. هكا كان الحال مع الجميع وعلى رأسهم أمريكا التي قدم لها خدمة العمر، عندما كان رئيسا لأركان الجيش، واستخدمته مخابراتها لتدبير عملية اغتيال الزعيم الوطني بياتريس لومومبا، بعد فشلها في إخضاعه .

و بعد كل هذه السنوات من عمالته للغرب وبالتحديد أمريكا، وعندما حانت ساعة السقوط، رفض الأمريكيون مكافأته على خدماته، وطلبوا منه عدم التفكير حتى في استقباله، وعندما اشتد عليه المرض في أيامه الأخيرة في منفاه بالمغرب، التي انتقل إليها عام ١٩٩٧رفضوا علاجه في الولايات المتحدة.. سقط موبوتو وسقطت معه حيثيات أهميته بالنسبة للأمريكيين ولهذا قصة دامية !!

وصل بياتريس لومومبا وحزب حركة الكونغو الوطنية الذي قاده إلى السلطة في الكونغو في ٣٠يونيو١٩٦٠ بنتيجة الانتخابات البرلمانية.

لكن شرعية انتخاب حكومة لومومبا لم يكن لها أي معنى بالنسبة لواشنطن. وهناك (في واشنطن) اعتبروا أن الذي جاء إلى سدة الحكم هو رجل لا يحمل ولاء لأمريكا، وتم تصويره في واشنطون كزعيم راديكالي يمثل ظاهرة ثورية يخشَى تفشيها وإضرارها بمصالح أمريكا في إفريقيا !!

وفي يوليو ١٩٦٠ قام لومومبا برحلة إلى أمريكا حيث التقى هناك مع وزير الخارجية الامريكي الذي ناشده التخلي عن الاتجاه المستقل ومصالح البلد الوطنية.

لم يوافق لومومبا على ذلك. وتوصلوا في واشنطن إلى الاستنتاج بأنه "من المستحيل التفاهم" مع هذا الإنسان.

و قد مر منذ مقتل باتريس لوموبيا الإجرامي حوالي ٢٥ عاماً. تم خلال هذه الفترة الكشف عن الكثير من الوثائق الدالة على اشتراك إدارة المخابرات المركزية المباشر وقيادة واشنطن في الانقلاب الدموي في الكونغو وقبل كل شيء تقرير اللجنة الخاصة للكونغرس الأمريكي للتحقيق في نشاطات الهيئات الاستخبارية الأمريكية (لجنة تشيرتش) وشهادة المشتركين في هذه الأحداث.

وفي اجتماع مجلس الأمن القومي التابع للولايات المتحدة الأمريكية في أغسطس ١٩٦٠ وبمشاركة الرئيس الأمريكي تقرر التخلص من لومومبا وحكومته.

وقد قال ب. جوتسون الموظف في هذا المجلس متذكراً: "في إحدى دقائق سير الاجتماع تفوه الرئيس ايزنهاور بالملاحظة. لم أعد أذكر الكلمات بدقة. التي فهمت أنها أمر بالقضاء على لومومبا" وأثناء ذلك، جوتسون يتذكر، "التفت الرئيس نحو مدير إدارة المخابرات المركزية".

كان ذلك أمراً مباشراً بتنفيذ القتل الذي أصدره رئيس الولايات المتحدة الأمريكية والذي يعرفنا بوضوح للغاية على الأخلاق المسيطرة في الإدارة الأمريكية.

وبعد ذلك مباشرة أخذت وكالة المخابرات الأمريكية تعمل بسرعة متناهية. أعطى أ. دالاس، مدير الوكالة فوراً بعد الملاحظة المذكورة، توجيهاً لمساعده ر. باسل الذي اهتم بإعداد وتنفيذ الأفعال الإرهابية للشروع في العمل.

وأرسلت برقية أ. دالاس إلى عميل سي . آي . إيه في ليوبولدفيل: "... لقد قررنا أن تنحية لومومبا يجب أن تكون مهمة رئيسية وغير قابلة للتأجيل".

وتطورت الأهداف بسرعة مذهلة. وأعلن رئيس الكونغو في ذلك الوقت كوسا فوبو الذي اشترته " سي . آي إيه "، بصورة غير شرعية، عن إقصاء لومومبا من منصب رئيس الحكومة مع أن الذي يقصي الحكومة حسب الدستور هو البرلمان فقط بواسطة إعطائه قرار نزع الثقة.

وبعد ذلك قام العقيد موبوتو الذي عينه موسافوبو قائداً لجيش الكونغو بانقلاب حكومي واستولى على السلطة.



لومومبا زعيم الكونغو التاريخي كان صداعا في رأس أمريكا !!

خيم على الزعيم الكونغولي خطر الاعتقال والاضطهاد. كان مجبرا للبحث عن الحماية لدى قوات هيئة الأمم المتحدة التي أرسلت في ذلك الوقت إلى الكونغو. لكن ممثل هيئة الأمم المتحدة ي. كورديو كان مرتبطاً مع الأمريكيين.

ومع أن لومومبا كان مبعداً عن السلطة فإن إدارة المخابرات المركزية خافت من شعبيته.

صرح قائد الفرع الأفريقي لـ "سي . آي . إيه" : "إن مؤهلات وديناميكية لومومبا هي العوامل المحددة التي تسمح له باستعادة موقفه أكثر من مرة، عندما كان، كما بدا، ميؤوساً منه تقريباً. وبكلمات أخرى عندما احتفظ لومومبا بالكلمة الأخيرة، هذا يعني أنه كان قادراً على تحويل الموضوع لصالحه".

و هكذا كانت وكالة المخابرات المركزية هي التي اتخذت قرار القضاء على لومومبا.

فقد تم إرسال عميل الوكالة س. غوتليب ـ المختص بالسموم والمواد المسممة و"المواد المساعدة" (البخّاخ، القفازات المطاطية، القناع الواقي وغيرها) التي أرسلت بواسطة البريد الدبلوماسي إلى ليوبولدفيل تحت اسم جو براون أو جوباريجانين.

وعندما فشلت الخطة أوصت "سي آي . إيه" عملاءها في الكونغو بالقضاء على لومومبا بواسطة إطلاق النار عليه من بندقية كاتمة للصوت مزودة بجهاز تسديد تلسكوبي.

وهذه الخطة لم تنجح أيضاً. عندئذ نظمت "سي . آي . إيه" "هروب" لومومبا الكاذب إلى أيدي أعدائه الذين نكلوا به بوحشية عام ١٩٦١ !!

إن هذه الحقائق حول القتل التي اعترف بها قائد حركة التحرر الوطني موثقة ومدعمة بتصريحات شهود عيان ومشتركين في الأحداث.

ولكن لولا تآمر كازافابو وموبوتو مع الأمريكيين ومخابراتهم لما تمكنت واشنطون من تصفية لومومبا . الغريب أن العلاقة بين كازافابو وموبوتو بعد مقتل لومومبا اتخذت منحنى آخر، حيث بدأت واشنطون الطامحة في وراثة الاستعمار البلجيكي، ووضع يدها على الكونغو وثرواتها، حيث تربص موبوتو المدعوم أمريكيا بكازافابو وأطاح به، بعد أن اختارته أمريكا من بين الاثنين، بعد أن وجدت فيه العميل المثالي المستعد لعمل أي شيء.. ولنرى ماذا حدث ؟!

جوزيف كازافوبو، أول رئيس كونغولي بعد الاستقلال سنة ١٩٦٠. كان خصما لرئيس حكومته باتريس لومومبا.

ولد كازافوبو في كينشاسا سنة ١٩١٣، ودرس بمدارس ومعاهد الإرساليات المسيحية. وعمل بسلك التعليم ثم في الخدمة المدنية لدى الإدارة البلجيكية في الكونغو سنة ١٩٤٢، ووصل إلى أعلى المناصب المدنية التي تمنح للكونغوليين في الإدارة البلجيكية.

كتب بحثا سنة ١٩٤٦ سماه "حق الساكن الأول" أكد فيه أن الكونغوليين هم أصحاب الحق في إدارة بلادهم، وأن على البلجيكيين أن يرحلوا من الكونغو.

انتخب رئيسا لجمعية أباكو الثقافية سنة ١٩٥٠، وهي جمعية تعنى بتراث شعب الباكونغو، لتتحول الجمعية بزعامته إلى حركة سياسية لها حضور قوي في الميدان السياسي الوطني.

طالب كازافوبو في الخمسينيات باستقلال الكونغو، وطرح تصوره لشكل الدولة المقبلة، وهو عبارة عن نظام فيدرالي يحصل فيه شعب الباكونغو على حكم ذاتي.

فاز مرشحو جمعية أباكو بالانتخابات البلدية في العاصمة كينشاسا (ليوبولدفيل سابقا) سنة ١٩٥٧. وانتخب فيها كازافوبو عمدة لبلدة دندال.

عقدت الفصائل الوطنية الكونغولية انتخابات عامة قبيل الاستقلال سنة ١٩٦٠ نال فيها تحالف الباكونغو (أباكو سابقا) بزعامة كازافوبو ١٢ مقعدا في مقابل ٣٣ مقعدا للحركة الوطنية الكونغولية بقيادة لومومبا.

لم يستطع كل من كازافوبو ولومومبا تشكيل ائتلاف حاكم. مما دفعهما إلى تكوين ائتلاف تقلد فيه كازافوبو منصب الرئيس ولومومبا منصب رئيس الحكومة.

واجه كازافوبو في بداية حكمه تدخل القوات البلجيكية بحجة حماية رعاياها في مقاطعة كاتنغا الغنية بالثروات الطبيعية.

قاد الكولونيل جوزيف موبوتو (الذي أصبح بعد رئاسته للكونغو موبوتو سيسي سيكو) انقلابا أطاح فيه بحكم كازافوبو ولومومبا. غير أن موبوتو عاد ليسلم الحكم لكازافوبو من جديد.

حكم كازافوبو الكونغو حتى أطاح به موبوتو مرة أخرى سنة ١٩٦٥، ليعتزل كازافوبو العمل السياسي ويعيش في مزرعته ببومبا على نهر الكونغو، إلى أن مات في ٢٤ مارس ١٩٦٩.

أما الرئيس السابق للكونغو موبوتو سيسي سيكو فقد وُلد عام ١٩٣٠ في لبسالا شمال غرب الكونغو، وتلقى تعليمه الأولي والثانوي في مدارس البعثات التبشيرية، ثم التحق بالجيش الكونغولي وتولى رئاسة الأركان عام ١٩٦٠ وقيادة الجيش عام ١٩٦١ وصار هو الحاكم الفعلي للبلاد.

استولى على السلطة عام ١٩٦٦ بدعم من بلجيكا وأميركا وتولى رئاسة الدولة والحكومة، وأجرى تغييرات كثيرة في التنظيم الحكومي والسياسي فحل البرلمان الذي اختاره رئيسا، ومنع الأحزاب.

وفي عام ١٩٦٧ أعلن قيام "الجمهورية الكونغولية الثانية" القائمة على أساس دستور رئاسي يحصر السلطة الفعلية بشخص رئيس الجمهورية، وانتخب بموجب

هذا الدستور في نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٧٠ رئيسا للجمهورية بنسبة ١٠٠٪ من الأصوات.

أطلق في عام ١٩٧٢ اسم زائير على الكونغو، واستمر اسمها كذلك حتى أعاد كابيلا الاسم الأول. كما فرض موبوتو التخلي عن الأسماء المسيحية الأوروبية فغير اسمه من جوزيف ديزيه إلى موبوتو سيسي سيكو.

والحقيقة أن هناك قصة دامية تستحق ان تروى عن الكونغو التي كنت قد زرتها في التسعينيات من القرن الماضي كمراسل صحفي لصحيفة " أخبار اليوم" المصرية لتغطية الانقلاب على موبوتو واقتحام لوران كابيلا العميل الأمريكي البديل لموبوتو العاصمة كينشاسا متسلحا بالرجال والعتاد من دول الجوار، التي صدرت لها الأوامر من واشنطون لدعم انقلابه على موبوتو، الذي كان قد أضحى بمثابة جواد خاسر، لا بد من إزاحته من حلبة السباق، وإعداد بديل أمريكي، قبل أن تفرض الظروف على واشنطون بديلا وطنيا على غرار لومومبا .



الكونغو هذا البلد الذي يملك من المياه والمعادن والموارد والأرض ما يؤهله أن يكون من أغنى دول العالم، كانت موارده الهائلة لعنة جلبت عليه الاستعمار والصراع بلا توقف منذ القرن الخامس عشر. وحين تخلص من الاستعمار في أوائل الستينيات وقع في الصراعات الداخلية والإقليمية والحروب الأهلية.

ينحدر سكان الكونغو الديمقراطية من شعوب البانتو التي قطنت في الهضاب المطلة على مجرى نهري النيجر وبنويه.

لم تكن الكونغو كغيرها من المناطق الإفريقية معروفة لدى الأوروبيين، وكان الملاح البرتغالي ديغو أول أوروبي يلتقي بسكان الكونغو، إذ التقى بملك الكونغو أنطونيو الأول سنة ١٤٨٧ لتقوم بعد ذلك علاقات رسمية مع البرتغال. ودخلت الإرساليات المسيحية البرتغالية لتبشر في الكونغو.

أدرك ملك الكونغو حجم الخطر الذي بدأ يشكله الوجود البرتغالي في بلاده خاصة مع زيادة تجارة العبيد من أفريقيا إلى أميركا وأوروبا فرفض تجديد امتياز استثمار المناجم للبرتغال، مما أدى به إلى الموت في معركة أمبيلا أمام الجيش البرتغالي سنة ١٦٦٥.

بدأ الأوروبيون استثمار موارد الكونغو بشكل كبير أواسط القرن التاسع عشر. ففي تلك الفترة جاء إلى الكونغو الإنكليزي هنري مورتون ستانلي الذي استطاع أن يطوف مناطق الكونغو، ومن رحلته استطاع أن يتعرف على الثروات الكبيرة التي تمتلكها البلاد مما دفعه إلى حث الحكومة البريطانية على الإسراع في استغلال ثروات الكونغو، غير أنه لم يلق تجاوباً من الحكومة البريطانية.

وجه ستانلي دعوته بعد ذلك إلى ملك بلجيكا ليوبولد الثاني الذي عين ستانلي رئيساً لشركة الكونغو الدولية التي تأسست سنة ١٨٧٩.

تمكن ستانلي من التوقيع على المئات من المعاهدات مع الزعماء المحليين لصالح شركة الكونغو الدولية، كما تمكن الملك البلجيكي ليوبولد من الحصول على اعتراف من زعماء أوروبا بحقه الشخصي في ملكية الكونغو سنة ١٨٨٥ في العاصمة الألمانية برلين.

استمر ملك بلجيكا ليوبولد يستثمر موارد الكونغو لحسابه الخاص مدة زادت عن العشرين عاما، مما أدى إلى استنزاف الميزانية والموارد البشرية البلجيكية.

بدأ الرفض الشعبي البلجيكي لتصرفات الملك، وازداد الرفض بعد ظهور الأطماع الإنجليزية والأميركية في المستعمرة البلجيكية، وهو ما قاد البرلمان البلجيكي إلى نزع الخصوصية الشخصية التي كان يتعامل بها الملك مع المستعمرة سنة ١٩٠٨، لتعرف بعد ذلك باسم الكونغو البلجيكي.



موبوتو رئيس الأركان الذي تآمر لقتل لومومبا بناء على أوامر دالاس !!

استمرت بلجيكا تستغل الثروات الطبيعية في الكونغو لما يقرب من ستة عقود، ولم ينخفض معدل الاستغلال إلا إبان الكساد الاقتصادي العالمي ما بين ١٩٢٩- ١٩٣٣.

ورغم الإدراة غير المباشرة للبلجيكيين على الكونغو، فقد توافد البلجيكيون على الكونغو للعمل في الإدارات الحكومية حتى وصل عدد البلجيكيين الذين يشغلون الوظائف العامة قرابة ١٠ آلاف بلجيكي و٧ آلاف رجل دين مسيحي أوروبي. وبلغ تعداد الأوروبيين المقيمين في الكونغو سنة ١٩٦٠ حوالي ١٠٠ ألف شخص.

بلغ عدد اليد العاملة المحلية الكونغولية ٥٠٠ ألف في الثلاثينيات، ومليون عامل سنة ١٩٥٠، غير أن العمال لم يشاركوا بشكل ملحوظ في معارك الاستقلال لما امتازوا به من وظائف وسكن وإقامة في المدن.

عرفت الشعوب الكونغولية برفضها للاستعمار الأوروبي. وقد أشعل هذه النزعة للتحرر الداعية الكونغولي فرنسيسكو كسولا إذ نادى بعد ادعائه النبوة إلى وجوب طرد المبشرين الأوروبيين وحراسة الثقافة الأفريقية.

كما أعلنت دونا بياتريس نبوتها هي الأخرى وأنها مرسلة لإنقاذ مملكة الباكنغو من الاستعمار الأوروبي، إلا أنها أحرقت على أيدي المستعمرين البلجيكيين سنة ١٧٩٦.

استمرت دعوات التحرر ذات الصبغة الدينية في الظهور رغم محاولات الردع الشديدة التي قابلها بها البلجيكيون . ومن أهم الشخصيات الثائرة سيمون كيمنغو الذي ادعى في الفترة ما بين الحربين العالميتين زيارة الله له وأنه مأمور بالتبشير بالمساواة بين الناس وإنقاذ العرق الأسود، وأسس حركة الكاكية فاعتقل سنة ١٩٢١ ليموت بعد ذلك سجيناً سنة ١٩٥١.

استمرت دعوة سيمون كيمنغو بعد اعتقاله في الانتشار على أيدي أتباعه الذين كان لهم دور فاعل في نشر الروح القومية والحاجة إلى التحرر من الاستعمار الأبيض بين الكونغوليين.

زادت الروح القومية وانخرط الكونغوليون بمختلف طبقاتهم الاجتماعية والمهنية في حركة المطالبة بالتحرر من الاستعمار البلجيكي ونيل الاستقلال والإمساك بزمام الإدراة بالبلاد. وبلغت المطالب الوطنية مداها ما بين ١٩٥٥ و١٩٥٩ مما دفع بودوان ملك بلجيكا إلى زيارة الكونغو لأول مرة، غير أن آمال الوطنيين في الكونغو خابت ولم تحقق لهم الزيارة إلا زيادة التأكيد على النوايا الاستعمارية لبلجيكا بعد وضوح موقفها من الخطة الثلاثينية التي تقضي برجوع الإدارة المدنية لشعب الكونغو تدريجياً إلى أن يتحقق الاستقلال النهائي. ونشرت مجموعة الضمير الإفريقي بياناً بقيادة جوزف إيليو والأب جوزف طالبت فيه بالاعتراف بالقومية الإفريقية.

تحولت هذه الدعوات بمرور الوقت إلى مطالب سياسية، إذ نادت منظمة أباكو بزعامة جوزف كازافوبو برفض مثالية مجموعة الضمير الإفريقي، ورفضت المنظمة الخطة الثلاثينية للتحرر التدريجي. والأباكو تنظيم قام على قاعدة قبلية تنتمي إلى شعب الباكانغو الذي يسكن ليوبولدفيل ومناطق مصب نهر الكونغو. وقد حصل الأباكو على تمثيل واسع في الانتخابات البلدية سنة ١٩٥٧، وهو ما دفعه إلى الإصرار على المطالبة بالاستقلال.



لومومبا دفع حياته ثمنا للتآمر الأمريكي وخيانة أبناء جلدته !!

أدى إعلان الجنرال الفرنسي ديغول استقلال المستعمرات الفرنسية ومن بينها الكونغو برازافيل سنة ١٩٥٤ إلى تحرك الزعماء الوطنيين في الكونغو ورفع مذكرة تطالب بالاستقلال.

وجاء مؤتمر الجامعة الأفريقية في نفس العام مساندا لمطالب الاستقلال إذ عاد منه لومومبا قائد الحركة الوطنية الكونغولية وهو يعتبر أن استقلال الكونغو عن بلجيكا حقاً أساسياً وليس عطية تجود بها الأخيرة.

حدثت اضطرابات عنيفة في العاصمة الكونغولية قتل فيها خمسون شخصاً، إضافة إلى عشرات المصابين. وترتب على هذه الاضطرابات حل حركة الأباكو واعتقال قادتها. كما وعد ملك بلجيكا في ١٣ يناير ١٩٥٩ بمنح الكونغو استقلالها.

تنامى دور الحركة الوطنية الكونغولية إثر توقف نشاط الأباكو. وعرفت الحركة بحسها الوطني الذي لا يقوم على أساس قبلي. ومن أبرز قياداتها قبل الانقسام لومومبا، ثم ما لبثت أن انقسمت الحركة إلى جناح يميني وآخر يساري بقيادة لومومبا. ألقي القبض على لومومبا وسجن سنة ١٩٥٩.

اندلعت الاضطرابات في كل أنحاء الكونغو، واستمرت إلى نهاية سنة ١٩٥٩ مما اضطر بلجيكا إلى الاجتماع في بروكسل في يناير ١٩٦٠ مع رموز الحركة الوطنية التي مثلها كل من الأباكو والحركة الوطنية الكونغولية، إضافة إلى قادة الأحزاب الأخرى. وتم الاتفاق على الاستقلال يوم ٣٠ يونيو ١٩٦٠.

صدر في ١٩ مايو ١٩٦٠ القانون الأساسي الذي صار دستوراً ونص على إنشاء دولة مركزية، ليوافق بذلك مطالب لومومبا.

عقدت انتخابات تشريعية في مايو من العام نفسه حصلت فيها الحركة الوطنية الكونغولية على ٣٢ مقعدا، والأباكو على ١٢ مقعدا من أصل ١٣٢ مقعدا. وكانت النتائج صدمة للتيار الوطني إذ كشفت عن تيار انفصالي قوي مما دفع الأحزاب

الوطنية إلى تأسيس جبهة اتحاد وطني. وأعلن الملك البلجيكي بودوان استقلال الكونغو في الموعد المتفق عليه، ليصبح جوزف كازافوبو رئيساً للكونغو وباتريس لومومبا رئيساً لحكومتها.

استقل مويس تشومبي بدعم من بلجيكا بإقليم كاتنغا بعد خمسة أيام من إعلان الاستقلال، وعقد مع بلجيكا شراكة اقتصادية، كما أرسلت بلجيكا قواتها لحماية الإقليم المنفصل. وحمل لومومبا بلجيكا مسؤولية هذا الانفصال فقام بقطع العلاقات الدبلوماسية معها.

لم تفد الإجراءات الداخلية للكونغو في الحفاظ على وحدة البلاد، فأعلنت مقاطعة كازائي بقيادة ألبير كالونغي استقلالها عن الكونغو بعد أسبوعين من انفصال إقليم كاتنغا. وأعلن زعيما الانفصال في كاتنغا وكازائي عن إقامة اتحاد بين المقاطعتين، وبدآ السعي معا إلى إسقاط باتريس لومومبا بدعم من الحكومة البلجيكية عبر شركات المناجم البلجيكية في الكونغو. كما ساهمت العديد من القوى المحلية والإقليمية في دعم الانفصاليين ولم تجد نداءات لومومبا لدعم شرعيته والوقوف ضد الانفصاليين تجاوباً من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة إضافة إلى الأمم المتحدة.

بدأت القوات الدولية تحل مكان الجيش البلجيكي في كاتنغا، وزاد عدد المرتزقة الذين يستعين بهم تشومبي إلى أن شكل منهم قوات الدرك الكاتنغيين. وساءت العلاقات بين كازافوبو ولومومبا إذ حمل الأول لومومبا أخطاء الجيش الوطني الكونغولي في كاتنغا وكازائي، إلى جانب الخلاف القديم حول النظام الفدرالي الذي يؤيده كازافوبو.

قاد رئيس هيئة الأركان الجنرال موبوتو سسي سيكو انقلاباً سيطر به على البلاد لمدة ثلاثة شهور، غير أن موبوتو أعاد كازافوبو إلى منصبه، وشكل سيريل أدولا الحكومة الجديدة.

تمكن لومومبا من الهرب إلى ستنليفيل في كاتنغا بعد أن قبض عليه إثر الانقلاب، غير أن لومومبا اعتقل من جديد لينقل إلى إليزابتفيل ويقتل في يناير ١٩٦١على يد تشومبي.

دخلت البلاد حالة من الفوضى استمرت خمس سنوات وتقاسمتها ثلاث مناطق حكم يتلقى كل واحد منها دعماً من جهة معينة. فكازافوبو كان يتلقى دعمه من الأمم المتحدة والدول الغربية، ودعمت روسيا أتباع لومومبا بزعامة أنطوان جيزينغا حيث يسيطرون على ستنليفيل والمناطق الشرقية. أما تشومبي في كاتنغا فلم يكن يتلقى دعمه إلا من الشركات الغربية وحكومة بلجيكا.

سعى الزعماء المحليون التقليديون إلى إنهاء حالة الفوضى التي تعيشها البلاد منذ بداية الاستقلال فعقدوا مجموعة من الاجتماعات في ما بين يناير ومايو من عام ١٩٦٠، غير أن اجتماعاتهم لم تسفر عن حل يذكر.

وافق الرئيس كازافوبو على أن تضع الأمم المتحدة يدها على الكونغو وفق قرار مجلس الأمن في ٢١ فبراير ١٩٦١، وبدأ داج همرشولد الأمين العام للأمم المتحدة في شهر يوليو ١٩٦١ في ترتيب إدارة شؤون الجيش والمالية. في هذه الأثناء شكل البرلمان الكونغولي حكومة يرأسها سيريل أدولا من قيادات الجناح اليميني في الحركة الوطنية الكونغولية، واستمرت في إدارة البلاد حتى يونيو ١٩٦٤.

استعاد الجيش ستنليفيل واعتقل جيزنيغا في يناير ١٩٦٢. وبقي مويس تشومبي مستقلاً بمقاطعة كاتنغا ودخل في مواجهات مع قوات الأمم المتحدة. وتولى الأمين العام الجديد يوثانت المفاوضات بعد مقتل همرشولد. وبعد مرور سنة من المفاوضات مع تشومبي قرر يوثانت بدعم من الولايات المتحدة أن يعيد كاتنغا بالقوة في أواخر ديسمبر ١٩٦٢، فسقطت كاتنغا في ١٤ يناير ١٩٦٣، وغادر تشومبي إلى منفاه في أسبانيا.

تدهورت الأوضاع الاقتصادية وعمت الفوضى البلاد، وأعلن عن إضراب عام في أكتوبر ١٩٦٣ ففرضت الحكومة حالة الطوارئ، ونزل الجيش إلى الشارع لقمع الناس، وحل البرلمان.

ظهرت انتفاضات مؤيدة لأفكار لومومبا، واتسع نطاقها ليشمل المناطق الشمالية والشرقية، واتخذت من كونغو برازافيل في الغرب منطلقاً وكان يتزعمها بيار موليلي. وانطلقت مقاومة بقيادة غاستون سومياليو من بوروندي في الشرق.

استقال سيريل أدولا إثر قرار الأمم المتحدة بسحب قواتها من الكونغو، إلا أنه قبل استقالته اتصل بتشومبي في منفاه واتفقا على تولي الأخير زمام الحكم بدلا من أدولا، فتسلم تشومبي الحكم في أغسطس ١٩٦٤.

واسترد الجيش الوطني الكونغولي ستنليفيل بعد تدخل القوات البلجيكية وتم القضاء على الثوار في يناير ١٩٦٥.

لم ترض نتائج الانتخابات النيابية التي جرت في أبريل ١٩٦٥ تشومبي فأسس الجمعية الوطنية الكونغولية، غير أن كازافوبو أقال تشومبي من رئاسة الحكومة في ١٣ أكتوبر من العام نفسه، وفشل في تشكيل حكومة جديدة فتدخل قائد الجيش موبوتو فأقال كازافوبو وألزم البرلمان بانتخابه رئيساً للكونغو، وعين الكولونيل مولاميا الذي أخمد ثورة أنصار لومومبا رئيساً للوزراء.

علق موبوتو الدستور وحل البرلمان وألغى الأحزاب وقلص عدد المحافظات إلى ٨ بدلاً من ٢١ محافظة واستعان بالجيش في إدارة الكونغو. وأسس موبوتو "الحركة الشعبية للثورة" الحزب الوحيد في الكونغو عام ١٩٦٧، وبنى للومومبا تمثالاً في كينشاسا وأطلق عليه لقب شهيد الاستقلال الأول !!

أعلن موبوتو ولادة جمهورية الكونغو الثانية في ٢٤ مارس ١٩٦٧، ووضع للجمهورية الجديدة دستوراً يعطي السلطة لرئيس الدولة بدلا من رئيس الحكومة كما نص

الدستور القديم. وانتُخب موبوتو رئيساً للبلاد بناء على الدستور الجديد بحصوله على نسبة ١٠٠٪ من الأصوات. ودعا شعب الكونغو إلى العودة للأصالة الأفريقية، ونبذ الأسماء الأوروبية سنة ١٩٧٢، وغير اسم الكونغو إلى زائير، واسمه من جوزف ديزيريه إلى موبوتو سيسي سيكو.

أصدر موبوتو قوانين تشجع الاستثمارات الأجنبية في يونيو ١٩٦٩، إلا أن الوضع الاقتصادي لم يتحسن خاصة بعد هبوط أسعار النحاس سنة ١٩٧١.

عاد موبوتو من الصين في فبراير ١٩٧٣ ليؤمم الكثير من الشركات الخاصة حتى ملكت الدولة قرابة ٦٠٪ من اقتصاد البلاد مع نهاية سنة ١٩٧٤.وتراجع موبوتو عن سياساته الاقتصادية الاشتراكية فأعاد الشركات المؤممة لأصحابها سنة ١٩٧٦، إلا أن الوضع الاقتصادي استمر في التدهور فقام موبوتو بإقالة السياسيين من إدارة الدولة ليستبدل بهم خبراء تقنيين.

ازداد الوضع سوءاً بعد توقف تصدير النحاس الكونغولي عبر مرفأ لوبيتو في أنغولا بسبب الحرب الأهلية الدائرة هناك، ثم بسبب سوء العلاقة بين الدولتين بعد تولي الثوار الحكم في أنغولا إذ كان موبوتو معارضاً لحركة الثوار الشعبية.

واجه موبوتو ثورة ضده سنة ١٩٧٧ قيل إنها كانت مدعومة من أنغولا، وقد تمكن الثوار من الدخول إلى شابا (كاتنغا سابقاً)، ولم يتمكن موبوتو من القضاء عليهم إلا بالاستعانة بقوات أجنبية وعمليات نقل عسكرية نفذتها القوات الفرنسية.

ولم تطل فترة الهدوء إذ بدأ تمرد جديد في شابا (كاتنغا سابقاً) في مايو ١٩٧٨، إلا أن نزول قوات فرنسية وبلجيكية أنهت التمرد لصالح موبوتو.واستمرت محاولات التمرد على موبوتو حتى أن بلجيكا أرسلت ٢٥٠ مظلياً لمساعدة قوات موبوتو في فبراير ١٩٧٩. وأعدم موبوتو مجموعة من العسكريين في نفس العام، كما أغلق الحدود الزائيرية.

ساد الكونغو استقرار إبان الثمانينيات، لكن الوضع الاقتصادي استمر في التدهور وتراجع مستوى المعيشة لقطاع كبير من الناس.وأعلن موبوتو عن السماح بإقامة نظام ديمقراطي في أبريل ١٩٩٠، وجرت انتخابات في يونيو ١٩٩١ فاز بها موبوتو، وتقلص عدد الأحزاب إلى حزبين بجانب حزب موبوتو الحاكم. وانتقد زعماء المعارضة النظام الانتخابي الذي منح موبوتو نتائج غير عادلة.

بدأ موبوتو بإعادة تنظيم برلمان الحزب الواحد وأقال زعيم المعارضة ورئيس الوزراء تاشيسكيدي أوائل سنة ١٩٩٣. وعاد ليحل البرلمان ويقيل رئيس وزرائه في يونيو ١٩٩٤، مما دفع إلى إعلان إضراب عام في العاصمة.

حاول موبوتو في أكتوبر ١٩٩٦ أن ينال من قبائل التوتسي المؤيدة للوران كابيلا والتي تعيش في شرق الكونغو على الحدود المتاخمة لرواندا مما أدى إلى دعم رواندا لقبائل التوتسي في الكونغو. وقاد لوران كابيلا قوات شكلها من قبائل التوتسي حرب عصابات ضد موبوتو استمرت سبعة أشهر تمكن فيها من السيطرة على شرق البلاد.

وقد تلقى كابيلا – بأوامر أمريكية - دعم الدول التي استضافت معارضي موبوتو سيسي سيكو وهي أوغندا وبوروندي وتنزانيا وزامبيا وزيمبابوي وأنغولا.

استمرت قوات المعارضة في التقدم دون مقاومة تذكر لينتهي حكم موبوتو بهروبه إلى المغرب في ١٦ مايو ١٩٩٧. ومات موبوتو في المغرب بالسرطان في سبتمبر من العام نفسه.

استبد كابيلا " الأمريكي " بالحكم، وبدا للمراقبين وكأنه لا يحمل خطة واضحة. واتهم كابيلا بمذابح ضد لاجئي قبائل الهوتو، ومنع الأمم المتحدة من التحقيق في المجازر المتهم بها. كما اتهم باستعانته بمليشيات أجنبية لتنفيذ مخططاته ضد أعدائه، وكذلك اتهمه الكونغوليون بالعمل لصالح رواندا. واختلف كابيلا مع مسانديه القدامى مثل رواندا وأوغندا.

قاد معارضون لكابيلا من توتسي شرق الكونغو -يقال إنهم تلقوا دعمهم من رواندا وأوغندا- تمرداً ضده، وتمكن المعارضون من السيطرة على مناطق كثيرة من الكونغو. إلا أن تدخل قوات من زامبيا وزيمبابوي وأنغولا رجحت الكفة لصالح كابيلا وتراجعت قوات المعارضة من جديد.

وقعت الدول الست المعنية بالصراع في منطقة البحيرات العظمى على اتفاقية وقف إطلاق نار بحضور أطراف الصراع في الكونغو في عاصمة زامبيا أساكا في أغسطس ١٩٩٩.

جددت أطراف الصراع في الكونغو الاتهامات المتبادلة بخرق اتفاقية إطلاق النار، مما أدى إلى رفض فصائل المعارضة حضور الحوار الوطني من أجل المصالحة الذي دعا إليه كابيلا في أكتوبر ١٩٩٩.

اندلعت مواجهات إثنية وعرقية بين فصائل المعارضة في مناطق نفوذها في فبراير ٢٠٠٠، الأمر الذي أدى إلى إرسال قوات دولية لمراقبة تنفيذ اتفاقية وقف إطلاق النار. واجتمع قادة دول البحيرات العظمى المرتبطون بالصراع الدائر في المنطقة للنظر في تنفيذ اتفاقية وقف إطلاق النار في أغسطس ٢٠٠٠.

لم تدم فترة حكم كابيلا طويلاً إذ أطلق أحد رجاله النار عليه في ١٦ يناير ٢٠٠١ لتنتهي مرحلة أخرى من النزاع في هذا البلد الأفريقي الغني الذي لم ينعم بالاستقرار منذ عقود طويلة.

▪▪▪



بى نظير بوتو..
قتلوها ولم يبكوا عليها!!



جرت العادة أن يتشدق الأمريكيون بمصطلح فضفاض يستخدمونه وقت الحاجة لأهداف شيطانية، أو يختبئون وراءه لتبرير سياسات عدائية، وربما يفعلون ذلك دون وجود موقف أو قضية، حيث يكون الأمر برمته من نسج خيالهم لتبرير جريمة يستعدون لارتكابها ضد نظام بعينه، لم يقدم لهم فروض الولاء والطاعة، وتقارير وزارة الخارجية الأمريكية، التي تستثني إسرائيل دائما من انتهاكات حقوق الإنسان، وتلصق الانتهاكات بأنظمة أخرى لم تقترفها أصلا، خير دليل على ذلك .

وربما كان العالم يتوقع أن تثور ثائرة العم سام لاغتيال حليفتهم التليدة (بي نظير بوتو)، بعد أن دفعوها للعودة إلى باكستان، رغم كل المخاطر والتحذيرات من قتلها، واستغلوا طموحها الجارف للحكم، وتعطشها غير المحدود للسلطة، ولكنهم لم يحركوا ساكنا، وغدروا بها حية وميتة !!

والسؤال هو : لماذا لم يثر الأمريكيون لمقتل عميلتهم وحليفتهم، التي اعتبروها فرس الرهان، والبديل الأمريكي للرئيس المترنح والحليف المتهاوي برويز مشرف ؟!

الحقيقة أن إدارة الرئيس الأمريكي بوش – وكعادة الأمريكيين دائما – لم تكترث لاغتيالها، اللهم إلا بيان مقتضب لحفظ ماء الوجه، لأن الأمريكيين تعودوا على إغلاق ملف العميل متى سقط، ونقل الرهان على البديل المناسب من وجهة نظرهم، العميل الذي يخدم مصالحهم، وهذا هو ما حدث !!

يذهب كثيرون وأنا منهم إلى أن الأمريكين هم المسؤول الأول عن اغتيال بي نظير بوتو بغض النظر عن هذا الطرف أو ذاك، الذي خطط لقتلها على أرض الواقع.. وأستطيع القول إن رئيسة وزراء باكستان السابقة راحت ضحية صفقة أمريكية فاسدة، لعب من خلالها الرئيس الأمريكي بوش ورجاله على بوتو، بأن أسالوا لعابها على كرسي الحكم، وجعلوا منها بديلاً في المستقبل المنظور للديكتاتور مشرف، حصان السباق الذي بدأ نجمه يأفل، فقرروا بسرعة إعداد البديل المثالي، الذي جربوه من قبل " بي نظير بوتو " !!

لقد قدم الأمريكيون بوتو على طبق من فضة لكل أعدائهم، وحتى أصدقائهم كالرئيس برويز مشرف، ورئيس الوزراء السابق نواز شريف، حيث لم تنطل المسرحية الهزلية الأمريكية على أحد !!

لقد حاول بوش وإدارته اللعب بورقة بوتو لضمان هيمنة الأمريكيين على دولة المواجهة مع طالبان والقاعدة، حال غياب متوقع لمشرف في أية لحظة بعد أفول نجمه في الآونة الأخيرة، وقبل ذلك إحكام قبضتهم على النووي الباكستاني حتى لا يقع في أيدي بن لادن والظواهري أو أية جهات أخرى تريد تحييد أو إرهاب الأمريكيين !!

و قبل عودتها وفي محاولة منها لاستمالة الأمريكيين أكثر وأكثر، والتأكيد لهم أنها فرس الرهان الأوحد، غالت بوتو في كسب الأعداء، بل أقحمت نفسها في عداء مقصود مع جميع من تعتقد في أنه عدو للأمريكيين .

و قد حرصت رئيسة وزراء باكستان الراحلة بي نظير بوتو على أن تغلف عودتها بورقة سوليفان، حتى تمهد الساحة لعودتها، بعد أن ذاعت أنباء رجوعها في إطار سيناريو أمريكي، أو بالأحرى صفقة ترعاها إدارة بوش، وبالتفاق مع الرئيس الباكستاني برويز مشرف . ولكن حتى هذه المقالات لم تنجح إلى حد ما في إخفاء معالم الصفقة.. ومن هذه المقالات هذا المقال الذي نشرته بوتو في صحيفة "واشنطون بوست " الأمريكية بعنوان : " عندما أعود إلى باكستان " قالت فيه:

سأعود إلى باكستان في أكتوبر القادم لإحداث تغيير هناك. فاستقرار باكستان وأمنها يكمنان في تمكين شعبها وبناء المؤسسات السياسية. هدفي هو إثبات أن المعركة الأساسية لكسب عقول وقلوب جيل ما، يمكن كسبها فقط تحت مظلة الديمقراطية.

القضية الأساسية التي تواجه باكستان تتمثل في الاعتدال في مواجهة التطرف. حل هذه القضية سيؤثر على العالم، وعلى وجه الخصوص جنوب ووسط آسيا والدول المسلمة. التطرف يزدهر فقط في البيئة التي تهمل فيها الحكومة المسؤولية الرئيسية تجاه رفاهية الشعب. الدكتاتورية السياسية واليأس الاجتماعي خلقا اليأس الذي يفضي إلى التطرف.

خلال تاريخ باكستان على مدى الـ٦٠ عاما الماضية، وفي ظل التقلبات بين دكتاتورية وديمقراطية، ومن انتخابات حرة إلى انتخابات مزورة إلى عدم وجود انتخابات، لم يشكل الأصوليون مطلقا جزءا مهما من الوعي السياسي في باكستان. ورثنا دولة وسطية ومعتدلة. ومن الناحية التاريخية لم تحصل الأحزاب الدينية على اكثر من ١١ بالمائة من الأصوات في الانتخابات العامة. الحزب الأكبر حجما هو حزبي، حزب الشعب الباكستاني. تأثر المسرح السياسي الباكستاني بصورة رئيسية بحزب الشعب الباكستاني المعتدل، الذي يحظى بتأييد قوي ومتواصل من جانب جماهير الريف ونخب المدن.

يشكل التطرف خطرا، لكن سيتم احتواؤه كما حدث في السابق إذا جرت تعبئة الوسط المعتدل للوقوف في وجه الهوس.. سأعود لأقود هذه المعركة.

أدرك أن هناك من شكك في الحوار الذي أجريته مع الجنرال برويز مشرف على مدى الشهور السابقة. وهي مناقشات أجريتها على أمل أن يستقيل مشرف من الجيش ويعيد الديمقراطية.

هدفي يتلخص في ان الحوار لم يكن شخصيا، وإنما حرصت دائما على التأكد من إجراء انتخابات حرة ونزيهة في باكستان بغرض إنقاذ الديمقراطية. محاربة التطرف تتطلب جهدا قوميا ينساب في الأساس من انتخابات شرعية. يوجد داخل الاستخبارات والجيش من يتعاطف مع المتطرفين. وإذا كانت هذه العناصر غير خاضعة للمحاسبة بواسطة البرلمان أو أمام حكومة منتخبة، فإن معركة بقاء ومستقبل باكستان قد تصبح خاسرة. يجب أن يكون الجيش جزءا من المعركة ضد التطرف، إلا أن الجيش لا يستطيع أن يفعل ذلك لوحده، مثلما أثبتت السنوات الست السابقة، أي عقب هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١.

لا يزال هناك كثير من القضايا التي لم يجر التوصل إلى حل بشأنها في المجال السياسي. فالدستور الباكستاني يتطلب أن تكون هناك فترة انتظار لمدة عامين قبل أن يخوض أي عسكري انتخابات الرئاسة. من الممكن أن يستجيب الجنرال مشرف لرغبة الشعب في إجراء انتخابات رئاسية نزيهة للبرلمان والبلديات، أو من الممكن أيضا أن يتلاعب بالدستور. إلا أن ذلك سيؤدي إلى نشوب مواجهة مع القضاء والأحزاب السياسية، وهي مواجهة من المحتمل أن تؤدي بدورها إلى إعلان تطبيق قوانين الطوارئ أو حدوث اضطرابات مدنية، أو كلاهما. هذه الاضطرابات هي ما يريد الأصوليون حدوثه، فالفوضى والاضطرابات تناسب أهدافهم.

حواري مع مشرف يهدف إلى دفع البلاد إلى الأمام من حكم دكتاتوري فشل في منع تحول المناطق قبَلية إلى ملاذ للإرهابيين. كما أن المتطرفين يعملون على نشر تأثيرهم داخل المدن الباكستانية.

أسعى وحزبي إلى انتخابات حرة ونزيهة بواسطة لجنة انتخابات مستقلة تحت ظل حكومة إجماع وطني مؤقتة. نريد توفير فرص متكافئة لكل المرشحين والأحزاب.

في إطار المقولة المنسوبة لجوزيف ستالين: «الذين يدلون بأصواتهم لا يقررون شيئا، الذين يفرزون الأصوات هم الذين يحددون كل شيء»، أود القول أن هذا هو

السبب وراء تأكيدنا أهمية إصلاح قوانين الانتخابات، على الرغم من أن جهودنا لم تثمر شيئا حتى الآن.

كان الرئيس بوش على صواب عندما قال: «أقوى الأسلحة ضد التطرف ليست الطلقات أو القنابل، وإنما التوجه العالمي نحو الحريات.

عندما تحط رحلتي في باكستان الشهر المقبل، أدرك أن الناس سيستقبلونني بفرح. لا أعرف عقب مغادرتي للمطار ما ينتظرني، سواء كان على الصعيد الشخصي أو السياسي. أتمنى أن يحدث الأفضل وأستعد لأسوأ الاحتمالات. ولكن على أية حال أريد العودة إلى البلاد للعمل على إعادة مكانة باكستان في مجتمع الدول الديمقراطية . " إلى هنا انتهى مقال بوتو " .

و يمكن القول إن بوتو - قبل اغتيالها - كانت قادمة إلى باكستان هذه المرة على حصان أمريكي، أو بوجه غربي سافر، وأكثر وضوحاً عن ذي قبل، لا تستند إلى قاعدة شعبية بقدر ما تستند إلى موازنات دولية ودعم غربي وأضح، جعل من الولايات المتحدة عَرَّاباً لعودتها وفارضاً على الحليف مشرّف القبولَ باقتسامها السلطة معه!!

وكان من الطبيعي أن تلقى مزايدتها على تحالف مشرّف مع الولايات المتحدة صدى لدى الأخيرة، المأخوذة بذهول نحو هزيمتها الواضحة في أفغانستان البلد الجبلي الفقير؛ فبوتو سعتْ لأنْ تكون بديلاً أكثر (تبذلاً) في نشر (القيم) الغربية إن صح التعبير، أو تحقيق أهدافها إن أردنا المباشرة .

فقد سبقت بي نظير بوتو عودتها إلى باكستان بلقاء مع جوزيف بيدين النائب الديمقراطي، رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ، وعدد آخر من النواب، كاشفةً لهم عن أن " شراكة الإدارة الأمريكية مع رئيس باكستان برويز مشرف، في الحرب على الإرهاب كانت خاطئة من الناحية الإستراتيجية"، مضيفة حسبما ذكرت صحيفة " جارديان " البريطانية :

" مشرّف حاول إقناع العالم أنه الوحيد القادر على الوقوف في وجه وصول المتطرفين لقيادة الجيش الذي يمتلك السلاح النووي.. من وجهة نظري، إن دكتاتور الجيش مشرّف ساهم في زيادة حدة التطرف " .

ثم دغدغت بي نظير مشاعر الغرب المكلوم بالهزيمة التي مُنِي بها في أفغانستان بالقول: " إن المتطرفين لم يتمكنوا خلال فترة حكمها من الحصول على موضع قدم داخل باكستان " .

وكانت المفارقة فيما قالت بوتو المفارقة أن هؤلاء " المتطرفين " لم يمتلّكوا موضع قدم إبّان حكمها في النصف الأول من تسعينيات القرن الماضي بباكستان، بل استحوذوا على معظم أراضي أفغانستان المجاورة بدعم قوي من أجهزة استخبارات دولتها؛ التي لم تكن حينئذٍ رئيسةُ الوزراء بوتو أكثرَ من قشرة علمانية يابسة للحاء دولة ما يزال لها تقاطعٌ مع المقاتلين الأفغان في الجبال لأسباب دينية وإستراتيجية عديدة.

أما الشرعية التي حاولت بوتو أن تقدمها للوصول لسُدَّة الحكم مجدداً هي أنها تعادي النمط الديني المغذي لما بات هاجساً مفزعاً للغرب ؛ من ممانعة داخل أفغانستان وباكستان وخارجهما لمخططات هيمنته على المنطقة والعالم.

ولذا ففي معرض تسويقها لهذه (الشرعية)، أنكرت بوتو التوسع الذي كان سائداً قبل مجيء الرئيس الحالي برويز مشرف في إنشاء المدارس الدينية واعتبرتها محاضن تساعد على انتشار الإرهاب.

" ابنة القدر " حسبما خلعت على نفسها لقباً، هو عنوان مذكراتها التي نشرتها في العام ١٩٨٩، كان يفي لبوتو بحجم هائل من التماشي مع نزعتها التغريبية التي غذّتها إقامتُها الطويلة في الغرب ودراستها للعلوم السياسية والاقتصاد في جامعتي هارفارد وأكسفورد، وحياتها الخاصة والعامة المرتبطة عضوياً بالغرب وقِيَمِه

وأفكاره، ويجعلها قريبة جداً من أسلوبه البراجماتي المسترسل في عقيدتها نحو الميكيافيلية في أظهر صورها . فهي الجالسة تقرأ الفاتحة على أرواح القتلى من أنصارها بقرية باكستانية في أعقاب محاولة اغتيالها، وهي الداعية للديمقراطية وحقوق الإنسان، ودعم منظمات المجتمع المدني .

وفي الوقت ذاته، تضبط بوتو نغمةَ خطابها مع موجة قمعية يغذّيها النظام العسكري الذي تحالفت معه، والذي جاء على ظهر دبابة متنكرة لكل المبادئ الديمقراطية التي تنادي بها، ومتماهية مع خطها الذي عرفته بها باكستان في تعاملها مع العسكر التي لم تصطدم بهم يوماً. بوتو وإن تحاشت العودة قبل الانتخابات الرئاسية لكي تنفض يدها من نتائجها، غير أنها ستظل موصومة بعقد صفقة تمر فوق جسد الديمقراطية الباكستانية الهشة، وهي بذلك لا تخالف السياق الغربي في تعاطيه مع النظام العسكري في إسلام أباد، والذي سرعان ما غفر لمشرّف انقلابه على الشرعية الدستورية وخلعه رئيس الوزراء السابق نواز شريف في مقابل تسليم الولايات المتحدة الأمريكية ما تريد في باكستان، سواء من خلال الإطاحة بالحكم الطالباني في كابول، أو فتح ملفات عبد القدير خان أمام الغرب وتمكينه من التحقيق فيها.

وفي إطار الانتهازية السياسية، وفي محاولة لتأكيد أحقيتها بالدعم الأمريكي، وفي نوبة غزل استثنائية للغرب، وحتى ترفع سقف المزايدة لنهايته، راحت بوتو تكتب في الدوريات الأمريكية والبريطانية، في عزق منفرد على إيقاع الرئيس بوش ومنافقيه الجدد " محافظيه " !!

وفيما يلي أحد هذه المقالات التي كتبتها ونشرتها بوتو في هذا الصدد بعنوان: "حتى لا تنطلي عليكم الخدعة " وكان يعبر عن المزيد من الارتماء في الحضن الأمريكي . وتقول فيه :

" لم تكن الساحة الباكستانية على مفترق طرق كما هي في هذه الأيام، فهناك قضية تسريب الأسرار النووية، وهناك مستحقاته والأسئلة الكثيرة التي تصاحب قضية عالم الذرة عبد القدير خان، وهناك تنام في الاعتقاد بأن تنظيم القاعدة يعمل في باكستان بما يتبعه من تساؤلات حول وجود أسامة بن لادن... وهناك.. وهناك.

من جانبي وعلى صعيد قضية العالم عبد القدير خان، أعتقد أنه من غير المعقول أنه كان يعمل على هواه بقدر ما كان ينفذ تعليمات، لأنه لا يمكن لتصدير متسع للتكنولوجيا النووية من غير الجنرالات. بل إني لا أفهم قول مشرف بأن خان عمل ضد مصالح باكستان بتسويقه لتكنولوجيا الأسلحة النووية فيما تقاضى الملايين في هذه العملية، ومع ذلك يسميه بطلا.

وللعلم ففي باكستان اليوم مفهوم يرقى لدرجة القناعة بأن العالم خان يعيش إقامة جبرية انفرادية وضد رغبته منذ ديسمبر الماضي، وأنه قد تم الضغط عليه خلال تلك الفترة لأن يتصرف وفق المصلحة الوطنية، بمعنى أن يتحمل وزر كونه جزءا من عملية التمويه والتغطية التي صاحبت القضية، ومن هنا فهناك غضب واسع بأن الرجل قد دفع به ليكون كبش فداء.

ودوافع هذا الغضب مشروعة وطبيعية، لأن النبض العام هنا يقول بإن الجنرالات لم يخضعوا للمحاسبة، فيما يؤخذ المدنيون ككباش فداء لأخطاء العسكريين، كان ذلك مع القتال الذي دار في جيب كارجيل على حدود كشمير والذي قاد إلى ما يشبه الحرب النووية مع الهند مثلما قاد إلى العمق الإستراتيجي المدمر بالتحالف مع نظام طالبان في أفغانستان.

وأذكر في هذا الصدد أنني وحينما كنت رئيسة للوزراء من ديسمبر ١٩٨٨ إلى أغسطس ١٩٩٠ كنت قد منعت العلماء النوويين من السفر إلى الخارج من غير تفاصيل أمنية، وكنت بهذا لا أريد لعلمائنا أن يختفوا أو أن يجبروا على مساعدة

الدول الأخرى في بناء برامجها النووية. وفي دورة حكمي الثانية، وبالتشاور مع قادة الجيش، عينت عسكريا كبيرا على رأس مهام حماية وإدارة النظام، ومن هنا وبهذا توافرت عملية رقابة العلماء داخل المعامل فيما لا يتم السماح لهم بالسفر للخارج من دون مرافقة فتوافرت بمثل هذا الإجراء حلقة للرقابة داخلية مع أخرى خارجية.

إلى هذا الحد أعتقد أن هذا التنظيم للنظام النووي لا يزال ساريا إذا لم يكن قد ازداد قوة، فمن أين لتصدير تكنولوجيا نووية أن يحدث، ومن هنا يمكن القول إن إمكانية التصدير يمكن أن تحدث فقط إذا غيرت الحكومات من بعدي سياسة الأمن النووية وسمحت بالتسريب، أو إذا قرر قائد الجيش بأن يتحدى الحكومة ويتبع سياسته الخاصة، أو إذا قرر جهاز الاستخبارات تحدي الحكومة والمؤسسة العسكرية معا والمضي بتنفيذ عمليته السرية. ومن هنا فمن غير المقنع أن يكون بوسع فرد عالم، خاضع للرقابة ليلا ونهارا، أن يقوم بتصدير تكنولوجيا باكستان النووية.

وإلى ذلك أستطيع القول إن الخبرة قد قادتني إلى الاعتقاد بأن بعض الجنرالات طرف في شبكة سرية بموجهات عقائدية. وهي نفس العصابة التي سببت عدم الاستقرار للديمقراطية في باكستان، وهي نفسها التي ساندت طالبان في أفغانستان فيما ظلت متعاطفة مع أسامة بن لادن. وهي تعتقد هنا أن صدام الحضارات الذي تؤمن به سيتعزز إذا ما تمت إحاطة ومحاصرة العدو، وهو هنا الغرب وبصفة أكثر خصوصية أميركا، بدول عدوة تمتلك قدرات نووية. وفي ذهن هذه الشبكة أنه سبق لها أن هزمت دولة عظمى واحدة هي الاتحاد السوفياتي السابق في أفغانستان، وبالتالي فهي تريد هزيمة القوة العظمى الباقية، وإذا ما كان لهذه الشبكة، ومن وجهة نظرها، أن تحقق أو تجمع بعض الأموال، خلال هذا المسار، فلم لا.

وحينما أقول شبكة سرية، فلأنها لا تتكون من مجرد أعضاء بعينهم في جهاز الاستخبارات الباكستانية أو من المؤسسة العسكرية، وإنما من شبكة أكبر

من أناس في الجهاز المصرفي والقطاعات المدنية الأخرى أضف إلى ذلك أولئك الذين وظفناهم في عملية الجهاد الأفغاني بروابطهم مع الجنرال الرئيس السابق الراحل محمد ضياء الحق وهو الدكتاتور الذي حاول أن يستقدم قيم طالبان إلى باكستان.

وفي تقديري فمشرف هو الوجه الأصيل لهذه الشبكة، وهو يقول للغرب أنه سيهجم ويسحق المليشيات يوما ما، ويفعل ذلك اليوم، ولكنه يطلق سراحهم في اليوم التالي. إنه يحمي الشبكة الجهادية ليبقيها تحت أنف الغرب.

وإذا ما كان للجنرال مشرف أن يروج لنفسه كوجه للاعتدال كما يزعم، فلماذا لا يكون سعيدا بسحقي ولكن ليس حزبي، ومن هنا فاستنتاجي الوحيد هو أنه ضد السياسات التي أرسيناها ومارسناها والتي قامت على ضدية مع التطرف الديني الذي يفتح باكستان للمنظمات الإرهابية، لأن هذا ليس سيئا لباكستان فقط، وإنما للغرب أيضا وبنفس القدر، وللعلم، فتحت حكم مشرف تزدهر الآن المدارس الدينية فيما تموت الأحزاب السياسية، وهذا أمر يجب ألا يتم السماح باستمراره.

ومما يفزعني في هذه السياقات أن واشنطن ومعها بقية الغرب يدعمون ويساندون الدكتاتورية فيما هم غير قادرين على دعم ومساندة الديمقراطية في باكستان، وقد قاد فقدان ذلك الدعم للديمقراطية إلى الانهيار الداخلي في باكستان بما فيه، ووفق تقديرات برنامج الأمم المتحدة للتنمية، هجمة قوية لنسبة الفقر تسحق نحو ٤٢ في المائة من السكان. وإلى ذلك أضف أن مساندة الغرب لمشرف قادت في المقابل إلى تشبع الشبكة بالسلطة، الأمر الذي جعلها تشعر أن بوسعها الحصول على أي شيء والمضي في ذلك مع استغفال واشنطن، ومع كل ذلك فواشنطن لم تقل شيئا تجاه الانتخابات الأخيرة التي شهدت تلاعبا واضحا. ومن هنا يأتي المأزق الخطير والماثل والقائم، وهو أنه وبقدر ما ظلت السلطة مركزة في أيدي من لم يتم انتخابهم، ولا يمثلون إلا أنفسهم، وفي أناس لا يخضعون للمحاسبة، فإن تلك

السلطة تكون بالقطع رهينة سوء الاستخدام والتوظيف. وإلى ذلك وحين تتمركز السلطة بذلك الشكل المشار إليه، ومع بلد بموارد نووية، فإن المخاطر للعالم كله تكون مدمرة.

وأخيرا، فإذا ما نجح مشرف في سحق الأحزاب الديمقراطية فالبديل، وحتى بالنسبة لمشرف نفسه، سيكون القيادات الدينية. وإذا ما حدث ذلك فماذا سيفعل الغرب؟ وأشيرهنا إلى أن أميركا ارتكبت هذا الخطأ بالتسامح مع صدام حسين حينما حارب إيران. الآن، وإذا ما كان لها أن تسمح لبعض القيادات العسكرية الباكستانية أن تنجو، بعد ضبطها متورطة في الفضيحة النووية، فالتداعيات ستكون أفدح ومنذرة بكارثة. (إلى هنا انتهى مقال بوتو).

ويقول خبراء إستراتيجيون إن الولايات المتحدة عاجزة نظريا عن منع وقوع أسلحة نووية باكستانية في أيدي إسلاميين إذا ما خرجت الأزمة السياسية الباكستانية الراهنة عن السيطرة.

ولهذا السبب يعتبرون أن واشنطن لا تملك خيارا إلا أن تساعد في حل الأزمة السياسية وأن تبقي علاقاتها القوية مع النخبة العسكرية الباكستانية المقربة من الغرب، سواء بقي الجنرال برويز مشرف في سدة الحكم أم رحل.

وقال دانيال ماركي المخطط السابق للسياسات الحكومية في جنوب آسيا "ليس هناك من حل عسكري جيد على الإطلاق".

وأضاف إنه في حال استيلاء الإسلاميين على السلطة في باكستان، فإن الأمر سيكون بالنسبة إلى القوات المسلحة الأميركية أشبه "بكابوس مروع" إذا ما حاولت العثور على المواقع النووية الباكستانية وتأمينها، بسبب نقص معلوماتها الاستخباراتية عن هذه المواقع في بلد ذات مساحات شاسعة مثل باكستان.

وأضاف ماركي الذي كان سابقا مسؤولا في وزارة الخارجية الأميركية ويعمل اليوم في مجلس الشؤون الخارجية : "أن نكون متأكدين من قدرتنا على إيجاد هذه المواقع هو برأيي أمر غير واقعي" !!

وحذر من "سيناريو كابوس" مشيرا إلى ضرورة : "إقامة علاقات جيدة" مع الجيش كما هي الحال منذ أعوام.

وأضاف "علينا ألا نخدع أنفسنا بأنه يمكننا التعامل مع باكستان من دون التعامل مع جيشها وهذا لا يعني أن علينا دعم ديكتاتور" !!

وحذر من أنه : " إذا ما حاولت الحكومة الأميركية أن تتخلى عن مشرف فعليها أن تحذر من ألا يؤدي عملها هذا إلى الإطاحة بعلاقاتها مع المؤسسة العسكرية التي يقودها الرئيس الباكستاني، مشيراً إلى أن "هذا التوازن هو الصعب" !!

وقد يكون نائب مشرف في قيادة الجيش الجنرال إشفاق كياني الخلف البديهي له، ولكن خبراء أبدوا تشككهم في أن يتم انتقال السلطة العسكرية بين الرجلين انتقالا سلسا حتى وإن كان كياني يقيم علاقات مقبولة مع واشنطن.

لكن الجنرال مشرف الذي استولى على السلطة في ١٩٩٩ في انقلاب أبيض وأصبح حليفا رئيسيا للولايات المتحدة في الحرب على الإرهاب بعد اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، يشدد على أنه " ليس هناك ما يدعو إلى القلق " !!

وأكد مشرف في مقابلة مع إذاعة "فوكس نيوز" أن السلاح النووي الباكستاني تحت "السيطرة الكاملة"، لافتا إلى تطبيق تدابير أمنية مشددة تتعلق بهذه الترسانة النووية منذ عام ٢٠٠٠.

ومنذ فجرت قنبلتها الذرية الأولى في مايو ١٩٩٨، أصبحت باكستان تمتلك ٥٠ رأسا نووية بحسب التقديرات.

وبدوره شكك ليونارد سبيكتور نائب مدير مركز جيمس مارتن لدراسات منع انتشار السلاح النووي في معهد مونتيري للدراسات في كاليفورنيا، في وجود خيارات عسكرية أمام الولايات المتحدة في هذا الإطار.

وقال إن : "فكرة أننا سنتدخل بطريقة أو بأخرى هي احتمال مستبعد جدا" !!

وأوضح أن الحكومة الأميركية تبحث حتى الساعة عن ضمانة من مشرف بأن هرمية إمرته العسكرية فعالة وثابتة في حال حصول انتقال في السلطة.

وقال : "فقط إذا ما حصل انقلاب كامل في المجتمع ستكون هناك مشكلة. وحتى في تلك الحال، أعتقد أننا سنجد إطارا عسكريا مواليا يحمي الترسانة النووية".

أما أندرو كوش المحلل الأمني في شركة "سكرايب ستراتيجيز أند ادفايزورز" للاستشارات فيقول : " إن السلاح النووي الباكستاني موجود حتى الآن بين أيدي "نخبة شديدة الاحتراف مقربة من الغرب"، وضمن شبكة محمية.

وقال : "إن حركة طالبان، أو تنظيم القاعدة اللذين يقاتلان النظام في شمال غرب باكستان لن يتمكنا في حال سطتا على أحد مخازن هذه الترسانة من استخدامها لأن الرؤوس النووية محفوظة في أمكنة مختلفة عن تلك التي تحفظ فيها الأسلحة " !!

وقال : "عليك أن تسطو على مخزنين للحصول على الجزئين" المكملين للسلاح النووي".

وأضاف : إن العسكريين المسؤولين عن البرنامج النووي معروفون بكرههم للإسلاميين"!!

ولكنه أشار إلى أن بعض العلماء المرتبطين بالبرنامج النووي يعتقد أنهم يتعاطفون مع المتشددين وقد يسربون أسرارا نووية إلى الإرهابيين، أو إلى أنظمة معادية للغرب، حتى وإن لم يعمدوا إلى تهريب الأسلحة النووية.

وباكستان هي الدولة الإسلامية الوحيدة في العالم التي تمتلك سلاحا نوويا، واهتزت سمعتها بعدما تم الكشف عن أن "أب" قنبلتها النووية عبد القدير خان باع معلومات نووية سرية إلى كل من إيران وكوريا الشمالية " !!

وفي محاولة لإقناع إدارة الرئيس الأمريكي، جورج بوش، بدعم عودتها إلى السلطة قبيل الانتخابات الرئاسية الباكستانية، قالت رئيسة الوزراء السابقة، بنظير بوتو أيضاً أمام الكونجرس إنها الأقدر على مكافحة الإرهاب من الرئيس الحالي، الجنرال برويز مشرف.

وجاءت تصريحات بوتو خلال لقائها بجوزيف بيدين النائب الديمقراطي، رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ، وعدد آخر من النواب.

واعتبرت بوتو أن "شراكة الإدارة الأمريكية مع رئيس باكستان، برويز مشرف، في الحرب على الإرهاب، كانت خاطئة من الناحية الإستراتيجية".

ومضت موضحة أن "مشرف حاول إقناع العالم أنه الوحيد القادر على الوقوف في وجه وصول المتطرفين لقيادة الجيش الذي يمتلك السلاح النووي.. من وجهة نظري، فإن دكتاتور الجيش (مشرف) ساهم في زيادة حدة التطرف".

وحاولت بوتو، التي كان قد مضى عليها ٧ سنوات بالمنفى، التأكيد أنها أقوى من مشرف، بالقول إنها قادرة على تطهير المناطق القبلية، التي قال مسئولون أمريكيون إنها أصبحت معقلا لكل من تنظيم القاعدة وحركة طالبان.

كما زعمت أن "المتطرفين لم يتمكنوا خلال فترة حكمها من الحصول على موضع قدم داخل باكستان".

وحاولت نفي أي صلة لها بعبد القادر خان، الرئيس السابق للبرنامج النووي الباكستاني، والذي أقر في عام ٢٠٠٤ بترؤسه شبكة سرية تنقل الطاقة النووية من باكستان إلى كل من إيران وكوريا الشمالية.

وعن قدرتها على إدارة شؤون الحكم في حالة عودتها للسلطة، قالت بوتو: إن "الفترة الثالثة التي قد أحصل عليها وأنا فوق الخمسين، سأبذل فيها قصارى جهدي لكي أحقق ما لم أستطع تحقيقه".

ولم تستبعد بوتو أنها قد تُعتقل وتحاكم لدى عودتها إلى باكستان، لكن اعتبرت أنها ستلقى ترحيبا من الشعب.

و علقت صحيفة " جارديان" – آنذاك - إن بوتو تحاول إنقاذ سمعتها وتحسين صورتها لدى الولايات المتحدة بالتشكيك في قدرة الجنرال مشرف على التعامل مع القاعدة وطالبان.

ولفتت الصحيفة إلى تزامن تودد بوتو للكونجرس مع المعارضة الشديدة داخل باكستان لإعادة انتخاب مشرف رئيسا للبلاد في الانتخابات التي كانت مقررة يوم ٦ أكتوبر عام ٢٠٠٧، وكان مشرف – آنذاك – قد وقع على أوراق ترشحه للرئاسة فيها، وقال إنه لن يتخلى عن قيادة الجيش إلا إذا تم إعادة انتخابه.

و مما يؤكد على دهاء بوتو في استمالتها للأمريكيين يمكن العودة لما أثارته عملية اغتيالها ولا تزال من مخاوف في الأوساط الأمريكية .

نعم توارت رئيسة الوزراء الباكستانية السابقة وزعيمة المعارضة بنظير بوتو من المشهد الباكستاني، لتترك – من وجهة نظر الأمريكيين - فوضى سياسية وأمنية وإرثًا دامياً في البلاد التي تحتوي على ترسانة نووية يراها السياسيون والخبراء الغربيون "الخطر الأكبر" على الولايات المتحدة إذا ما وقعت في أيدي من تصفهم واشنطن بـ"المتطرفين"، في ظل عدم الاستقرار المتزايد الذي تشهده البلاد.

في المقابل، قلل خبير سياسي باكستاني هذه "الهواجس" الأمريكية، ورأى أنها تهدف في الأساس إلى التمهيد لتجريد باكستان من سلاحها النووي، وهي الدولة الإسلامية الوحيدة التي تمتلك هذا السلاح.

أما جوزيف سيرينسيون نائب رئيس قسم الأمن القومي والسياسة الدولية بمركز "التقدم الأمريكي" في واشنطن رأى أن اغتيال بوتو أفسح المجال "لأكثر التهديدات النووية خطورة على الولايات المتحدة وحلفائها"، على حد تقديره.

وقال في مقال له نشرته صحيفة "هافينجتون بوست" الأمريكية بعد ساعات من مقتل بوتو: "التهديد لواشنطن لا يأتي من العراق ولا إيران، بل من باكستان، فمع حكم عسكري غير مستقر ومواد كافية لصنع من ٥٠ إلى ١٠٠ قنبلة نووية، إضافة إلى تأثير قوي للمتطرفين الإسلاميين في البلاد والجماعات الأصولية مثل القاعدة الناشطة في المنطقة، فإن باكستان هي أخطر دولة على كوكب الأرض" بالنسبة للولايات المتحدة.

وأضاف سيرينسيون أن "الأسلحة النووية الباكستانية يعتقد أنها في مأمن، لكن عدم الاستقرار المتزايد في هذا البلد قد يؤدي إلى انقسام الجيش أو يشتت الوحدات العسكرية التي تحرس المواد النووية؛ لتفتح بذلك المجال أمام غارات من التنظيمات المتشددة المنظمة عسكريًّا".

وقبل أن يبرد دم بوتو، تصدر مقتلها تصريحات بعض مرشحي الرئاسة الأمريكية من الجمهوريين والديمقراطيين -على السواء- الذين حاولوا تصوير مدى "الخطر الداهم" لحالة عدم الاستقرار التي سيخلفها الحادث في "باكستان النووية" على الولايات المتحدة.

ونقلت وكالة الأنباء الفرنسية عن المرشح الجمهوري للرئاسة الأمريكية السناتور جون مكاين قوله: "إن جماعات الإرهاب الدولية التي لديها مكان إستراتيجي على أرض باكستان والترسانة النووية التي تحويها يلقي بتأثيراته على الولايات المتحدة وحلفائها".

أما المرشح الديمقراطي المخضرم السناتور كريستوفر أود فقال: "إنه من أول أولوياتنا هو التأكد من استقرار هذا البلد النووي الحساس".

التخوف الأمريكي عززه أيضًا توقعات رئيس معهد الشرق الأوسط في روسيا يفغيني ساتانوفسكي الذي قال: إن مقتل رئيسة الوزراء الباكستانية السابقة قد يؤدي إلى "وقوع الترسانة النووية الباكستانية في أيدي الإسلاميين".

وقال ساتانوفسكي في حديث للصحفيين في موسكو: "لقد تمت زعزعة الوضع في البلاد. أما وقوع الترسانة النووية الباكستانية في أيد الإسلاميين فيتعلق بعامل وحيد: هل سيتمكن برويز مشرف من الحفاظ على السلطة في يديه؟".

وتوقع ساتانوفسكي، بحسب موقع وكالة نوفوستى الروسية، أن تبدأ عدة قوى سياسية في اتهام برويز مشرف بمقتل بوتو، وسيحاول أنصار المقتولة على هذه الخلفية زعزعة الوضع، مما قد يسفر عن حرب أهلية واسعة.

وانتشرت أعمال عنف واشتباكات بين أنصار حزب الشعب الذي كانت ترأسه بوتو والشرطة الباكستانية في أنحاء عدة من البلاد عقب اغتيال زعيمة حزبهم.

ويرى ساتانوفسكي أنه في حال إذا تضافرت جميع الظروف ضد مشرف فمن المتوقع أن يحصل الإسلاميون ليس فقط على التكنولوجيات والمعدات، بل وعلى الأسلحة النووية الجاهزة.

غير أن المحلل الروسي شدد على أن "نحو عشرات القنابل النووية التي تحويها الترسانة الباكستانية في مأمن، طالما توجد تحت مراقبة الجيش".

ومن جهته، رأى المحلل السياسي الباكستاني مصباح عبد الباقي أن "الترسانة النووية الباكستانية ليست عرضة للخطر كما يصور الأمريكيون الذين يتحينون الفرصة لتجريد باكستان من ترسانتها النووية"، على حد رأيه.

وقال في حديث لإسلام أون لاين: "الولايات المتحدة تثير الشكوك حول الترسانة النووية الباكستانية كجزء من سياستها الرامية لنزع السلاح النووي من الدولة الإسلامية الوحيدة التي تمتلك هذا السلاح".

وأشار إلى أن الوضع الحالي في البلاد لا يرقى للتأثير على هذه الترسانة التي يحميها الجيش الباكستاني. وضرب عبد الباقي مثلاً بالهند الجارة النووية التي شهدت اغتيالات سياسية عديدة، ولم تتأثر قواتها المسلحة أو تنخرط في فوضى كما يتوقع الأمريكيون لباكستان.

وكان الرئيس الباكستاني برويز مشرف – في مزايدة أيضاً مع الأمريكيين الذين يبحثون له عن بديل " بوتو – كان قد أصدر منتصف شهر ديسمبر قبيل اغتيال بوتو قرارًا يقضي بوضع الترسانة النووية الباكستانية تحت إشرافه المباشر بدلاً من رئيس الوزراء، في محاولة منه لتعزيز موقفه تحسبًا لوصول حكومة معارضة له في المستقبل ولتبديد المخاوف الأمريكية.

وجاء قرار مشرف بعد تقارير غربية أظهرت قلقًا أمريكيًا من وقوع الأسلحة النووية في أيدي متشددين، كما كشفت عن وجود خطط أمريكية للتدخل في باكستان للاستيلاء على الأسلحة قبل أن يصل لها ما تسميهم واشنطن بالمتطرفين.

وكانت صحيفة "نيويورك تايمز" قد كشفت في وقت سابق أن إدارة الرئيس الأمريكي "جورج بوش" أنفقت ما يزيد عن ١٠٠ مليون دولار خلال السنوات الست الماضية على برنامج سرّي؛ لمساعدة الرئيس الباكستاني "برويز مشرف" في السيطرة على أسلحة بلاده النووية.

ونقلت صحيفة " إنترناشيونال هيرالد تريبيون " الأمريكية عن مسئولَيْن أمريكيين قولهما: إن المخابرات الأمريكية أعدت خطط طوارئ؛ للتدخل من أجل منع أي عملية سرقة للأسلحة النووية الباكستانية.

وقالت الصحيفة: إن المسئولين رفضا الحديث عن تفاصيل تلك الخطط لأنها سرية، ولكن عددًا من المسئولين السابقين قالوا إنها تضع تصورًا للجهود الرامية لإزالة الأسلحة النووية في اللحظة التي يخشى فيها أن تقع تلك الأسلحة في أيدي الإرهابيين.

ويقول مسئولون سابقون وحاليون في المخابرات الأمريكية: إن مصدر قلق أمريكا العميق يتمحور حول مدى استقرار الجيش الباكستاني وعدم انقسامه إذا ما تداعت أعمال العنف وانتشرت على نطاق واسع.

وفي نوفمبر عام ٢٠٠٧، حثّ المؤرخ العسكري ومهندس خطة تعزيز القوات الأمريكية المنفذة حاليًا في العراق، فردريك كيجان، الولايات المتحدة على دراسة إرسال "قوات من النخبة" إلى باكستان؛ للاستيلاء على أسلحتها النووية في حالة انحدار هذا البلد إلى هاوية الفوضى.

وذكرت صحيفة جارديان التي نشرت الخبر تحت عنوان "بوش يتسلم مخططًا للاستيلاء على الترسانة النووية الباكستانية"، أن كيجان تصور سلسلة من السيناريوهات الخاصة بباكستان، داعيًا البيت الأبيض إلى التفكير في خيارات متعددة للتعامل مع "باكستان مزعزعة".

وتشمل تلك الخيارات إرسال قوات من النخبة البريطانية أو الأمريكية؛ لتأمين الأسلحة النووية التي يمكن نقلها خارج البلاد، وأخذها إلى مخزن سري في نيو مكسيكو أو إلى "حصن ناءٍ" داخل باكستان.

والمعروف أن باكستان كانت قد دخلت نادي الدول النووية رسميًّا في عهد نواز شريف عام ١٩٩٨، وذلك بعد إجرائها تجارب نووية ردًّا على تفجيرات نووية هندية أجرتها الهند في ذلك العام !!

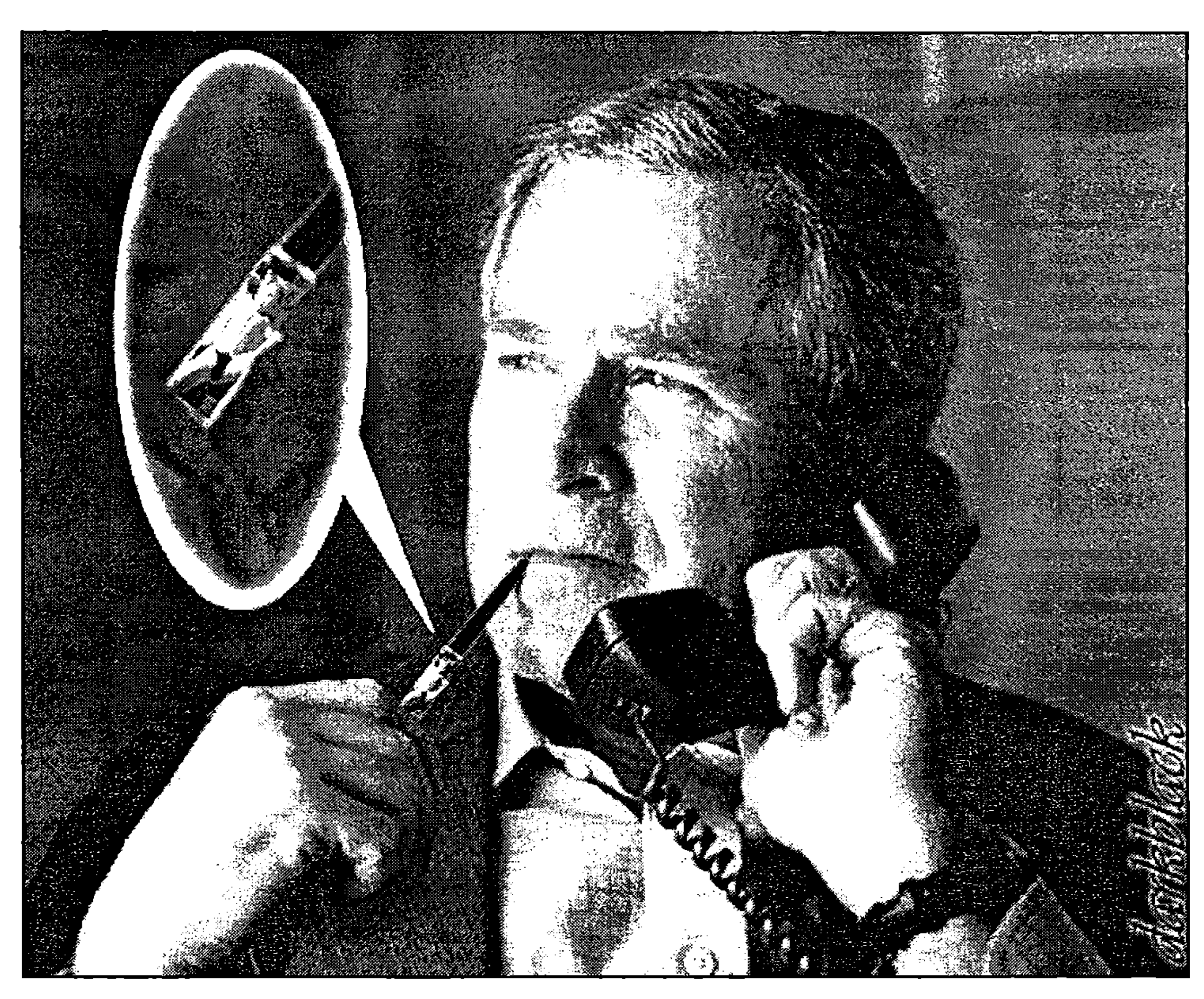
وعملت الولايات المتحدة لفترة طويلة من أجل إقامة تحالف بين مشرف وبوتو التي كانت مرشحة لتولي رئاسة الحكومة في عهده.

وهناك أسرار وأسرار يتم الكشف عنها كل يوم – منذ اغتيال بوتو – حول الدور الأمريكي في عودة بوتو إلى باكستان، وكيف أكدت إدارة بوش لمشرف دعمها له مقابل إعادة زعيمة حزب الشعب!!

و مفاد ما تم الكشف عنه أن قرار العودة إلى باكستان بالنسبة لـ بي نظير بوتو قد تحدد خلال مكالمة هاتفية جاءتها من كوندوليزا رايس وزيرة الخارجية الأميركية قبل أسبوع واحد من عودة بوتو إلى باكستان في أكتوبر عام ٢٠٠٧ .

وجاءت المكالمة تتويجا لجهود دبلوماسية سرية، وهي لم تجر إلا بعد تشكل قناعة عميقة بأن ابنة السلالة السياسية الأقوى في باكستان هي الوحيدة القادرة على دعم الحليف الأساسي لواشنطن في حربها ضد الإرهاب.

كانت نقطة تحول هائلة بالنسبة لبوتو، رئيسة الوزراء السابقة التي أجبرت على التخلي عن السلطة عام ١٩٩٦ وسط تهم بالفساد. وهي فجأة راحت تستقبل مسؤولين كبارا في وزارة الخارجية الأميركية أو تتناول العشاء مع سفير الولايات المتحدة للأمم المتحدة زلماي خليل زاد وتجتمع بأعضاء من مجلس الأمن القومي الأميركي. ومع بدء اهتزاز موقع الرئيس المقبل لباكستان برويز مشرف، أصبحت بوتو السياسية الوحيدة التي قد تساعده على البقاء في السلطة.



الرئيس الأمريكي بوش مهندس الصفقة المسمومة التي أودت في النهاية بحياة بوتو بعد أن أثارت عليها حفيظة الجميع وأصبح الجميع لديه الرغبة في تصفيتها جسدياً حتى لا تكون عقبة في طريق تحقيق مآربه وأهدافه الخاصة ومع ذلك فلم يأبه بمقتلها وواصل رهاناته على البديل !!

قال مارك سيغل، الذي شارك في حملة ضغط لصالح بوتو في واشنطن والذي شهد الكثير من الاتصالات وراء الكواليس: "وصلت الولايات المتحدة إلى قناعة أن بوتو لا تشكل تهديدا للاستقرار، بل هي طريق محتمل يمكن أن يضمن الاستقرار وإبقاء استمرارية رئاسة مشرف من دون أي ضرر".

لكن الدبلوماسية التي انتهت بطريقة حادة ومفاجئة مع اغتيال بوتو كانت دائما مقامرة كبيرة حسبما قال أعضاء كونغرس في الولايات المتحدة وبعض مسؤولي الاستخبارات ومحللون مستقلون. فعن طريق الدخول إلى " اللعبة الكبرى " الأسطورية لجنوب آسيا، جعلت الولايات المتحدة من أهدافها ومن حلفائها أكثر عرضة للأذى وأكثر ضعفا في بلد يقف أكثر من ٧٠٪ من سكانه ضد الولايات المتحدة.

وترك اغتيال بوتو مستقبل باكستان ومشرف على كف عفريت، حسبما قال بعض الخبراء. وأكد بارنيت روبن من جامعة نيويورك: " سياسة الولايات المتحدة في حالة تمزق. كانت إدارة بوش تعتمد عل مشاركة بي نظير بوتو في الانتخابات لمنح مشرف سلطة مستمرة كرئيس. والآن مشرف انتهى " !!

ويعكس اغتيال بوتو القوة المتزايدة وحجم التغلغل للقوى المعادية للحكومة في باكستان وهذه تفرض تهديدا وجوديا على البلد، حسبما قال الكسندر تيير المسؤول الأميركي السابق في الأمم المتحدة.

وأضاف: " الخليط الخطير من قوى عدم الاستقرار الموجودة في باكستان: طالبان والطائفية والنزعات القومية الإثنية، قابلة لأن تتفاعل بطرائق غير متوقعة لزعزعة وضع باكستان أكثر مما هو عليه الوضع حاليا " .

كانت عودة بوتو السياسية في طور التشكل خلال الأشهر الثمانية عشر الأخيرة. ففي منتصف عام ٢٠٠٦ بدأت بوتو ومشرف بالتواصل عبر وسطاء حول الكيفية

التي قد يتعاونان وفقها. وكان مساعد وزير الخارجية ريتشارد بوتشر غالبا الوسيط، حيث راح يسافر بانتظام إلى إسلام آباد للتحدث مع مشرف ثم يذهب إلى لندن ودبي للقاء بوتو.

وفي كتاب عن سيرته الذاتية صدر عام ٢٠٠٦: "على خط النار" كتب مشرف أن بوتو "حوكمت مرتين، وجرى تجريبها وفشلت ويجب عدم منحها فرصة ثالثة. بي نظير أصبحت رئيسة حزبها لمدى الحياة، ضمن تقاليد قديمة خاصة بالديكتاتوريين الأفارقة " .

وقد شكلت تلك الزيارة التي قامت بها بوتو إلى الولايات المتحدة في أغسطس عام ٢٠٠٧، والتي دامت ثلاثة أسابيع، نقطة حاسمة عندما تحدثت مرة أخرى إلى بوشر وخليل زاد، وهو صديق قديم. وكان خليل زاد، السفير الأميركي السابق في أفغانستان، متشككا منذ زمن بعيد بشأن مشرف، وعندما كان في كابل اختلف مع وزير الخارجية في حينه كولن باول حول ما إذا كان الزعيم الباكستاني مساعدا في القتال ضد طالبان. كما حذر من أن الاستخبارات الباكستانية تسمح لطالبان بإعادة ترتيب أوضاعها في مناطق الحدود، وفقا لما قاله مسؤولون أميركيون.

وعندما عادت بوتو إلى الولايات المتحدة في سبتمبر طلب خليل زاد أن يستقل معها طائرتها ليتوجها من نيويورك إلى أسبن بكولورادو حيث ألقى الاثنان خطابين. وقضيا كثيرا من رحلة الساعات الخمس بالطائرة وهما يبحثان في القضايا الاستراتيجية.

وقال أصدقاء إن بوتو طلبت مساعدة أميركية. وقال بيتر غالبريث، السفير الأميركي السابق وصديق بوتو من أيام الدراسة بهارفارد، إنها : " أوصلت الفكرة إلى إدارة بوش. لقد كانت رئيسة وزراء مرتين ولم تكن قادرة على تحقيق إنجازات كثيرة لأنها لم تمتلك السلطة على معظم المؤسسات الأكثر أهمية في باكستان، وهي الاستخبارات والجيش والمؤسسة النووية" !!

وقال غالبريث إنه : " بدون السيطرة على هذه المؤسسات لم تكن قادرة على تحقيق السلام مع الهند، وملاحقة المتطرفين أو نقل أموال من الجيش إلى البرامج الاجتماعية. وقد كان التعايش مع مشرف مهما لأنه يسيطر على المؤسسات الثلاث. وكان ذلك السبيل الوحيد لإنجاز شيء ما وخلق مركز معتدل" !!

وكانت النقطة الحاسمة التي أثرت على مشرف هي الزيارة التي قام بها مساعد وزير الخارجية جون نغروبونتي إلى إسلام آباد في سبتمبر قبل عودة بوتو بشهر واحد .

وقال بروس ريدل الضابط السابق في وكالة المخابرات المركزية والعضو في مجلس الأمن القومي، والذي يعمل حاليا في مركز سابان لشؤون الشرق الأوسط السياسية في معهد بروكنغز، قال : " إنه سلم رسالة إلى مشرف تقول إننا سنقف إلى جانبه ولكنه بحاجة إلى وجه ديمقراطي للحكومة، ونعتقد أن بي نظير هي الخيار السليم لذلك الوجه" .

وكان كثير من مسؤولي السياسة الخارجية متشككين بالخطة الأميركية. وقال ريدل إنه " كان هناك كثيرون داخل الإدارة وفي وزارتي الخارجية والدفاع والمخابرات ممن يعتقدون أن هذه فكرة سيئة من البداية لأن آفاق عمل الاثنين سوية لإدارة البلاد كانت صفرا من الناحية العملية" !!

واتصلت رايس، التي باتت معنية بالمراحل الأخيرة من التوصل إلى اتفاق، ببوتو في دبي وتعهدت بأن تتابع واشنطن العملية. وبعد أسبوع من ذلك وفي يوم ١٨ أكتوبر عادت بوتو. وبعد عشرة أسابيع قتلت!!

وقد أجمعت الصحف الأمريكية على أن اختفاء بوتو كان ضربة موجعة للرئيس بوش وإدارته، الذين كانوا يعلقون عليها أمالاً عريضة، وكافحوا لتمرير صفقة عودتها مع مشرف، الذي قبل على مضض، خشية لجوء الأمريكيين أنفسهم لتصفيته، وإفساح المجال لها قسراً !!

و ذكرت صحيفة "نيويورك تايمز" الأمريكية أن إدارة الرئيس جورج بوش هي الخاسر الأكبر جراء اغتيال "بينظير بوتو" رئيسة الوزراء الباكستانية السابقة، مشيرة إلى أن عملية الإغتيال هذه ضربت كافة الجهود الدبلوماسية التي تابعتها الإدارة الأمريكية بالعام الماضي لتحقيق المصالحة بين بوتو ومشرف، كما أن اغتيال بوتو مثّل ضربة كذلك للتدخل الأمريكي في شئون باكستان الداخلية.

وأوضحت صحيفة "نيويورك تايمز" أن الإدارة الأمريكية تعمل حاليًا على التعاون مع رئيس الوزراء الباكستاني السابق نواز شريف، حيث ذكرت أن مسئولين في السفارة الأمريكية بإسلام آباد تفاوضوا مع مسئولين سياسيين في حزب شريف، مشيرة إلى أن التفاوض امتد ليشمل مساعدين لشريف على علاقة بالإسلاميين؛ مما يدلل على الوضع الصعب الذي تمر به الإدارة الأمريكية حاليًا.

وتضيف أن اغتيال بوتو مَثَّل كذلك فشلاً لاثنين من أهداف الرئيس الأمريكي الأساسية في المنطقة، الأول: محاولته المزعومة لجلب الديمقراطية إلى العالم الإسلامي، والثاني تمثل في نزع القوة من الإسلاميين المسلحين والمنتشرين بكثافة بباكستان، مذكرة بأن باكستان مثلت نقطة البدء في معركة بوش ضد الإرهاب.

ويؤكد محللون أمريكيون أن اغتيال بوتو أكد عدم قدرة الولايات المتحدة على التعامل مع الشئون السياسية الداخلية لباكستان، ويقول ويندي شامبرلين السفير الأمريكي السابق لدى باكستان:" نحن لاعب رئيس في النظام السياسي الباكستاني، وهي ـ باكستان ـ مكان خطر وعنيف للغاية..فباكستان تشغل الآن أهمية كبيرة للولايات المتحدة أكثر من أي وقت مضى؛ بسبب كونها تتأرجح على حافة الفوضى الداخلية" !!

وتذكر الصحيفة بالجهود الأمريكية لإعادة بوتو إلى باكستان، والضغط على مشرف لجعله يقبل باتفاق تقاسم السلطة مع بوتو، ويصف مسئول أمريكي هذا

الاتفاق بقوله: لقد كان بمثابة وضع ثعبانين في قفص واحد. ويقول "تريسيتا شافير" الخبير في الشئون الباكستانية: لا أعتقد أن مشرف أراد أبدًا أن يشاركه أحد في السلطة.

وحتى قبيل اغتيال بوتو، كانت تأمل الإدارة الأمريكية أن تشكّل بوتو ومشرف تحالفًا مواليًا لواشنطن بعد الانتخابات القادمة، غير أن اغتيال بوتو قلب تلك الخطة رأسًا على عقب، بينما انتقد ستيفن كوهين من مؤسسة بروكنجز الإدارة الأمريكية لعدم دعمها لتيار معارض لمشرف ومؤيد لأمريكا عقب انقلاب مشرف في عام ١٩٩٩، إلا أنه أعرب عن تفاؤله بشأن إمكانية واشنطن إقناع الأطراف المعتدلة على التحالف مع مشرف، وتشكيل تحالف يحكم البلاد .

و يرى البعض أن ما كان يجري في باكستان قبل مقتل بوتو واحداً من المشاهد الهزلية التي تعبِّر عن استخفاف الساسة ـ الممسكين بخيوط الحكم ـ بعقول الشعب الباكستاني، ومن خلفه شعوب العالم الإسلامي؛ الذين يتابعون الحدث على أرض واحدة من أكبر وأهم البلاد الإسلامية.

ويقول هؤلاء إن الغريب أن الساسة في باكستان لا يملّون من تكرار ذلك المشهد الهزلي، ولا يستحيون من تمثيله بإتقان بين حقبة وأخرى.. وقد نذروا أنفسهم ـ من أجل غنيمة الحكم ـ ممثّلين لدى السيد الغربي الذي يتلاعب بهم أكثر مما يتلاعب بقطع الشطرنج! وقد لاحظت صحيفة «بوسطن جلوب» الأمريكية ذلك بالقول: إن ما يجري أشبه بمسرحية تجري فصولها باتفاق بين مشرف وبي نظير.

ويؤكد هؤلاء أنه ما إن أدرك الأمريكيون أن الستار راح يُسدَل على الرئيس الجنرال برويز مشرف وعصره، راحوا يفتحون الستار للمرة الثالثة عن بي نظير بوتو لتطل على الأمة الباكستانية بعد طول غياب وبوجه طلق، وبرنامج طموح، يدغدغ العواطف والمشاعر.

وكان يدير عملية إسدال الستار ثم افتتاحه آلة إعلامية غربية جبارة تمتلك أدوات السحر، وتصيب المرء بالسكرة، فلا يكاد يدرك شيئاً من تاريخ السيدة بي نظير المفعم بالفشل والفساد، بل يعميه – كما يقول أصحاب هذا الرأي – عن ماضيها الغابر فلا يكاد يراها إلا منقذاً جاء على «حصان أبيض»، من لندن رأساً ليغيث العباد من جبروت الجنرال الذي نصَّب نفسه منقذاً للشعب في انقلاب عسكري مريب على «نواز شريف» حدث في أكتوبر ١٩٩٩، يومها وهناك في باكستان شوهدت هالة الأمل الطموح التي حملها الجنرال إلى الشعب الباكستاني بعد التخلص من نواز شريف الذي ألقي به في المعتقل.

لكن كانت هناك حقيقة مهمة وموثّقة، مفادها أن الجنرال مشرف وصل إلى السلطة لتنفيذ أجندة غربية محددة ودقيقة، ملخصها: توجيه ضربات فعّالة لثوابت أو لمقدسات الشعب الباكستاني: المدارس الدينية.. المشروع النووي.. القضية الكشميرية.. طبيعة الدولة الباكستانية التي تقوم على أسس إسلامية واضحة.

لم يصدق كثيرون أن الجنرال مشرف يمكن أن يُقدِم على شيء من ذلك، لكن مسيرة ثماني سنوات من الحكم العسكري (أكتوبر ١٩٩٩م ـ ٢٠٠٧) شهدت بالفعل تنفيذاً دقيقاً لمعظم تلك الأجندة، فقد بدأ الرجل حكمه بتشكيل مجلس قومي أغلبه من العلمانيين وضم ثلاثة من القاديانيين (فئة ضالة)، وحاصر الرجل المشروع النووي، ووضع مؤسسه الدكتور عبد القدير رمز باكستان التاريخي قيد الإقامة الجبرية، أي منعه ـ على الأقل ـ من مواصلة مهامه وأبحاثه العلمية، وبالطبع شل حركة منظومة البحث النووي، ثم وجّه ضربات موجعة للمدارس الدينية أو للتعليم الإسلامي.

ولعل المجزرة التي ارتكبتها قوات الجيش داخل المسجد الأحمر (١١/٧/٢٠٠٧)، الذي يمثل أحد أهم المدارس الدينية، وما سبقها وتبعها من عرقلة وتصفية لسير العملية التعليمية والمناهج، بل والدارسين الأجانب فيها، يجسّد تلك الضربة القوية

للتعليم الديني في البلاد، مقابل فتح الطريق على مصراعيه لتعاون غربي أمريكي، بلغ حد الانصياع التام بدعم الغزو الأمريكي لأفغانستان في عام ٢٠٠١.

وبين هذا وذاك، تقدم مشرف بأكثر من مبادرة تصب في تصفية القضية الكشميرية، واليوم وبعد أن قطع مشرف شوطاً بعيداً في إنجاز هذه المهمة، وأفرغ كل ما لديه، كان عليه أن يرحل وسط هذا المشهد الدرامي، ووسط حالة خانقة في البلاد، تترقب التخلص منه حتى تلتقط أنفاسها.

والحقيقة أن نفس الأجندة فُرضت على نواز شريف، ولم يتمكن حينها من تنفيذها، وها هو ذا مشرف ينفذ جزءاً منها، ويتم إعداد المسرح للسيدة بي نظير لكي تكمل المهمة، لكن المطلوب التمهيد جيداً لقيادة الساحة بعد إخلائها جيداً من القوى الحقيقية، فقد تم وضع زعيم الجماعة الإسلامية قيد الإقامة الجبرية، وذلك بعد القبض على الآلاف من أنصاره وآلاف آخرين من المعارضين، بينما احتُجزت بي نظير في بيتها ساعات، ولم يُمس أحد من أنصارها، وأصبحت الشوارع والمنتديات خالية تماماً لمظاهراتها وخطبها، حتى تصل إلى الحكم وهي زعيمة!

الشعب الباكستاني كان يعلم إفلاس بي نظير، ولو كانت تستطيع فعل شيء لفعلت في وزارتها الأولى عام ١٩٨٨، لكن الرئيس غلام إسحاق خان أقالها عام ١٩٩٠، بسبب اتهامات واضحة بالفساد والتسلط، ثم عادت إلى السلطة عام ١٩٩٣، عبر تحالفات مع العسكر، مثلما يجري الآن، لقطع الطريق على الإسلاميين، لكنها فشلت ولم تحقق شيئاً، وطاردتها التهم نفسها.



الجنرال مشرف دكتاتور باكستان الذي أشارت إليه أصابع الاتهام في محاولة اغتيال بوتو رغم عودتها في إطار صفقة أمريكية معه !!

وقبل اغتيالها عادت بنفس الأجندة التي قطع مشرف فيها شوطاً لا بأس به، وكان مطلوباً منها - وفق كلام رئيس الاستخبارات الباكستانية الأسبق حميد جل -: الاعتراف بإسرائيل، والتنازل النهائي عن كشمير، وإيقاف المشروع النووي" .

الأخطر هنا أن الدولة الباكستانية منذ انفصالها كدولة إسلامية عن الهند عام ١٩٤٨، لم تهنأ بالاستقرار، فقد شهدت أربعة انقلابات عسكرية كان أولها بقيادة أيوب خان عام ١٩٤٨م، الذي انقلب عليه الجنرال يحيى خان، مما أدخل البلاد في حالة فوضى، أدت إلى انفصال بنجلاديش في ظروف مشابهة.

واليوم.. فإن حالة الاحتقان المتزايدة يمكن أن تؤدي بالدولة إلى طريق التفكك إلى كانتونات متحاربة وفق السيناريو الأمريكي الذي حدّد عام ٢٠٢٥ تاريخاً نهائياً

لإتمام ذلك، لتصبح باكستان الإسلامية قطعاً متناثرة ومتحاربة، بجوار الهند الهندوسيةِ القوية المتماسكة، وهو ذات السيناريو الذي يُعد لدول إسلامية أخرى من إندونيسيا إلى الشرق الأوسط ؟!

وهناك مقال كتبته بوتو قبل عودتها واغتيالها يوضح موقفها، وما كانت تنتوي في هذا الصدد، نشرته في صحيفة لوس أنجلوس تايمز الأمريكية يحدد موقفها من العلاقة مع الجارة الهند.. كتبت تقول قبل عودتها : " تتجه الهند وباكستان بعناد نحو نزاع خطير، فرائحة الحرب في الأجواء. ومرة أخرى، ها هي الولايات المتحدة ومعها المجتمع الدولي يواجهون مهمة وضع حد لما يمكن أن يصبح نزاعا نوويا. ومعروف أن العداء بين الهند وباكستان يتمحور حول النزاع بشأن المنطقة التي تعرف بجامو وكشمير، حيث كان سكان جامو وكشمير قد تلقوا وعدا من الأمم المتحدة بتقرير مصيرهم خلال موعد زمني لم يتم منذ ٥٠ عاما. فقد رفضت الهند إجراء استفتاء، خشية أن يقرر السكان المسلمون الانفصال عنها. فيما تؤيد باكستان التوجه الكشميري نحو الحرية.

الأزمة الأخيرة اندلعت عندما تنكر مسلحون من كشمير في هيئة جنود من الهند، وتعرضوا لمجموعة من النساء والأطفال بالبنادق والقنابل، في المنطقة المتنازع عليها. كانت الرسالة واضحة: إذا ما تمكن المسلحون من استهداف عائلات أفراد الجيش الهندي في منازلها، فسيكون من الصعوبة بمكان على الجنود الهنود الذين يتمركزون في خط المراقبة الذي يفصل بين البلدين، ان يردعوهم.

وتعتبر نيودلهي أن إسلام آباد تتحمل مسؤولية دعم المسلحين، لكن الأخيرة تنفي ذلك.

الجنود الهنود الذين شهدوا مصرع زوجاتهم وبناتهم وأولادهم يمارسون الضغط على الحكومة الهندية، وخاصة على رئيس الوزراء أتال بيهاري فاجبايي، من أجل فرض إجراء عقابي عبر انتقام عسكري يمكن بسهولة أن يتحول لحرب رابعة بين الدولتين المتجاورتين.

وكان رئيس وكالة المخابرات المركزية الأميركية جورج تينيت قد توقع اندلاع مثل هذه الحرب، عندما أدلى بشهادته أمام لجنة الشؤون العسكرية بمجلس الشيوخ، وقال: «إذا ما شنت الهند عملية هجومية واسعة النطاق باتجاه مناطق كشمير التي تسيطر عليها باكستان، فإن الاخيرة قد تنتقم باتخاذ الإجراء الذي تراه على اعتبار أن قدرتها النووية قد تضع حدا لمدى رد الفعل الهندي».

وكان الرئيس الأميركي بيل كلينتون قد وصف منطقة جنوب آسيا، قبل عامين، بأنها أخطر مكان في العالم. وخلال الأشهر الستة الماضية واجه الجنود الهنود نظراءهم الباكستانيين وجها لوجه على طول خط المراقبة. وقد جاء حشد القوات الهائل في أعقاب هجوم تعرض له مبنى البرلمان الهندي في نيودلهي.

والآن قررت الهند طرد المفوض السامي الباكستاني لديها. كما دعا رئيس الوزراء الهندي لـ«معركة حاسمة» ضد باكستان. وهي مؤشرات على أن طبول الحرب باتت تدق. في الوقت الذي تتعرض فيه مصالح المجتمع الدولي في المنطقة للخطر.

باكستان الآن تعد حليفا رئيسيا للقوات التي تتزعمها أميركا والموجودة في أفغانستان. وآخر ما ترغب الولايات المتحدة في رؤيته بالمنطقة أن تتأثر الحرب ضد الإرهاب بحرب أخرى بين الهند وباكستان.

ويبدو أن المسلحين قد نجحوا في تحويل الانتباه الذي كان منصبا على هجمات قوات التحالف ضد مقاتلي تنظيم «القاعدة» في مناطق القبائل التي تربط بين أفغانستان وباكستان. فالهجمات التي بدأت في كابل خلال شهر سبتمبر (أيلول) الماضي، في أعقاب اختطاف مسلحين لطائرات أميركية والتوجه بها نحو مركز التجارة العالمي، يمكن أن تتحول بسهولة إلى معركة من أجل مدينة سيرينغر أشعلها مسلحون عقدوا العزم على إثارة مواجهة هندية - باكستانية.

لقد ارتكب المجتمع الدولي خطأ فادحا عندما استنتج أن برويز مشرف يمكنه نزع فتيل الأزمة بين الهند وباكستان أو منع تطور موجة التشدد التي باتت الآن

تتهدد المنطقة. فالحاكم العسكري لباكستان، الذي اعتبره البعض رأس الحربة في الحرب ضد الإرهاب، بات الآن يغرق في رمال متحركة صنعها بنفسه.

فقد تميز عهده بنشوء التطرف وبالعسكرة والإرهاب والتوتر الإقليمي. ولم يستغل الفرصة في مدينة أغرا (الهندية) خلال عام ٢٠٠٠ ليوقع معاهدة بناء الثقة مع نيودلهي. كما أنه يتحمل مسؤولية التخطيط لنزاع كارغيل الذي أوشك أن يجر الهند وباكستان نحو الحرب خلال عام ١٩٩٩.

وسياسته آحادية المدى دفعته بعيدا عن القوى السياسية الداخلية الأمر الذي تسبب في إصابة البلاد بالعجز. وبالنظر إلى هذه الخلفية، فمن المستبعد أن تؤدي مقترحات الحوار إلى كبح جماح التقدم العنيد نحو الحرب والذي نشهده الآن. هناك وسيلة واحدة يمكن من خلالها منع الحرب تتمثل في تغيير نظام الحكم. فتغيير النظام في إسلام آباد يتيح فرصة وضع حد لمشاعر العداء والسماح لحكومة جديدة بأن تنهج بداية جديدة.

وهنا تبرز اهمية ما سيطرحه المجتمع الدولي وما ستتبناه القوات المسلحة الباكستانية بهذا الشأن. لان هذا هو الذي سيقرر ما اذا كان على مشرف الاستقالة من أجل تخفيف حدة الأزمة، أو أنه سيتمسك بالسلطة مستعرضا قدرته على التهديد بحرب نووية. خلال عام ١٩٧١، توجه مسؤولون كبار في الجيش الباكستاني إلى الحاكم العسكري حينئذ الجنرال أغا محمد يحيى خان، وأجبروه على الاستقالة بعدما عانت إسلام آباد من هزيمة عسكرية خلال حرب سابقة بين البلدين.

وقد مهدت استقالة يحيى خان الطريق لتشكيل حكومة جديدة. وتلك الحكومة وقعت اتفاقا شاملا خلال عام ١٩٧٢، الذي أدى إلى حالة سلم بينهما حتى قيامهما بتجربتين نوويتين خلال عام ١٩٩٨. ومنذ ذلك العام أوشك البلدان على خوض الحرب ثلاث مرات. الأمر الذي يعني بجلاء أن هناك حاجة ماسة لمعاهدة جديدة خاصة بمرحلة ما بعد التفجيرات النووية.

وتشير التقارير إلى أن جنرالات باكستان لديهم القدرة على الكلام. وكانوا قد عارضوا منذ البداية إجراء الاستفتاء المثير للجدل والذي سعى من خلاله مشرف لانتخاب نفسه رئيسا لباكستان. وبالتأكيد أنهم سيناقشون مسألة اندلاع حرب في جبهتين خلال نفس الوقت حيث يعاني رجالهم من التشتت في كل من جبهتي الحدود الشرقية والغربية.

وتبدو وجهة نظر حليف باكستان الرئيسي والقوي، ألا وهو أميركا، حيوية أيضا. حيث ظهر تأييد البيت الأبيض لمشرف. كما وصفه الرئيس بوش بصديقي.

والآن على أميركا أن تختار بين الرجل الذي تعتبره صديقا لها وبين المخاطرة بحرب محدودة قد تخرج عن السيطرة. ستفكر نيودلهي قبل أن تبدأ عملا عسكريا يفتقد لتأييد الولايات المتحدة. لكنها تحظى بحرية أفضل للتحرك مقارنة بما تمتعت به إسلام آباد خلال مواجهة كارغيل.

حينها تمكن الرئيس كلينتون من الاستفادة من الظرف الذي كانت تعاني منه إسلام آباد في علاقتها بصندوق النقد الدولي. أما الرئيس بوش فقد يصعب عليه الضغط على نيودلهي، لأن اقتصاد نيودلهي مستقل إلى حد كبير.

يمسك الرئيس بوش سلاحا واحدا يمكنه به ردع نيودلهي، ألا وهو التهديد باللجوء للوساطة الدولية من أجل قضية كشمير، حيث تعارض نيودلهي مثل هذا التدخل.

وإذا ما تعرض مشرف لهزيمة عسكرية فإن ذلك قد يسبب له مشاكل. وسيكون من الأفضل له وللمنطقة أن يوافق على تغيير النظام لمنع بداية أعمال عسكرية عدائية قد تؤدي إلى اندلاع كابوس نووي. كما أنه من الأفضل لنيودلهي أن تقبل بمثل تغيير النظام هذا للحفاظ على ماء الوجه بدلا من السماح بحرب محدودة قد تخرج عن السيطرة. وعلى نيودلهي أن تفكر في أن إسلام آباد قد تحقق تقدما في حرب محدودة من حيث الوقت والمساحة.

فقواتها المسلحة مجهزة بشكل جيد. وقد تتحول حرب محدودة إلى حرب طويلة وشاسعة الأمد وسط صيف ساخن ترتفع خلاله درجات الحرارة.

في شهادته التي أدلى بها أمام لجنة مجلس الشيوخ قال مدير وكالة المخابرات المركزية أن قرار تحويل إسلام آباد إلى حليف عقب هجمات الحادي عشر من سبتمبر «كان تحولا سياسيا أساسيا عن مخاطر موروثة». وهذه المخاطر تبدو الآن جلية مع توجه منطقة جنوب آسيا نحو حافة العنف في القريب العاجل. (إلى هنا انتهى مقال بوتو).



بوش نقل الرهان بعد اغتيال بوتو على مشرف مضطرا، ثم على نواز شريف بعد سقوط الأخير.. إنها اللعبة الأمريكية التي لا تنتهي !!

وهكذا نخلص إلى أن عودة بوتو واغتيالها هى جزء من سيناريو أمريكي قديم، أو بمثابة دواء أمريكي قديم في زجاجة جديدة، يتناسب مع انتهازية الزعماء السياسيين الباكستانيين عبر تاريخ هذه الدولة ومنهم بالطبع بي نظير بوتو !!

فقد استطاعت الأنظمة المتعاقبة في باكستان دائما أن تستفيد من التقلبات والتطورات الدولية والإقليمية بمثل ما لم تستفد أية أنظمة أخرى، سواء لنيل مشروعية كانت تنقصها أو إنقاذ الوطن من إفلاس اقتصادي أو تعزيز قدرات المؤسسة العسكرية أو نيل التأييد والدعم لسياساتها إزاء الجار الهندي، أو لتحقيق كل هذه الأهداف مجتمعة. فمثلا حينما روج الأمريكيون والبريطانيون لمشروع حلف بغداد في الخمسينيات، وجدت حكومة رئيس الوزراء الأسبق شهيد سهروردي فيه وسيلة لتعزيز قدرات البلاد العسكرية في مواجهة الهند والحصول على معونات مالية وفنية معتبرة، فقررت الانضمام إلى الحلف المذكور دونما اكتراث لمناشدات العديد من الدول العربية والإسلامية أو لمباديء إسلامية ألزمت باكستان نفسها بها وقت ولادتها.

وفي أواخر السبيعينيات، قام رئيسها الديكتاتور العسكري الجنرال ضياء الحق الذي كان نظامه يفتقد إلى الشرعية بخطوة مماثلة، وذلك حينما انتهز حدوث الغزو السوفياتي لأفغانستان لتحويل بلاده إلى جبهة رئيسية للجهاد ضد موسكو وحلفائها في كابول. فكان أن حصل نظامه على الشرعية معطوفة على مساعدات عسكرية ومالية ببلايين الدولارات من الغرب وبما ساعد على بقاء نظامه طويلا.

أما في بداية التسعينيات فتخلصت حكومة بي نظير بوتو من مشاكل ضعفها وانهيار الأوضاع الاقتصادية في البلاد وتراجع أهمية باكستان الاستراتيجية بفعل انسحاب السوفييت من أفغانستان وانتهاء الحرب الباردة بانضمامها سريعا إلى التحالف الدولي. وبذلك ضمنت المكافأة في صورة مساعدات عسكرية ونفطية ومالية كبيرة، وبالتالي نجحت في التغلب على مشاكل داخلية خطيرة.

وتكرر الأمر في أعقاب هجمات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ التي جعلت دوائر صنع القرار في واشنطون تهدد برد فعل يعيد باكستان إلى العصر الحجري باعتبارها حامية نظام طالبان الأفغاني والمساهمة الكبرى في استمراره كحاضن لجماعة القاعدة وحلفائها من المتشددين. حيث سارع نظام الرئيس الحالي الجنرال برويز مشرف إلى تغيير سياساته الأفغانية بمقدار ١٨٠ درجة والاستجابة لمطالب سبعة قيل إن نائب وزير الخارجية الأمريكي وقتذاك ريتشارد ارميتاج نقلها إلى رئيس المخابرات الباكستانية الجنرال محمود احمد الذي تصادف وجوده في واشنطون وقت هجمات سبتمبر، ومن بينها الانضمام إلى الحرب ضد الإرهاب في أفغانستان وغيرها.

وكالعادة لم يكن الانقلاب المثير في الموقف الباكستاني من حال إلى نقيضه دون ثمن. إذ استطاع مشرف بذكاء أن يستفيد من انضمامه إلى الحرب الأمريكية ضد الإرهاب في تعزيز شرعية نظامه وتمتين قدرات جيشه بأحدث الأسلحة الأمريكية والحصول على مساعدات وقروض وهبات بقيمة عشرة بلايين دولار مكنته من إنعاش الاقتصاد الباكستاني، إضافة إلى منع واشنطون من الرهان كليا على الخصم الهندي، وإقناعها برفع العقوبات عن مبيعات الأسلحة الأمريكية لبلاده وإدارة النظر بعيدا عن مشاريع باكستان النووية.

لكن مشرف العارف بأوضاع بلاده وما تعانيه من انقسامات سياسية وطائفية وعرقية وقبلية وجهوية حادة، وما تشكله هذه الانقسامات من تحديات تستوجب الحذر، حاول في الوقت نفسه أن ألا يتماهي كليا مع شروط ومطالب واشنطون.

فبينما كانت بلاده منخرطة رسميا في الحرب ضد الإرهاب كان جنرالاته يحيون روابطهم القديمة مع رموز طالبان، الأمر الذي مكن الطرف الأخير من مشاغبة الأمريكيين في أفغانستان وتحقيق انتصارات ضدهم، وبعبارة أخرى تصرف مشرف مع بقايا طالبان وتنظيم القاعدة بازدواجية، بمعنى أنه كان يتراخى

في ضربهم كلما شعر بأن النتيجة تكون تأليب قبائل البلاد البشتونية وأحزابها الأصولية المتعاطفة مع طالبان ضد نظامه، ويتشدد في ملاحقتهم كلما استشعر أن الحليف الأمريكي منزعج أو يهدده بحجب المساعدات، وهذه السياسة المراوغة عرفها الأمريكيون فكانت ردود أفعالهم قوية وتمثلت في أكثر من واقعة في إرسال مبعوثين إلى إسلام آباد لنقل رسالة واضحة إلى مشرف مفادها أنه لا يستطيع الحصول على مساعدات أمريكية إلا بانتهاج سياسات أكثر جدية في ملاحقة بقايا طالبان والقاعدة من الذين بنوا لأنفسهم معسكرات داخل الأراضي الباكستانية بدعم من قبائل الحدود الشمالية الغربية حيث لا وجود للسلطة المركزية.

بل وصل رد الفعل الأمريكي إلى التلويح بإمكانية خرق القوات الأمريكية المتواجدة على الجانب الآخر من الحدود لسيادة باكستان، وهو ما أشعل غضب جنرالات مشرف ضد واشنطون في سابقة لم تحدث سوى مرة واحدة من قبل في تاريخ علاقات واشنطون بالمؤسسة العسكرية الباكستانية وذلك حينما اصطدم الجنرال ضياء الحق بالأمريكيين بعيد انسحاب السوفييت من أفغانستان، حيث حاول ضياء الحق الحصول من واشنطون على ضمانات تؤهل بلاده للعب الدور الأول في تقرير الأمور في أفغانستان المحررة، الأمر الذي كانت واشنطون تعارضه بسبب تعارضه مع ما كان الأمريكيون قد اتفقوا عليه مع الرئيس السوفياتي وقتذاك ميخائيل غورباتشوف في جنيف.

لكن أين تكمن معضلة الأمريكيين في باكستان؟.. الجواب هو أهمية هذه الدولة بالنسبة لاستتباب الأوضاع في أفغانستان وتحجيم قوة الحركات الأصولية والإرهابية المتشددة، وإذا كانت العين الأمريكية على هذه الزاوية، فعينها الأخرى على قدرات باكستان النووية التي لو سقطت في أيدي الإرهابيين في حال انتشار الفوضى وانهيار السلطة في باكستان فسيكون ذلك بمثابة الكارثة للولايات المتحدة، فحينئذ من المتوقع أن تتقاسم المناطق الباكستانية بما فيها تلك التي يسيطر عليها أتباع طالبان والقاعدة ليس فقط ترسانة البلاد من السلاح النووي

وإنما أيضا خبرات علمائها الذين سيتوزعون طبقا لأصولهم العرقية والقبلية، وهذا تحديدا هو أكثر ما يرعب الأمريكيين خاصة وأن باكستان وهي تحت السيطرة والتحكم باعت أسرارا نووية إلى جهات كثيرة معادية في نظر الأمريكيين على نحو ما أفصحت عنه التحقيقات في قضية العالم النووي الباكستاني عبدالقدير خان، بل على نحو ما أفصحت عنه تقارير للمخابراتية الألمانية مفادها أن اثنين من زملاء عبدالقدير وهما الرئيس السابق لوكالة الطاقة النووية الباكستانية الدكتور سلطان بشير الدين محمود والدكتور تشودري عبدالمجيد زارا المدعو أسامة بن لادن داخل كهفه الأفغاني - مؤخرا لحثه على الحصول على السلاح النووي .

The Washington Post

On Day 2, Democrats See Change In Mukasey

Bombs Hit Convoy as Bhutto Returns





More Than 120 Killed, Hundreds Injured in Karachi; Former Pakistani Prime Minister Apparently Unhurt

Evangelicals Lukewarm Toward GOP Field

Putin Finds Expedient Hero In Four-Term U.S. President



Power Plant Rejected Over Carbon Output For First Time

State Dept. Urged to Shut Saudi School in Fairfax

الصحافة العالمية وقد أفردت صفحاتها الأولى لتغطية محاولة اغتيال بوتو الأولى والتى نجحت منها بأعجوبة.. هكذا يبدو الحال هنا في مانشيت صحيفة " واشنطون بوست " الأمريكية الرئيسي صبيحة المحاولة الفاشلة !!

ونظرا لذلك نشطت الدبلوماسية الأميركية مؤخرا من أجل تفادي مثل هذا السيناريو الخطير، وذلك عبر ضغطها على مشرف لتقاسم السلطة مع رئيسة الحكومة السابقة بي نظير بوتو المرغوب فيها أمريكيا بسبب توجهات حزبها (حزب الشعب) العلمانية والليبرالية.

والمعروف أن مشرفا رضخ لتلك الضغوط فعقد اتفاقا مع بوتو سرعان ما سقط على خلفية قراره المتسرع بفرض الأحكام العرفية في البلاد، وهو القرار الذي عارضته واشنطون رغم علمها أن صاحبه اتخذه للحيلولة دون وقوع ما تخشاه واشنطون وهو الفوضى، ومشرف المدرك جيدا لعدم وجود خيارات أخرى لواشنطون في باكستان سوى تأييد نظامه العسكري، وحاجة الأمريكيين لخدماته خاصة في هذا الوقت الذي تواجه فيه واشنطون مشاكل خطيرة في أفغانستان والعراق .

وتواجه فيه إدارة الرئيس جورج بوش سباقا رئاسيا صعبا، تصرف ضد كل النصائح والتحذيرات التي انهالت عليه من واشنطون ولندن بضرورة إعادة الحكم إلى المدنيين وإجراء الانتخابات النيابية القادمة في موعدها ورفع حالة الطوارئ، بل بدا أيضا مشاغبا بمحاولاته التفاهم مع خصمه اللدود رئيس الحكومة الأسبق نواز شريف غير المرغوب فيه أمريكيا، وذلك بتوسيط من تربطهم علاقات خاصة قديمة بباكستان وقياداتها وأحزابها الدينية والسياسية، وهو ما أثمر عن عودة نواز شريف من منفاه إلى باكستان مؤخرا.

لكنْ مشرف يبدو أنه لا يُعَوِّل كثيرا على عودة خصمه إلى البلاد لجهة تخفيف حدة الصراعات السياسية الراهنة كون نواز شريف ليس رقما صعبا فيها وحمايتها، ومن الأمور الأخرى التي لجأ إليها الأمريكيون لتفادي السيناريو المرعب المذكور آنفا، تلويحهم مؤخرا بضرورة أن تكون لهم سيطرة فعلية على ترسانة باكستان النووية، الأمر الذي أغضب جنرالات المؤسسة العسكرية ودفعهم إلى التصريح بأن قدرات باكستان النووية في مأمن وموجودة في أماكن لا يمكن حتى للأقمار

الاصطناعية الأمريكية أن ترصدها فكيف يمكن لأصوليين يعيشون في الكهوف أن يتمكنوا من الوصول إليها ويسيطروا عليها

والحال أن الأوضاع في باكستان سوف تستتب في نهاية المطاف للجنرال مشرف، الأمر الذي يعرفه مشرف عين المعرفة بناء على سوابق تاريخية مشابهة، فطالما أن المؤسسة العسكرية تتبعه ومخلصة له، فإن الأمور ستتوجه نحو الاستتباب، وإن أراد آخرون غير ذلك.

وفي هذا السياق لا بد من الإشارة إلى أن تأييد الجيش للرئيس عامل حاسم في باكستان، وهذا التأييد اليوم في أعلى درجاته بسبب، سعادة الجيش بما فعله مشرف ضد السلطة القضائية التي شاغبت المؤسسة العسكرية في مناسبات عديدة سابقة عبر إثارة قضايا فساد أو إفساد ضد جنرالاتها.

ويرى كثيرون، ومنهم أمريكيون، أنه قد آن الأوان لتغيير السياسة الخارجية الأمريكية تجاه العالم الإسلامي، وأنه يتعين أن يؤدي اغتيال بي نظير بوتو إلى وضع حد نهائي لسياسة إدارة الرئيس بوش المضللة، التي تحاول نشر الديموقراطية بالقوة في الشرق الأوسط والعالم الإسلامي.

فمنذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١، ليس هناك بلد واحد في المنطقة أجرى انتخابات هادئة وناجحة.

الدليل على ذلك أن شيئا من الأحداث الرئيسية مثل: انتصار حماس في غزة، انتخابات العراق، الصراع المستحكم بلبنان، والآن في باكستان لم يسفر عن الاستقرار، الحداثة والمجتمع المدني التي كانت الإدارة الامريكية قد وعدتنا بها من قبل.

فالقاسم المشترك الذي يجمع بين باكستان، غزة، لبنان والعراق اليوم هو الصراعات والحروب المستمرة، حروب بلا نهاية لا تؤدي إلا لقتل التحولات الديموقراطية.

ومن الواضح أن إدارة بوش مسؤولة - على نحو خاص - عن إثارة الفوضى العارمة القائمة الآن في باكستان، فهي التي فرضت مصالحة غير ناضجة بعد بيان الرئيس مشرف وبوتو، وهي التي فرضت عليه أيضا رفع قانون الأحكام العرفية، وأغدقت عليه الأموال كي يخوض حربا لم تكن يوما تحظى بالشعبية في باكستان. ويبدو أن الإدارة الأمريكية لم تستطيع أن تفهم أنها لا تستيطع الحصول على الديموقراطية والحرب على الارهاب معا في باكستان.

من ناحية أخرى، يمكن وصف رد الفعل الأمريكي الفوري على ما حدث في باكستان بالعميق.

فالفكرة السائدة بين الأمريكيين الآن هي أن «القاعدة» قتلت بوتو لانها كانت علمانية جدا ومقربة جدا أيضا من الولايات المتحدة، أي أنها عميلة للإمبريالية الأمريكية. لكن من الملائم إلى حد ما أن جبهات الحرب على الإرهاب تبعد عن أمريكا آلاف الأميال، وإننا نقاتل الإرهابيين هناك، وليس في مانهاتن، وأن هناك أبطالا مثل بوتو على استعداد للموت من أجل الديموقراطية والحداثة والعقلانية.

غير أن كل هذا لا يكشف الأسباب الحقيقية لما يحدث، فالمشكلة الحقيقية التي تقوض الديموقراطية في باكستان هي أنها بلد منقسم بعمق، أسسه البريطانيون خدمة لمصالحهم وليس لمصالح الباكستانيين.

فقد كانت باكستان المستقلة خاضعة على الدوام لحكم عسكري قوي.

لذا، لن تنضج الديموقراطية فيها إلا بعد أن تنتهي الحروب الدائرة عند حدودها، سواء كانت في أفغانستان وكشمير، وتنتهي بذلك الأسباب التي تدفع العسكر للتدخل في السياسة، وما لم يحدث هذا لن تزدهر الديموقراطية في باكستان أبدا.

المفارقة الأخرى التي يؤكدها اغتيال بوتو هي تبرير إدارة بوش بعد هجمات سبتمبر أنها ذهبت للحرب في العراق من أجل منع انتشار أسلحة الدمار الشامل.

لكن، وكما يتبين لنا اليوم، لم يكن في أفغانستان والعراق اللذين غزتهما أي نوع من مثل هذه الأسلحة.

وفعلت هذا واشنطن بينما كانت الأوضاع تتفاقم أمنيا في باكستان وإيران اللتين يمكن أن تهددا الولايات المتحدة يوما ما بما تمتلكانه من أسلحة نووية.

لقد حان الوقت كي يدفع الأمريكيون برئيس براغماتي جديد إلى البيت الابيض. فعندما قرر جورج بوش الأب ومعه جيمس بيكر ونورمان شوارزكوف الامتناع عن احتلال العراق في نهاية حرب الخليج عام ١٩٩١ كانوا يدركون أن فرض الديموقراطية على الطريقة الأمريكية لن ينجح.

وما يحدث في باكستان الآن يؤكد صحة هذا التحليل، فاغتيال بوتو لم يكن يستهدف فقط الإطاحة بنظام الرئيس مشرف، الذي تتعرض قيادته اليوم لأصعب اختبار منذ استيلائه على السطة، بل وكان أيضا محاولة لمنع عودة السياسة الديموقراطية إلى باكستان، فكل الدلائل تشير الآن إلى مسؤولية متطرفي القاعدة عن قتل بوتو، وهدفهم هنا - كما في العراق - استخدام الاغتيالات والتفجيرات الانتحارية لزعزعة استقرار البلاد ومن ثم فرض سلطتهم.

وهم يعرفون أن انتصار حزب الشعب، الذي كانت تقوده بوتو، في انتخابات يناير من شأنه - كما كان يأمل الغرب - أن يرسخ التحالف مع الرئيس مشرف، ويزيد الضغط على المتطرفين الإسلاميين ويمهد الطريق أمام الديموقراطية في باكستان.

لقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا تتطلعان إليها كزعيمة ليبرالية بمقدورها إصباغ صفة الشرعية للحرب على الإرهاب، التي يضطلع بها الجنرال مشرف.

وهكذا حدث ما لم يكن في حسبان الأمريكيين، فقد سقطت بوتو صريعة مضرجة بدمائها بعد أن ودعت أنصارها بواحدة من تلك الخطب النارية المليئة

بالتهديد والوعيد لكل من يخالفها الرأي أو المعتقد السياسي. ووريت الثرى، ودفنت معها كافة الآمال المعلقة عليها في حال فازت بالانتخابات.

وأُسقط بيد بوش ومن حوله من مستشارين، وأثبتت الأحداث أن رهاناتهم كانت على الدوام على أحصنة خاسرة، فأخذوا يخشون من حدوث فراغ سياسي يؤدي إلى صعود قوى المعارضة، خاصة الجماعات الإسلامية إلى مسرح الأحداث، مستغلين حالة الفوضى التي من الممكن أن تعصف بجميع المخططات الهادفة إلى إلحاق الهزيمة بحركة طالبان وامتداداتها عبر الحدود إلى الداخل الباكستاني.

وباكستان ليس بلدا مثل البلدان الأخرى. حيث إنه البلد الإسلامي الوحيد الذي سمح له بامتلاك الأسلحة النووية . . فما هو مصير تلك الأسلحة فيما لو تمكنت تلك المجموعات المتطرفة من استلام زمام الأمور في إسلام آباد.

وهكذا، ومع استبعاد مثل هذا الاحتمال إلا أنه أصبح يثير حفيظة صناع الاستراتيجيات في وزارة الدفاع الأميريكية " البنتاجون "، وإلى جانبهم ساكنو البيت الأبيض .

وأصبح مجرد التفكير بمثل هذه الأمور يجر عليهم الكثير من الكوابيس والهواجس المقلقة. وجاءت مسألة اغتيال بي نظير بوتو لتزيد الطين بِلَّة، فأصبح البعض يشطح في تفكيره إلى حد توقع رؤية المتطرفين، وقد أصبحوا يتحكمون بالزر الضاغط على زناد القنبلة الذرية. وهم المتأثرون بأطروحات الطالبان ومنظري تنظيم القاعدة، المتحصنون داخل الحواري والأزقة في البلدات والقرى المحاذية للحدود الأفغانية، وهي كوابيس وهواجس من الممكن أن تعتري الكثيرين بالرغم من عدم مشاطرتهم للقوة الأعظم أفكارها ومسؤولياتها بشأن كل ما يحدث في تلك البقعة من العالم.

وربما كان مرجع القلق والتخوف لدى الإدارة الأمريكية، وجورج بوش على وجه الخصوص نابعا في الأصل من أنها كانت تعول كثيرا على بي نظير بوتو من أجل تهدئة الأحوال، بعد مجمل التصرفات الاستبدادية التي أقدم عليها مشرف بدءا من إقصاء قضاة المحكمة العليا وانتهاء بتعليق الدستور، ومن المحتمل أن تكون قد خالجتها فكرة إقحام بوتو للعمل من الداخل بحيث تمثل ندا للجنرال لعله يخفف من غلوائه، وكان من الممكن أن تتحول الفكرة إلى اتفاق مصالحة بين القطبين. مصالحة كان مقدر لها أن تشكل بعدا تاريخيا فيما لو لم تتلاش إلى العدم بفعل تفجير انتحاري، وانعكست الآية نتيجة ذلك: فها هم أنصار بوتو ينظرون اليوم إلى مشرف كمحرض على القتل.

وغني عن التذكير أن بوش كان بعد أحداث سبتمبر قد اعتبر مشرفا من أقرب الحلفاء في الحرب على الإرهاب. وكان ذلك اختيارا منطقيا بالإضافة إلى كونه اجباريا. فمن غير دعم الباكستان كان من المستحيل التدخل في أفغانستان، حيث "عشعش" تنظيم القاعدة بعد أن حل ضيفا على طالبان. أو تواجد بحكم الأمر الواقع في تلك البلاد، كما أنه لم يكن هناك خيار بديل، بالرغم من أن الباكستان مع كونه حليفا لأمريكا، كان يمثل في الوقت نفسه الحاضنة الحامية لمختلف التنظيمات الجهادية المتطرفة، إضافة إلى عدم جدية الجيش وقوات حرس الحدود في إحكام السيطرة على المناطق القبلية المحاذية للحدود الأفغانية. علاوة على التراخي الملحوظ فيما يخص متاهات المدارس الدينية، التي تشكل الرديف الأقوى للإخوة الأفغانيين.

وعلى أية حال، ومهما يكن من أمر، فإن من الممكن القول إنه بعد مقتل بي نظير بوتو لم يبق أمام الأمريكيين سوى العمل على مراجعة حساباتهم، وفقا للمعطيات المستجدة، والنظر إلى مشرف كونه الشخصية البارزة المعتبرة الوحيدة، التي من الممكن الاعتماد عليها. فيكون هذا الجنرال المحترف قد كسب الجولة من جديد، ولو إلى حين .

وهكذا رحلت بوتو ضحية لارتمائها في أحضان الأمريكيين الانتهازيين، ودفعت حياتها ثمنا لوثوقها بهم، ولم تحمها تعهداتهم بسلامتها، وتوفيرهم لأفضل عناصرهم الأمنية لحراستها، رحلت بوتو ولم يبكِ عليها الأمريكيون وفي مقدمتهم الرئيس الأمريكي بوش ووزيرة خارجيته رايس !!

■■■



جان أريستيد..
غرام ثم انتقام!!



كان بمثابة الطفل المُدَلَّل لواشنطون.. نصبته حاكما لبلاده.. وعندما تمت الإطاحة به أقامت الدنيا ولم تقعدها، حتى أعادته إلى كرسي الرئاسة، ولم تتورع عن إرسال قواتها العسكرية كي تجبر المعارضة على إفساح الطريق أمامه لكي يعود إلى منصبه.. ولكن وحسب المبدأ الأمريكي الذي يقول " لا صداقة تدوم، ولا وفاء يستمر، المصالح تتغير والمواقف تتباين ".. وكالقطة تأكل أبناءها أكلت أمريكا حليفها التليد، بل نهشت لحمه، لدرجة أنه رفع ضدها قضية يتهمها باختطافه من بلاده بالقوة العسكرية، لأنها قررت أن تنصب عميلا آخر مكانه، ترى فيه رجلها في المستقبل، الذي سيسمح لها – وهذا ما حدث – باحتلال البلاد، بعد أن تجاوزت المرحلة الحليف السابق، ولم يعد لها مكان في استراتيجيتها الجديدة !!

تحتل جمهورية هاييتي الثلث الغربي من جزيرة هسبانيولا في «البحر الكاريبي». تبعد ٨٠ كلم من جزيرة «كوبا» شرقاً. عاصمتها بورت أوبرنس. يحدها «المحيط الأطلسي» شمالاً، «البحر الكاريبي» غرباً وجنوباً، و«الدومنيكان» شرقاً.

في عام ١٤٩٢ اكتشف كريستوف كولومبوس جزيرة اسمها هسبينيولا. استعمرها الفرنسيون عام ١٦٧٧ وفي ١ كانون الثاني عام ١٨٠٤ وبعد ثورة قادها أحد العبيد نالت استقلالها.

انقسمت هذه الجزيرة إلى دولتين هما دومنيكان وهايتي. في عام ١٨٣٨ اتحدت الجزيرتان وفي عام ١٨٤٤ انفصلت الجزيرتان ثم استولى عليها الفرنسيون وحكموها . وفي الفترة التي تمتد بين ١٩١٥ ـ ١٩٣٤ حكمتها الولايات المتحدة الأمريكية.

و في عام ١٩٥٧، وبعد استقلال الجزيرة، تم انتخاب الدكتور فرانسوا دوفالييه رئيساً للبلاد وأعلن نفسه رئيساً مدى الحياة. وفي عام ١٩٧٧ توفي دوفالييه وخلفه ابنه جان كلود ليصبح رئيساً للبلاد بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية.

في ٧ فبراير ١٩٨٦ قامت ثورة على نظام الرئيس ففر بمساعدة الجيش الأمريكي.

في عام ١٩٨٨ جرت انتخابات عديدة وقام الجيش بانقلابات عديدة حتى تسلم الراهب جان برتراند أديستيد زمام الحكم عام ١٩٩٠. جرى انقلاب عسكري هرب على أثره أريستيد إلا أن واشنطن أعادته للحكم وطردت الحكام العسكريين في يونيو١٩٩٣.

في يناير ١٩٩٢ أجريت انتخابات برلمانية قاطعها عدد كبير من الناخبين. وفي تموز وقع أريستيد والعسكر اتفاقاً لإعادة الرئيس المخلوع إلى السلطة لكن العسكر لم يتركوا الحكم. فقامت الأمم المتحدة بفرض حظر بترولي ومالي وتسليحي على هايتي في حزيران ١٩٩٣ واشتركت في تطبيقه معظم دول العالم.

وفي يوليو ١٩٩٤ صرح مجلس الأمن بغزو هايتي باستخدام قوات متعددة الجنسيات، وبينما كانت القوات الأمريكية في طريقها إلى هاييتي تم تجنب الغزو في أيلول إذ وقع العسكر على اتفاق جديد يقضي بتركهم الحكم على أن يستأنف أريستيد تولى السلطة، ونص الاتفاق كذلك على نزول القوات الأمريكية إلى أراضي هايتي كقوات سلام وكجزء من قوات دولية تولت المسؤولية اعتباراً من ٣١ مايو ١٩٩٥. وتخلى العميد سيدراس عن السلطة وانسحب إلى بنما، وعاد أريستيد الرئيس المنفى إلى الحكم.

كان ما حدث يمثل موقفا أمريكيا صلبا يستهدف دعم رئيس باستخدام القوة العسكرية، ونادرة بالنسبة لعلاقة واشنطون بدولة صغيرة مثل تاهيتي . فمنذ ٢٠٠ عام، رفض الرئيس توماس جيفرسون الاعتراف بهاييتي كأول جمهورية سوداء وثاني أقدم جمهورية في نصف الكرة الأرضية. وفي أوائل ١٧٩٠، وبإلهام من الثورة الفرنسية، قاد توسان لوفرتير، أحد العبيد السابقين، ثورة وأطاح بأسياده الفرنسيين.

وفي ١٨٦٢، تقريبا اعترف إبراهام لنكولن أخيرا بهاييتي. وفي ١٨٨٨، بدأت الولايات المتحدة عادتها في التدخل عندما ردت القوات الأمريكية على قبض سلطات هاييتي لسفينة أمريكية رست بشكل غير شرعي على سواحل هاييتي.

وفي ١٨٩١، اجتاحت القوات الأمريكية سواحل هاييتي، "لحماية أرواح وممتلكات الأمريكيين عندما أصبح العمال الزنوج خارج السيطرة".

وقد نشر الرئيس الأمريكي الراحل وودرو ويلسون قوات المارينز في ١٩١٤ ومرة أخرى عام ١٩١٥ "للمحافظة على النظام أثناء فترة من العصيان المسلح المزمن والخطير". ظلت هذه القوات كقوة احتلال طوال رئاسة وارين هاردنج، وكالفن كولدج، وفرانكلين روزفلت.

وفي ١٩٣٤، أنهى فرانكلين روزفلت عقدين من الاحتلال بتسليم مقاليد الحكومة إلى طغمة نهبت البلد حتى قام فرانسوا دوفالييه المعروف باسم " بابا دوك"، بانقلاب عسكري في ١٩٥٦، وأعلن نفسه رئيسا مدى الحياة.

وأقام بابا دوك ديكتاتورية وحشية تدعمها فرقة حرس مرتزقة على شاكلة الحرس الإمبراطوري الروماني. وحل جان كلود أو بيبي دوك دوفالييه مكان والده بعد وفاته حتى الإطاحه به عام ١٩٨٦، وكلاهما تشدق بخطاب معادٍ للشيوعية، وعامل شعبه بوحشية وتلقى الدعم من الولايات المتحدة.

وفي ١٩٩٠، تم باكتساح انتخاب أهالي هاييتي كرئيس للبلاد جان برتراند أريستيد، الراهب الشعبى الكاثوليكي. خدم اريستيد لمدة تسعة أشهر قبل أن يطيح به انقلاب عسكري، قاده الجنرال راؤول سيدراس.

وفي عام ١٩٩٤، أرسل الرئيس الأمريكي بيل كلينتون بقواته لإعادة أريستيد كرئيس.

الغريب أن السيناريو سيتكرر وإليكم القصة العجيبة .في يوم الأحد ٢٩ فبراير ٢٠٠٤، اضطر جون بيرتراند أريستيد الاستقالة من منصبه كرئيس لجمهورية هاييتي، وهرب بالطائرة إلى مكان مجهول، وبعد أيام قليلة شاع الاضطراب والفوضى بالبلاد، وانقلب الشعب على نظامه الذي انتشرت فيه الرشوة على نطاق أوسع . غير أن الولايات المتحدة والتي بدأت تعتبر أريستيد ندا لها في جزر الكاريبي، قد سهلت من عملية رحيله، ولجأت كل من واشنطن وباريس إلى إرسال قوات لحفظ السلام دون إنتظار مجلس الأمن وتصويته على قرار إرسال قوات متعددة الجنسيات لحفظ السلام هناك . هكذا كان السناريو لكن الحقيقة غير ذلك تماما!!

الأب جون أريستيد انتخب بأغلبية كبيرة تقدر ب ٪ ٥ ،٦٧ من الأصوات عام ١٩٩٠ .فقد اعتبر إذن أول رئيس شرعي منتخب ديمقراطيا في البلد .بعدها اختار أريستيد تعيين " ريني بريفال " كرئيس للوزراء .لكن وصول أحد مناضلي "التحررية المسيحية" إلى سدة الحكم في أقرب جزيرة إلى كوبا، شكل إخفاقا كبيرا للاستراتيجية الأمريكية الساعية إلى تقليم أظافر الشيوعية بجزر الكاريبي.

ثمانية أشهر بعدها، تم قلب حكم أريستيد من طرف الجنرال " راؤول سيدراس " ومايسمى بال " فراب" أجهزة القتل العسكرية التابعة ل " لويس جوديل شومبلان"، والمدعومة من طرف إدارة بوش الأب. ومن أجل تبرير هذا الانقلاب، البوتشتيون أعلنوا رسميا بأنهم قد حرروا الشعب من خطر حكم دكتاتوري كان يهدد حقوق الإنسان بالبلد .تلك التهم التي لم تقم على دليل قاطع، والتي ثبت زيفها فيمابعد .

وفي منفاه بالولايات المتحدة، عمل أريستيد على مساعدة بلاده " الجمهورية السوداء" ،لكن جهاز المخابرات الأمريكي ومن أجل تجريده من شرعيته، حاول إظهاره على أنه شخص مريض مختل عقليا، وقد نشر له ملفا طبيا عن صحته النفسية والعقلية .والذي اتضح فيما بعد أنه كان ملفا ملفقا ومصطنعا.

ومع الأيام تزايدت شعبية أريستيد في الأوساط الشعبية الأمريكية السوداء ،في نفس الوقت الذي تصاعدت حملة الانتقادات للنظام العسكري الحاكم بهاييتي، مما أدى يالرئيس الأمريكي " بيل كلينتون " إلى التخلي عن تلك السياسة القمعية التي عرفها نظيره السابق، وشرع في مفاوضات بين واشنطن واريستيد للوصول إلى حل مشترك .مفاوضات تعهد فيها واشنطن بتنحية الحكم العسكري وعودة اريستيد إلى الحكم، مقابل أن يتعهدت هذا الأخير بأن لايدعم حركة الطبقات الكادحة الاحتجاجية، وأن يسعى لتقريب الأغنياء من الفقراء، وأن لايصور الرأسمالية لدى الرأي العام الهاييتي على أنها " الخطر القاتل "، وأن يتعهد بتطبيق توصيات صندوق النقد الدولي

على هذا الأساس، عاد أرستيد إلى الحكم عام ١٩٩٤ مع بضائع الجنودالأمريكان في عملية سميت " إحلال الديمقراطية "، ويبدأ في احترام تعهداته لواشنطن، وخيانة واجبه نحو منتخبيه على حد تقدير وجهات النظر المختلفة .الدستورالهاييتي وقتها لم يكن يسمح بالترشح مرتين متتابعتين للحكم، مما مكن الوزير الأول السابق " ريني بريفال " من الترشح والفوزبنسبة ٨٨ ٪ من الأصوات. و"ريني بريفال" لم يكن مناصرا لتوجهات أريستيد، حيث ابتعد كثيرا عن الفلسفة الليبيرالية .

في أكتوبر ٢٠٠٠، ثلاثة عشر من الضباط المدربين بالأكواتور يستغلون فرصة سفر ريفال إلى آسيا لإنجاز محاولة انقلابية ضد حكمه، لكنها باءت بالفشل .زعيم الانفلابيين الأنيق " جي فيليب" لجأ إلى السفارة الأمريكية بالعاصمة

الهايتية "بور أو برانس". ومع توقف عهدة حكم " بريفال " يتقدم أريستيد مرة ثانية إلى الحكم ويفوز باغلبية ٩١ ٪ من الأصوات في أجواء جد مضطربة وبنسبة غياب تصويت معتبرة .

وهذه المرة يتخلى عن سياسته المعادية للأمريكان، ويطالب فرنسا بمبالغ مالية قدرها ٩٠ مليون فرنك كتعويض من فرنسا مقابل مااستلبته فرنسا من هاييتي مقابل استغلالها من عام ١٨٢٥ إلى ١٨٨٥ .

إدارة بوش الابن قررت بعدها قلب حكم أريستيد نهاية عام ٢٠٠٢ ،متقاربة في هذا القرار مع السياسة الفرنسية، في سياق سعي القوتين العظميين الدائم للسيطرة المشتركة على جزيرة هاييتي .لكن باريس لاتأخذ موقفا من التطورات بهاييتي إلا مع صيف ٢٠٠٣ .مامهد لمخطط انقلابي يتم تنفيذه لاحقا.

و كانت مراحل تنفيذ الانقلاب كما يلي : الخطوة الأولى: زعزعة الاستقرار " ديمقراطيا ".. على الجانب الأمريكي، الهيئة الوطنية للديمقراطية " النيد " خلقت " معارضة ديمقراطية " وذلك بتمويل مجموعات من " المجتمع المدني "، ونائب الأمين العام للدولة " روجيه بورويجا " وضع فريق عمل يسعى إلى " إرساء الديمقراطية " بمعهد " بروكينغ انستيتيشين " .

الخطوة الثانية : الضغط السياسي على الجانب الفرنسي، العملية مسيرة من قبل " ريجي ديبراي " و" فيرونيك البانيل"، وتجلى هذا التدخل في رئاسة جمعية " الإخوة العالمية " والتي تقوم بنشاطات اجتماعية في هاييتي بالتنسيق مع الكنيسة الكاثوليكية، وهي بمعنى آخر أخت السيد "دومينيك جالوزو دو فيلبان " وزير الخارجية الفرنسي، وزوجة الجنرال المسؤول عن قسم الطيران " بودوان ألبانيل".



الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون يصافح أريستيد في البيت الأبيض بعد أن أعاده للسلطة في هاييتي وقبل انقلاب بوش عليه !!

وفي ١٥يوليو ٢٠٠٣ ،"أندري أبيد " الممول السابق لحكم" الديفاليه " الدكتاتوري، يصبح مدير مجموعة الـ١٨٤، وفي محاولة استفزازية منه لأريستيد، قدم أندري إلى بلدة موالية لحكم أريستيد قاصدا بلبلة الوضع بين أهاليها مما أدى إلى مشاداة دامية طلب اثرها أندري الحماية الفرنسية والتي أنقذتها عن طريق إرسال الحرس العسكري بحضور السكرتير الأول "ستيفان غامبرغ"، وكان متوقعا سقط حوالي ستة قتلى وأربعين جريحا في الشجار الدائر، واتهم شهود عيان الحرس الفرنسي بمسؤوليتهم عن القتل، الأمر الذي نفته السفارة.

وفي ١٧ ديسمبر ٢٠٠٣، تقدم "ريجي دبراي" إلى القصر الرئاسي الهاييتي لاجبار أريستيد على الاستقالة، لكن هذا الأخير رفض .فتوجه حينها " دبراي " و"فيلبان ألبانيل"بتصريحات إلى الشعب .

أيام قليلة بعدها،وفي تقرير لدومينيك فيلبان، نقرأ (لاندفع ثمنا للكلمات، رحيل الرئيس أريستيد لن يعيد الأمن والاستقرار إلى البلاد بين عشية وضحاها، ولن يرجع البلاد أكثر إنتاجا).. (الكثير يتصورون الصراع في المكان الذي يوجد به فعلا التكامل" بين فرنسا والولايات المتحدة"، وإذا كانت وسائل تأثيرنا لا تتضاد، فهي تتكامل من أجل مصلحة الشعب الهاييتي، ويجوز ربما لرئيس الجمهورية، أو في كل الحالات لوزير الخارجية أن يدخل للعبة السياسية معايير هذه النظرة وعلى مستوى أفضل .ولايمكن أن تكون هناك مصادمة لمصالح الولايات المتحدة، لكن أن نتعايش في أجواء التوازن والاستشراف الإيجابي للمستقبل).

باختصار،المهمة كانت واضحة وهي قلب حكم أريستيد، والدفاع عن مصالح الإمبراطورية الأمريكية من طرف الإمبراطورية الفرنسية الصغرى، لكن بعد الأزمة العراقية، وفي سياق التحالف الفرنسي الألماني في أوروبا، برلين يتوجب عليها الالتحاق بهذا التقارب الفرنسي الأمريكي، وأن تجد مصلحتها كإمبراطورية صغيرة ناشئة . (لايمكننا عدم التفكير في المصالح الإيجابية

التي يمكن أن يؤدي إليها فتح مطار العاصمة" بور أو برانس " والتي قد تكون بمثابة تقارب سياسي بين فرنسا والجمهورية الفدرالية الألمانية، في الوقت الذي يتم فيه في الطرف الآخر من المحيط الأطلسي استئناف مهام فرنسية ألمانية مشتركة في الـ"الويندهوك"،ناميبيا وغيرها).

وتضغط الولايات المتحدة وفرنسا على مختلف دول المنطقةمن أجل أن لاتشارك في احتفالات السنة المئتين ٢٠٠ لقيام " أول جمهورية سوداء بأمريكا" ،يوم أول يناير ٢٠٠٤ ،ووحده رئيس دولة جنوب أفريقيا " ثابو مبيكي" من عارض رغبة القوتين العظميين بحضوره الاحتفالات .

وفي يوم ٢ يناير، قدمت مجموعة الـ١٨٤، مقترحا انتقاليا يستشرف رحيل أريستيد .وفي يوم ٧يناير اندلعت مظاهرات مندددة .وفورا اتهمت واشنطن الحكومة بأنها لم تكن ديمقراطية .وفي يوم ١٢ يناير رفضت المعارضة تعيين ممثليها للجنة الانتخابية ،مما يعني أن أريستيد لايمكنه تنظيم الانتخابات .ليتم اتهامه هو حينها أن لايريد فعلا تنظيم الانتخابات وأنه يعمد إلى تثبيت نظام دكتاتوري .

الخطوة الثالثة : زعزعة الاستقرار" عسكريا "من خلال عملية خلق معارضة "ديمقراطية" والضغوطات السياسية ضد هاييتي، يبدو أنها لم تكن كافية، ولهذا وضعت واشنطن على الميدان مجموعة مسلحة بجمهورية " الدومينيك "، تحت قيادة "جي فيليب". وتمت السيطرة على عدة مدن من طرف المتمردين الذين يهددون بالزحف على العاصمة "بور أو برانس"هؤلاء المتمردون رفضوا كل مقترحات السلام الموجهة إليهم، سواء تلك التي دعا لها الـ " لبيسكوبا "أو تلك التي دعت إليها منظمة دول أمريكا.

روجيه نورييجا والمعارضة " الديمقراطية " بقت على اتصال دائم مع سكرتير الدولة كولن باول، ومن أجل بقائها قادرة على تسيير الحكم دون أن تتم مجابهة مصالحها، فضلت هذه المعارضة البقاء في منأى عن تعليمات كولن باول وإدارته.

في ٢١ فبراير، مخطط التسوية المقترح من قبل المجتمع الدولي تم قبوله من طرف أريستيد لكنه قوبل بالرفض من طرف المعارضة التي بقت تلح دوما على رحيل الرئيس أريستيد .

وفي٢٣ فبراير، اجتازت مجموعات مسلحة الحدود على الجانب من " لويس جوديل شامبلان "، وكالة الأنباء الفرنسية علقت على الحدث قائلة " في ميناء بور أو برانس، اعتقد الكثير أن جيش الدومينيك فسح المجال لمرور قدامى الحرب الهايتيين بتصريح من الولايات المتجدة، والتي مولت كل عتاده العسكري، وتتمتع بعلاقات جيدة مع قيادته العسكرية السياسية .جمهورية الدومينيك هي البلد الوحيد الذي أرسل ٣٠٠جندي إلى العراق بطلب من واشنطن .

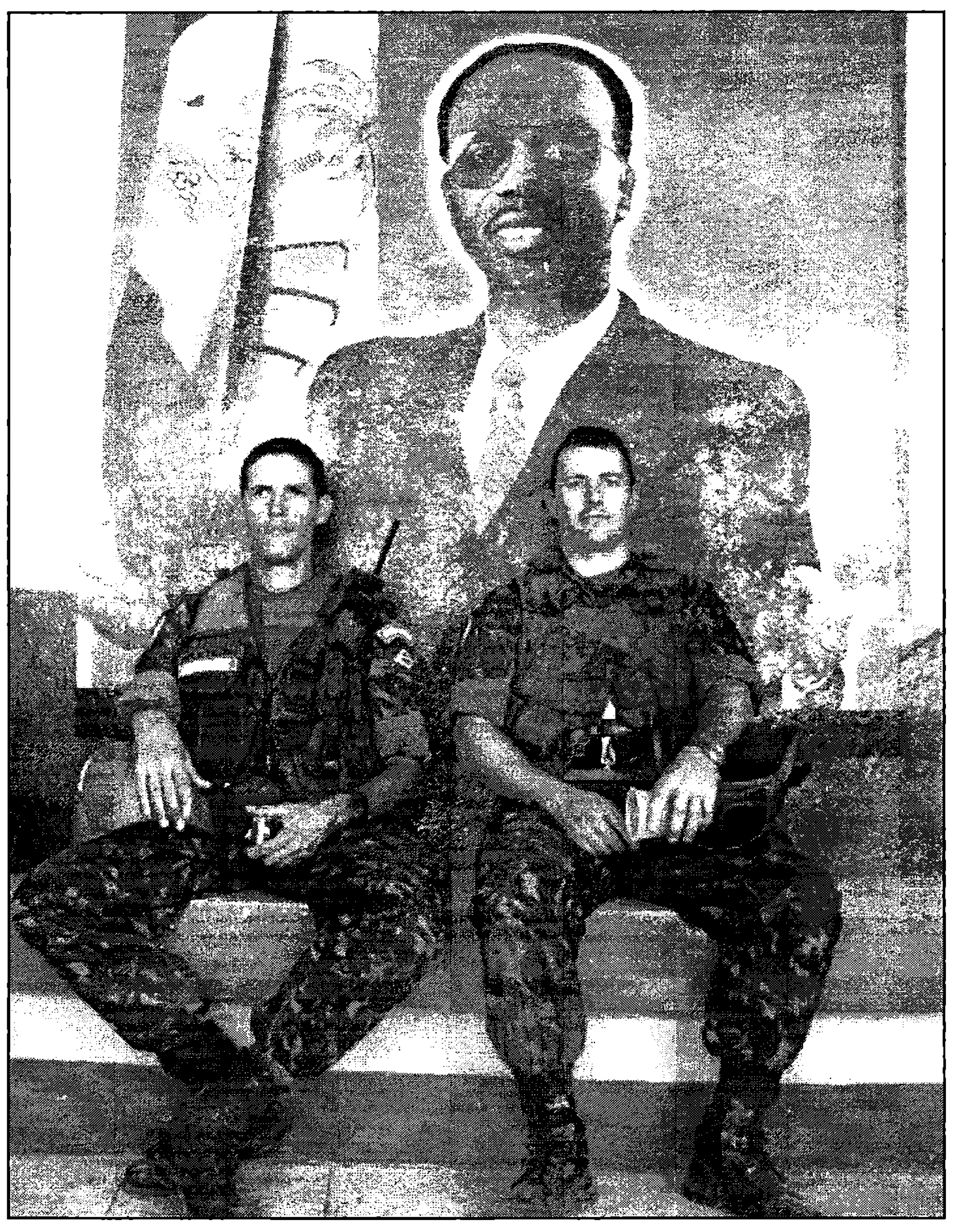
الخطوة الرابعة : الإقصاء، ففي يوم ٢٦ فبراير، اعترف "بودوان جاك كيتون" تاجر للمخذرات والكوكايين المنفي من طرف أريستيد، بأنه أدخل أكثر من ٣٠طنا من المخذرات إلى الولايات المتحدة، واتهم " أريستيد أكبر باترون للمخدرات في هاييتي وهو يتحكم في تجارتها، ولقد حول بلاده إلى سوق كبيرة للمخدرات " .

وفي يوم ٢٩ فبراير، بين الساعة ٢ والساعة ٣ صباحا، حاصرت القوات الأمريكية الخاصة القصر الرئاسي، لتعلن أن أرستيد سينقل للمحاكمة بميامي بسبب تعاطيه تجارة المخدرات إلا في حالة إذا قبل الاستقالة من الحكم، أو قبل انتظار وصول "جي فيليب" المكلف بهمة محاربته !. حاول إثرها أرستيد الاتصال هاتفيا بممثلة كاليفورنيا "ماكسين ووتر" لتشهد معه وتحول دون قتله على طريقة قتل الرئيس الشيلي السابق.

وتحت تهديد السلاح الأمريكي، وبحضور "جيمس فولاي" السفير الأمريكي، و"تييري بوركارد" السفير الفرنسي، وقع أريستيد على رسالة استقالة معدة سلفا "من أجل تجنيب الشعب الهاييتي حماما من الدم"، وسيق بعدها من طرف القوات الأمريكية الخاصة على متن طائرة بيضاء، لا تحمل علامة عليها تبين هويتها

ومتوجهة إلى مقاطعة " بانغي " بجنوب أفريقيا حيث ينتظره بعض المسؤولين الحكوميين الفرنسيين .

إذن في الوقت الذي كان ينتظر فيه من مجلس الأمن للأمم المتحدة إرسالا فوريا لقوات حفظ السلام متعددة الجنسيات، كانت الولايات المتحدة وفرنسا قد حسمتا الأمر بإرسال قوتيهما إلى هاييتي .



جنديان أمريكيان أسفل صورة أريستيد بقصر الرئاسة بعد أن خلعوه بالقوة بعد تحالف مع بلديهما لم تدم !!

وهكذا تمت المصالحة بين باريس وواشنطن من أجل الدفاع عن مصالحهما الإمبريالية المشتركة في جزر الكاريبي ،وقد أحسنت كل منهما تنظيم الانقلاب في هاييتي ضد حكم الرئيس أريستيد المنتخب، وذلك بعد عملية فبركة معارضة شكلية داعمة لحكم دكتاتور الديفاليبيه " أندري أبيد "، حيث إن واشنطن أنشأت مجموعات مسلحة حول الضابط البوتشيسي السابق " جي فيليب "، بينما كان كل من " ريجي ديبراي " و" فيرونيك دو فيلبان ألبانيل " ممثلا الطرف الفرنسي قد أوعزا إلى الرئيس " جون بيرتراند أريستيد " بالاستقالة. وفي النهاية يبقى الشارع الهاييتي وفيا للرئيس أريستيد، ولا يتم اقتحام العاصمة الهاييتية " بور أو برانس " من قبل قوات المتمردين،هذه القوات الأمريكية الخاصة التي عزلت الرئيس من قصره في الصباح الباكر .

وهكذا ورغم فشل المحاولات الأمريكية الدءوبه للإطاحة بالرئيس الفنزويلي، ورغم نجاح الشعب البوليفي فى الثورة ضد الرئيس السابق المدعوم من أمريكا وإجباره على الفرار لواشنطن، ورغم التعثر الأمريكى فى إعادة الاستقرار للعراق بعد احتلاله، نجحت إدارة " بوش " ومخابراته فى تدبير انقلاب للإطاحة بالرئيس الهاييتي المنتخب، واعتقاله وفرض الحصار عليه فى أفريقيا الوسطى، واحتلال هاييتي بعد قرنين من الاستقلال.

منذ انتخاب الرئيس " جين برتران أريستيد "، تتحرك الولايات المتحدة للإطاحة به، بقطع المساعدات الاقتصادية، وبالتمويل الضخم لجماعات المعارضة النخبوية، وبدعم مساعى العسكريين السابقين لقلب حكومة " أريستيد". لكن التأييد الشعبى الذى يحظى به أريستيد وحكومته، حال دون هذه المؤامرات وإفشالها لسنوات طويلة إلى أن نجحت المؤامرة الأخيرة.

كانت الإطاحة بأريستيد نتيجة انقلاب دموي قادته إدارة " بوش " وساعدت فيه حكومة "شيراك "، ونفذته عصابات القتلة المشكلة من الجنود السابقين فى

القوات المسلحة التى تم تسريحها عام ١٩٩٤، فاحتضنتهم المخابرات المركزية الأمريكية، وسلحتهم ودربتهم فى جمهورية الدومنيكان، وأطلقتهم عبر الحدود ليمارسوا القتل والإرهاب ضد المدنيين، بينما تولت السفارة الأمريكية فى هاييتي اعتقال أريستيد وفرض الحصار عليه بعد نقله إلى أفريقيا الوسطى، واحتلت قوات المارينز البلاد بدعوى إعادة الاستقرار.

وقام بعمليات الإرهاب وإشاعة الفوضى، قيادات عسكرية سابقة، كانت قد حكمت البلاد من قبل عقب انقلاب عسكري، ومارسوا إرهاب الدولة فى فترة حكمهم من ١٩٩١ إلى ١٩٩٣.

قائد الانقلاب، وعمليات الغزو وإشاعة الفوضى، التى سبقت دخول القوات الأمريكية، "جاى فيليب"، ضابط سابق فى الجيش الهاييتي، تلقى تدريبه على يد القوات الخاصة الأمريكية فى الإكوادور خلال التسعينيات، أرسلوه بعدها إلى هاييتي حيث أصبح رئيسا للشرطة خلال الحكم العسكرى، وارتبط اسمه بتجارة الكوكايين.

هذه المرة، قام الانقلابيون بغزو هاييتي من حدودها مع جمهورية الدومينيكان، حيث دربتهم وسلحتهم المخابرات المركزية الأمريكية. غزوا البلاد، وقتلوا المئات من المدنيين وأشاعوا الإرهاب، ولاحقوا مؤيدي الحكومة من بيت لبيت. بينما تردد وسائل الإعلام الدولية أن جماهير هاييتي انتفضت للإطاحة بديكتاتورية أريستيد، كان القتلة المسلحون يجوبون شوارع المدينة بعد أن قتلوا المئات وهدموا المتاريس التى أقامها المدنيون دفاعا عن بلادهم.

ووقفت واشنطن تدير الانقلاب، وتدعى الوقوف على الحياد، لكنها كانت تؤكد أنها ستتدخل فى الوقت المناسب لوقف أية أعمال وحشية يقوم بها المتمردون.. فقد كانت تعلم مقدما بهذه العمليات، وأعدت قوات المارينز لتتخذ هذه الأعمال مبررا للتدخل. ولتبدو فى ثياب المنقذ الذى ينتشل البلاد من الفوضى، لتخفى دورها الحقيقي كقوة احتلال.

ورغم كذب "كولن باول" وإعلانه عدم نية واشنطن لإرسال قوات مسلحة أو شرطة لوقف العنف نشاهده ".. "، وأنه لابد من تعاون أريستيد مع المعارضة، والموافقة على إجراء انتخابات رئاسية جديدة فى أقرب وقت " ... بينما كانت عجلة الانقلاب قد دارت، وأطلقت " فرق الموت " لإرهاب الشعب وفتح الطريق أمام قوات المارينز المتأهبة للغزو. وهو الأمر الذى كشفه " جيمس فولى "، سفير أمريكا فى هاييتي، الذى أعلن، فى نفس الوقت الذى كان فيه " باول " يردد أكاذيبه عن " عدم النية فى التدخل "، أعلن " فولى " أن " قوات عسكرية أمريكية ودولية ستسارع بالوصول إلى هاييتي لإعادة الأمن ".

تشارك الحكومة الفرنسية فى المؤامرة، أشركتها الولايات المتحدة لتفادى معارضتها نتيجة عدم إشراكها فى العراق .

ومنذ البداية مولت باريس المعارضين لأريستيد، وأصر وزير خارجيتها "دي فيليبيان " على ضرورة رحيل " أريستيد ". ولعل هذا الموقف يعيد الصواب لمن وضعوا آمالهم على فرنسا كمناطح للسياسة الأمريكية، بعد رفضها لغزو واشنطن المنفرد للعراق.

يبدو أن حكام أمريكا يعاملون حكام العالم الثالث، معاملة عمد القرى والنجوع، فمع كل تغيير فى الحكومة الأمريكية، يتغير التابعون فى العالم الثالث، ومن المفارقات، أن الرئيس الأمريكى السابق "بيل كلينتون"، كان قد أعاد "أريستيد" لحكم هاييتي عام ١٩٩٤ بعد انقلاب عسكرى حكم البلاد منذ عام ١٩٩١، وتدخلت أمريكا آنذاك وفرضت الانتخابات التى جلبت "أريستيد" للحكم، وكانت تتوقع منه أن يرد الجميل، وأن يتولى تنفيذ برامج الخصخصة، وتحويل البلاد إلى سوق للمنتجات الأمريكية، لكنه آثر الاستجابة لمطالب الشعب الهاييتي الذى يعد من أفقر شعوب العالم، وشرع فى تحسين أوضاع العاملين ورفض برامج التكيف الهيكلي والخصخصة ومشروعات البنك الدولى والاعتماد على الذات فى إقامة

مشروعات البنية الأساسية، والتوسع فى بناء المدارس والمستشفيات العامة. وكان أهم خطوة نحو الديمقراطية، تسريح القوات المسلحة، التى كانت مصدرا دائما للانقلابات والديكتاتورية العسكرية فى البلاد، والاعتماد على التأييد الشعبى فى الدفاع عن النظام. وهو الأمر الذى أثار اليمين الأمريكى وشبهوا " أريستيد " بفيديل كاسترو.

وبمجيء اليمين الأمريكى للبيت الأبيض عام ٢٠٠٠، بدأ " بوش " حروبه ضد الأنظمة المنتخبة والمناوئة للسياسات الأمريكية، فى العديد من بلدان أمريكا اللاتينية، ومنها هاييتي. وبدأت سلسلة من هجمات العسكريين المسرحين، والذين يواصلون تدريبهم تحت قيادة المخابرات الأمريكية فى الإكوادور والدومينيكان، لشن هجمات عسكرية للإطاحة بأريستيد وحكومته، وتعددت المحاولات، فى يوليو، ثم ديسمبر ٢٠٠١، وفى أواخر ٢٠٠٢، وطوال ٢٠٠٣، وعمليات تخريب منها تدمير مشروع توليد الطاقة الكهربائية، وتدمير واحد من أكبر السدود فى القارة، موجود فى هاييتي لحرمان البلاد من أهم مصادر الطاقة.

فى الوقت نفسه، فرض " بوش " المقاطعة الاقتصادية وأية مساعدات أمريكية أو دولية للبلاد. وأخيرا نجح " بوش " فى الإطاحة بأريستيد واحتلال هاييتي. فى إطار ظاهرة عودة الاستعمار على النطاق العالمى. حيث تدعى واشنطن - وباريس وغيرهما من العواصم المبريالية الحق فى التخلص من ما تسميهم (بالأنظمة الفاشلة)، سواء كانت منتخبة أم لا، دفاعا عن مصالحها الاستراتيجية الاقتصادية والعسكرية والسياسية.

لن يسفر الاحتلال الأمريكى بمساعدات فرنسية لهاييتي إلا عن ديكتاتورية عسكرية خاضعة للمحتل، والمزيد من القمع لشعب هاييتي. والاستيلاء على اقتصاديات البلاد الفقيرة، وفرض برامج التكيف الهيكلي والخصخصة عليها، وإرهاب بقية شعوب القارة اللاتينية، ولبعض حكوماتها التى تناصبها العداء.

الحرب ضد هاييتي، جزء من حروب الإمبريالية الأمريكية، التى خاضت حربين لاحتلال أفغانستان والعراق فى أقل من عامين، واستخدمت قواتها المسلحة فى أكثر من ١٠٠ بلد. لكنها لن تسفر إلا عن المزيد من الاضطرابات الاجتماعية. واتساع رقعة وجبهة المناهضين للاستعمار. ولعل هاييتي البلد الفقير، الذى لا يتجاوز عدد سكانه ثمانية ملايين نسمة، يلقن أمريكا درسا، كما لقن فرنسا درسا منذ قرنين، فى أحد أهم ثورات العبيد فى التاريخ.

وأما عن مصير " أريستيد " الذى سبق الإطاحة به عام ١٩٩١ وأعاده كلينتون للحكم عام ١٩٩٤، فليس أمامه إلا أن ينتظر صعود الديمقراطيين للبيت الأبيض، لعلهم يعيدونه مرة أخرى عبر الانتخابات لحكم هاييتي، فحكام العالم الثالث لا يفتقدون الثقة فى واشنطن مهما لاقوا من آلام منها ومن سياستها.

من ناحية أخرى، تكشف هاييتي، الطريقة التى تم بها الإطاحة بأريستيد وإعادة احتلال البلاد، تكشف عن أسلوب مبتكر جديد، يتلخص فى إطلاق يد القوى الموالية لأمريكا والمعادية للنظام القائم، فى القيام بأعمال التخريب والدمار، لتفتح الطريق أمام قوات الاحتلال لغزو البلاد، والقيام بدور المنقذ من الفوضى.

و في الوقت الذي كان رئيس المحكمة العليا في هاييتي بونيفاس ألكسندر يؤدى اليمين القانونية كرئيس خلفا لأريستيد بموجب الدستور، كان أريستيد قد وصل إلى بانغي عاصمة جمهورية أفريقيا الوسطى لاجئا سياسيا، وقال مسؤول أميركي إنه سيقيم في بانغي "مؤقتا ". وتحدثت أنباء عن أن جنوب أفريقيا قامت بوساطة لقبول أريستيد لاجئا سياسيا في أفريقيا الوسطى بعد أن رفضت عدة دول استقباله وبالطبع في مقدمتهم أمريكا حليفته القديمة التي كانت من قبل قد حاربت لإعادته إلى السلطة .

وصرح ديلبير كولار، محامي أريستيد، بأنه رفع دعوى في الولايات المتحدة على السفير الأميركي في هايتي جيمس فولي بتهمة " خطفه ".

وقال كولار إن أريستيد رفع الدعوى ضد السفير الفرنسي في بور أو برانس بتهمة الخطف أيضا. ولا يزال اريستيد يقول حتى الآن إنه كان ضحية " انقلاب " دبرته أمريكا بعد أن انقلبت عليه وأنه " لا يزال الرئيس المنتخب"

ولد جان بيرتراند أريستيد في ١٥ يوليو ١٩٥٣ في مدينة بورت سالوت الساحلية في هايتي

ثم انتقل في صباه مع أمه وأخته إلى العاصمة بورت أو برنس ودرس في مدرسة ثانوية لاهوتية وحتى تخرج في جامعة نوتر دام عام ١٩٧٤ حيث درس فيها الفلسفة.

فور تخرج اريستيد من جامعة نوتر دام في هايتي وتخصصه الفلسفة، سافر إلى روما ثم إلى الكيان الصهيوني عام ١٩٧٩ حيث قضى عامين لدراسة ما يخص العهد القديم والحديث.

وفي ٣ يوليو ١٩٨٣ عاد أريستيد إلى هايتي ليعين أسقفاً كاثوليكيا في أحد كنائسها، ويصبح المتحدث باسم أحد التجمعات اللاهوتية الكاثوليكية والتي تطلق على نفسها " تي لجليز "

ومنذ ذلك الحين بدأ نجم اريستيد في الظهور وهو ما جعله هدفاً للميليشيات المسلحة المتصارعة على السلطة، فقد تعرض لأكثر من ٩ محاولات للاغتيال، كانت أولها ١١ يونيه ١٩٨٨ حيث هاجمته إحدى الميليشيات المسلحة.

وفي واشنطن حليفة ارستيد القديمة، اتهم النواب الديمقراطيون في الكونغرس إدارة الرئيس جورج بوش بأنها "أرغمت الرئيس الهاييتي السابق جان برتران اريستيد على الرحيل" حين توجه لاجئا إلى أفريقيا الوسطى، أولى محطات منفاه.

وقال النائب الديمقراطي روبرت مينديز (نيو جرسي) خلال نقاش حول هايتي مع مساعد وزير الخارجية روجيه نوربيغا أمام لجنة العلاقات الدولية في مجلس

النواب: أن " الإدارة الأمريكية هى التي شجعت أعمال العنف في هايتي وخلقت وضعا أدى إلى رحيل أريستيد بعدم إرسالها قوات في وقت مبكر.

وأضاف: الدول الأخرى في أميركا اللاتينية ترى أن هذه الحكومة الأمريكية بزعامة بوش لا تدافع عن الرؤساء المنتخبين ديمقراطيا إذا كانت لا تحبهم، ودون مراعاة ما إزا كانوا أصلا أصدقاء أو حلفاء لأمريكا أم لا !!

ورد نورييغا بالقول: نحن سهلنا رحيله بكل أمان وبناء على طلبه، نافيا من جديد أن تكون الولايات المتحدة قد أرغمت الرئيس السابق على الرحيل كما زعم هو نفسه. وتعرض نورييغا أيضا لهجوم عنيف من قبل النواب السود في المجلس الملتزمين كليا بالمسألة الهايتية.

وقال النائب غريغوري ميكس (نيويورك): لم تسعوا إلى حل دبلوماسي، فقط كنتم تريدون التخلص من اريستيد.

وسأل زميله تشارلز رانجيل (نيويورك) مساعد وزير الخارجية عما إن كانت الولايات المتحدة قد اشترطت على أريستيد مساعدته وعائلته على الرحيل بكل أمان من هايتي مقابل استقالته». وأجاب نورييغا: قلنا له إننا نريد حلا دائما وتحاشي حمام دم.

ورد رانجيل: وبدون استقالته كان سيكون الأمر انقلابا. ولكن نورييغا قال: رسالة الاستقالة معنا.

بقي أن نقول إن جمهورية هايتي قد احتفلت مؤخراً بالذكرى المائتين لاستقلالها، وأن قصة استقلالها تستحق أن تروى.. ففي مطلع القرن التاسع عشر قام سكان مستعمرة هايتي الفرنسية وجميعهم من العبيد المستوردين من أفريقيا أو سلالتهم بثورة بالغة العنف ضد قوات نابليون بونابرت، مما دفع القوات الفرنسية إلى الرحيل من هايتي ومنح المستعمرة الاستقلال.

شارك مع فرنسا في الضغوط على الثوار الهايتيين الولايات المتحدة الأمريكية التي لم يرق لها أن تقوم ثورة انعتاق وتحرر بين العبيد في جزيرة من جزر الكاريبي القريبة من مزارع الجنوب الأمريكي. ورفضت الاعتراف بجمهورية هايتي لمدة ستين عاماً بعد استقلالها. وشاركت الفاتيكان التي شعر قادتها بأن استقلال العبيد قد يحرم المسيحيين الذين يمتلكونهم من أداء رسالة التبشير.

هكذا خرجت إلى الوجود دولة هايتي. الغريب والمثير في آن واحد أن العالم النامي في مجمله عبر سنوات نضاله من أجل التحرر، أي خلال القرن العشرين، تجاهل مغزى قيام هذه الدولة في هذه المرحلة المبكرة من الاستعمار، وتجاهل مغزى فشل هذه الدولة ككيان سياسي تربص به اليأس، ولم يتمتع سكانه على مدى مائتي عام بفترة، ولو قصيرة للغاية، من السكون والاستقرار والرخاء.

خرجت هايتي إلى الاستقلال بشعب تحرر من العبودية ولكنه حوصر منذ اليوم الأول بالعقوبات الاقتصادية التي فرضها عليه الاستعمار الفرنسي كشرط لرحيله، تعويضاً عما قدمه للمستعمرة من خدمات وثمناً لمزارع الأوروبيين وممتلكاتهم.

وما لا يعرفه الكثيرون في العالم الخارجي أن هايتي مستمرة في تسديد أقساط هذا التعويض المزعوم وقدره ٢١ مليار دولار لحكومتي فرنسا وبريطانيا. ولا مبالغة في القول إن هايتي حوصرت إقليمياً من قوات استعمارية أكثر مما حوصرت أي دولة أخرى. المعروف مثلاً أن القوات البحرية الأمريكية هددت هايتي وحاصرت سواحلها ستا وعشرين مرة خلال الفترة من ١٨٤٩و١٩١٥، حين احتلتها عسكرياً واستمر هذا الاحتلال حتى عام ١٩٣٤. وجاءت القوات العسكرية الأمريكية مرة أخرى في عام ١٩٩٤، ولم ترحل إلا عام ٢٠٠٠.

ولدت هايتي دولة فاشلة وظلت فاشلة. وفي كل مرة كان عدم الاستقرار يتفاقم إلى حد يهدد مصالح مستثمرين أمريكيين، أو وكالة المخابرات الأمريكية، أو كبار

رجال الأعمال، أو الأمريكيين العاملين في منطقة الكاريبي وأمريكا الوسطى، تدخلت الولايات المتحدة تحت عنوان "التدخل لاعتبارات إنسانية". ثم تطور العنوان فأصبح "التدخل لبناء الأمم"، وأخيراً انتهى إلى عبارة "إعادة الإعمار في الدول الفاشلة أو الساقطة".

في هايتي ضغطت الولايات المتحدة ضغطاً متوالياً بعد وفاة الديكتاتور الأشهر دوفاليه، والذي عرف بلقب "بابا دوك"، وكان يحكم بفرقة من رجال المباحث والشرطة عرفت باسم "تونطون ماكوت". هذه الفرقة كانت عبارة عن مجموعة من الإرهابيين، في مهام رسمية؛ وظيفتهم اغتيال خصوم النظام أو المشتبه في ولائهم، وابتزاز أموال الفقراء واغتصاب النساء.

وعقب وفاة "بابا دوك" تولى ابنه الحكم، فتجرأت المعارضة السياسية في الدولة وأثارت شغباً وطالبت بحكومة ديمقراطية. وتدخلت الولايات المتحدة وضغطت ضغطاً مباشراً على كبار رجال الأعمال وعلى القوى السياسية في هايتي؛ وأقيمت انتخابات أتت بالقس جان برتران أريستيد إلى الحكم. شارك في الانتخابات التي نظمت تحت إشراف أمريكي حوالي ٨٥٪ من السكان، ممن يحق لهم الانتخاب.

وشعر السياسيون الأمريكيون بالغبطة، إذ تصوروا أنهم نجحوا في أول خطوة في عملية التدخل لأسباب إنسانية. جدير بالذكر أنه عندما أجريت انتخابات أخرى في عام ١٩٩٥ لم يشارك فيها أكثر من ٤٠٪، ثم في عام ١٩٩٧ شارك ٥٪ فقط ممن لهم حق المشاركة.

لم يقتنع سكان هايتي بالديمقراطية القادمة من أمريكا، وأطلقوا عليها تعبيرا اشتهر في دول الكاريبي، وهو "الديمقراطية المستعملة" نسبة إلى معظم أنواع السلع التي تستوردها هايتي كالملابس والسيارات المستعملة والأغذية فاقدة الصلاحية إلى آخره.

ورغم التأييد الأمريكي للرئيس أريستيد ولنظامه، وقع انقلاب عسكري بعد سبعة أشهر ولجأ أريستيد إلى الولايات المتحدة، وتولى الحكم قادة الجيش. وفي سبتمبر ١٩٩٤ عادت الولايات المتحدة تجرب مرة أخرى فرض الديمقراطية على دولة هايتي، في عملية أطلق عليها "دعم الديمقراطية"، واستخدمت في سبيل ذلك أكثر من ٢٠ ألف جندي أمريكي وصلوا ومعهم القس أريستيد، لإعادته إلى مكانه كرئيس جمهورية. استمر الاحتلال العسكري الأمريكي لهايتي حتى سنة ٢٠٠٠بذريعة إعادة بناء الدولة.

كان يقال خلالها إن الجيش الأمريكي يحرس الطرق، ويقوم بإصلاحها، وإصلاح عشرات المدارس، وحفر الآبار، وبناء المراحيض في شوارع العاصمة، وجاء بممرضين من الولايات المتحدة لمعالجة عشرات الألوف من فقراء هايتي. في هذه الأثناء كانت الولايات المتحدة قد أنفقت ما يعادل ملياري دولار على أغراض إعادة البناء في هايتي.

إلا أن ما لا يعرفه الكثيرون هو أن هايتي عاشت مرحلة شلل كاملة من سنة ١٩٩٧؛ أي بعد وصول القوات الأمريكية بثلاث سنوات حتى سنة ٢٠٠٠. كان الحكم قد آل إلى الرئيس بريفال النائب السابق لأريستيد، ولم تجر انتخابات لأن مراكز تسجيل الناخبين كانت مغلقة بعد أن نهبها اللصوص. وقد كتب كثير من المحللين في ذلك الوقت يقولون إن المحاولات الأمريكية لإعادة بناء الهياكل التحتية للدولة، والضغط من أجل إقامة اقتصاد سوق في دولة تفتقر إلى أبسط مقومات الحياة اليومية العادية، كانت من أسباب فشل إقامة النظام الديمقراطي.

إلا أن قراءة لهذه الفترة من تاريخ هايتي توحي بأن أهم أسباب الفشل كانت هي الممارسات الأمريكية غير السليمة أو الخاطئة في إدارة شؤون هايتي. إذ انه حين دخلت القوات الأمريكية لإعادة أريستيد إلى الحكم تفاوضت مع قادة الانقلاب العسكري على مغادرة الدولة تحت حماية أمريكية، وسمحت لرئيس الانقلاب راؤول سيدراس بأن ينتقل مع عائلته وكل الأموال والثروة التي استولى عليها بطائرة خاصة إلى بنما، حيث أقام ومازال يقيم في واحد من أفخم الفنادق.

أما نائبه إيمانويل فكان يقود مليشيا مسلحة تقوم بنفس الأعمال الوحشية التي كانت تقوم بها جماعة المباحث في عهد الطاغية بابا دوك، واستضافته الولايات المتحدة، ويعيش في فلوريدا حياة ترف وبذخ. شعر المواطنون بأن الولايات المتحدة خانت شعب هايتي عندما ساعدت الانقلاب العسكري، وخانته مرة أخرى عندما أمنت لقادته الخروج من دون محاكمة، وفي حراسة قوات الاحتلال الأمريكي.

الأمر الآخر الذي أخطأت فيه الولايات المتحدة أنها تركت الانقسام، داخل أجهزة الحكم الأمريكية حول عودة أريستيد إلى الحكم، يؤثر في سياستها تجاه هايتي. كان معروفاً وقتها أن جهاز المخابرات الأمريكية يتخذ موقفاً معادياً من أريستيد، لدرجة أن الجهاز قام بتشويه سمعته الأخلاقية والشخصية والمادية في أوساط عاصمة هايتي، ولدى مختلف حكام منطقة الكاريبي.

لذلك عاد أريستيد مع الجيش الأمريكي فاقداً ثقة شعبه به وبسمعة بالغة السوء. وفي سنة ٢٠٠٠ تقدم أريستيد مرة أخرى إلى انتخابات الرئاسة، وأقيمت الانتخابات وقالت أجهزته أنه حصل على ٩١٪ من الأصوات؛ بينما يؤكد الصحافيون الأمريكيون، الذين حضروا هذه الانتخابات، أنه لم يشارك فيها أكثر من ١٠٪ من السكان، وأنها كانت مزورة. ولم تمض شهور إلا وبدأت أزمة جديدة في هايتي. فقد حاول أريستيد أن يعدل الدستور ليسمح له بفترة ثانية عندما تنتهي فترته الأولى في ٢٠٠٤.

ورفضت المعارضة ونشبت المظاهرات. وتتحدث مصادر متعددة عن احتمال قيام انقلاب عسكري جديد، حاولت دول الكاريبي الأخرى والكيانات السياسية المحيطة بهايتي منعه بعقد اجتماع يحضره أريستيد لمناقشة أوضاع هايتي، والطلب إلى الولايات المتحدة أن تتدخل مرة أخرى لإعادة الاستقرار وإيقاف العنف في هايتي تفادياً لانتشاره في المنطقة.

وقد وصف أحد المحللين الأمريكيين لدول أمريكا الوسطى والكاريبي التي دعت لاجتماع يعقد لمناقشة أحوال هايتي بأنها جميعا مصابة بما يسمى "تعب هايتي"، أسوة بما يحدث للمعادن التي تصاب بالتعب فتتشقق وتتفتت. لقد سمح الاحتلال الأمريكي خلال الفترة التي قضاها في عملية إعادة بناء هايتي لرجال الأعمال بتهريب أموالهم إلى فلوريدا ودول أخرى في أمريكا الوسطى، بالإضافة إلى أن القوات الأمريكية أخذت معها ١٦٠ ألف وثيقة تثبت ضلوع العسكريين في عمليات تعذيب واغتصاب واغتيال ورفضت إعادتها.

والمثير للانتباه في حالة هايتي، أنها كان يمكن أن تكون نموذجاً ليس فقط لمجموعة دول الكاريبي ولكن أيضاً لدول القارة الجنوبية. ولكن الأخطاء التي مارستها الولايات المتحدة عندما تدخلت باسم "الاعتبارات الإنسانية وإعادة بناء الأمة" في هايتي، تسببت في انتشار حالة عدم الثقة داخل القارة وفي خارجها أيضا.

ومنذ عودة أريستيد إلى الحكم في عام ٢٠٠٠ حاولت الولايات المتحدة تعقيد ظروف الحكم بقطع المعونات عن هايتي وفرض الحصار الاقتصادي وتشجيع المعارضة كما تفعل في فنزويلا. الأوضاع الراهنة في هايتي جعلتها تبدو في نظر الكثيرين مثالاً على الفشل الأمريكي في إعادة إعمار الأمم وبناء الديمقراطية فيها.

لقد وجه أريستيد، بمناسبة مرور ٢٠٠ عام على خروج الاحتلال، الدعوة إلى جميع حكام العالم ليحضروا احتفالات مرور ٢٠٠ عام على استقلال هايتي. وبسبب حال الفوضى الشاملة في هايتي لم يقبل الدعوة إلا اثنان هما رئيس جمهورية اتحاد جنوب أفريقيا، ورئيس وزراء جزيرة الباهاما.

وقد وصل مبيكي رئيس جمهورية اتحاد جنوب أفريقيا إلى بورأوبرانس، عاصمة هايتي، يحرسه خمسون شخصاً ومعهم عربة إسعاف وسيارة مصفحة. كان مشهد وصوله التعبير الأشد دقة عن حالة دولة عمرها مائتا عام ومازالت عاجزة عن إقامة الاستقرار وتوفير الأمن والطمأنينة لشعبها.

■■■

مصادر ومراجع

١ – مشرف.. "الشاه" الباكستاني المخلوع : تسعةُ أعوام في خدمةِ العم سام- محمد العماري – شبكة البصرة – ٢١ أغسطس ٢٠٠٨

٢ – واشنطن "تبيع" مشرف وتعتبر أن وضعه بات حرجا ويصعب إنقاذه – محيط– ١٢ أغسطس ٢٠٠٨

٣ – مشرف يدفع ثمن تحالفه مع واشنطن – محيط – جهان مصطفى – ٢٢ أغسطس ٢٠٠٨

٤ – صراع بوتو ومشرف على تخوم الإمبراطورية الأميركية – عزمي بشارة- الحياة – ٢٢نوفمبر ٢٠٠٧

٥ – سقوط أخطر حلفاء " الحرب على الإرهاب " – محمود المبارك الحياة- ١٨أغسطس ٢٠٠٨

٦ – برويز مشرف.. اللاعب بالنار – عمر فاروق – الشرق الأوسط – ٢٩ سبتمبر ٢٠٠٦

٧ – فرح بهلوي تستعيد اللحظات السريعة الزوال مع الشاه وتتمسك بأمل رؤية إيران – أمير طاهري – الشرق الأوسط – ١١ يناير ٢٠٠٤

٨ – مذكرات الإمبراطورة الأخيرة: فرح بهلوي.. حياتي – سميرة جورج – ١٢ نوفمبر ٢٠٠٣

٩ – إدارة الصراعات الخفية والمعلنة لأمريكا في الشرق الأوسط – علي الطالقاني – شبكة النبأ المعلوماتية– ٢٦ يناير٢٠٠٧

١٠ - كتاب "ميراث من الرماد : تاريخ وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية"- تيم فينير

١١ - كتاب " إيران بين التاج والعمامة" - السفير أحمد مهابة - دار الحرية

١٢- كتاب " الحرب الكبرى تحت ذريعة الحضارة - روبرت فيسك -ترجمة عاطف المولى وآخرين- شركة المطبوعات للتوزيع والنشر- بيروت - ٢٠٠٦

١٣ - خيوط اللعبة: الإستراتيجية الأمريكية في العراق - جواد كاظم البيضاني- شبكة النبأ المعلوماتية- ١٦ نوفمبر ٢٠٠٦

١٤ - عام على سقوط الطاغية...أمريكا تزرع الريح في العراق - نزار حيدر- مجلة وجهات نظر - ٣٠مارس٢٠٠٤

١٥ - صدام الأسطورة التي خلقها الأمريكان ثم سحقوها بأقدامهم - وداد فاخر

١٦ - صدام.. قصة سقوط طاغية ونهاية فيها الكثير من العبرة- شبكة النبأ المعلوماتية- ٣١ ديسمبر ٢٠٠٦

١٧ - الفليبين والولايات المتحدة.. من مواجهة الشيوعية إلى محاربة الإسلام- صهيب جاسم - إسلام أون لاين

١٨ ـ ما الذي يجري في آسيا ـ - إبراهيم نافع وآخرون - مركز الأهرام للترجمة والنشر ـ ٢٠٠٠.

١٩ - قراءات في الأزمة الآسيوية ـ نيرمين السعدني ـ السياسة الدولية - يوليو ١٩٩٨.

٢٠ ـ إندونيسيا بين ارتباطات الماضي وتطلعات المستقبل ـ نزيرة الأفندي- السياسة الدولية العدد (١٣٣) يوليو ١٩٩٨.

٢١ ـ التاريخ الإسلامي: إندونيسيا ـ محمود شاكر - المكتب الإسلامي ـ الطبعة ١٩٩٢ - دار سفير ـ القاهرة

٢٢ - وفاة سوهارتو حكم بقبضة ديكتاتور ... وأسقط الفساد نظامه - الحياة- ٢٨ يناير ٢٠٠٨

٢٣ - ماذا يفعل الأمريكان في بلاد الأباظة المسلمة؟! - شعبان عبد الرحمن- إسلام أون لاين.نت - ١٤مارس٢٠٠٢

٢٤ - روسيا وجورجيا.. البيوت الزجاجية للإخوة الأعداء - د. عاطف عبد الحميد - ١٣أغسطس٢٠٠٢

٢٥ - شيفرنادزة.. قصة سقوط ديكتاتور - د.حمزة زوبع - أول ديسمبر٢٠٠٣

٢٦ - متاهة هاييتي – سول لانداو – ٢٦ فبراير ٢٠٠٤ - ترجمة أحمد زكي- الحوار المتمدن – ٣ مارس ٢٠٠٤

- واشنطن وباريس تقلبان نظام أريستيد - تييري ميسان- شبكة فولتير- ٢٦ فبراير ٢٠٠٤

٢٧ - هاييتي تحت الاحتلال الأمريكى بعد قرنين من الاستقلال - خالد الفيشاوى– موقع زى نت العربية - ٢٤مارس٢٠٠٤.

٢٨ - دبابات الفكر الجديدة : صانعو القرار والحكومة الخفية في أميركا - د.عبد الغني عماد - ٢ مارس ٢٠٠٤

٢٩ - أريستيد: دعوى على السفير الأميركي بهايتي : الديمقراطيون يتهمون إدارة بوش بإرغام أريستيد على الرحيل - الشرق الأوسط - ٥ مارس ٢٠٠٤

٣٠ - الرئيس جون برتراند أريستيد : المشهد كماوصفته الصحافة الغربية - تييري ميسان -١ مارس ٢٠٠٤

٣١ - كتاب "الإمبراطورية الاستباقية؛ الدليل إلى مملكة بوش" - سول لانداو- تقديم : جورج مكفرن- ترجمة، تحقيق : ليلى النابلسي - شركة الحوار الثقافي-أول أبريل٢٠٠٥

الفهرست

اقرأ فى هذا الكتاب

رغم أن الولايات المتحدة قد تخصصت عبر عقود طويلة في بيع حلفائها وأصدقائها، بمجرد أن تجد البديل الأفضل، أو أن تراهم آيلين للسقوط - وغالبا ما تكون هى السبب الرئيسي في هذا السقوط - إلا أن كثيرين هم الحكام الذين لا يتعظون، و ما أن تغدر أمريكا بحاكم، حتى يتطوع آخر، ويقدم نفسه لها كـ "عميل مرشح" على أمل أن تكون هى "المظلة" التي يستخدمها هو للقفز على كرسي الحاكم، وتدور الأيام ليجد في النهاية الغدر بانتظاره، وربما ترفض حتى استقباله في بلادها، ولو للعلاج، لأنها ببساطة استنفدته، حتى سقط في أعين شعبه، ولا تريد أن تراهن على جواد خاسر، بل تريد أن تراهن على البديل، وغالبا ما تكون قد أعدته، أو طرح هو نفسه عليها كبديل أفضل.. وهكذا !!

وفي هذا الكتاب سنطالع تجارب حلفاء كثيرين لواشنطون طالهم منطق الغدر الأمريكي بالحلفاء والأصدقاء "لاصداقة تدوم .. ولا وفاء يستمر" ومنهم الرئيس الباكستاني برويز مشرف، وتجربة شاه إيران محمد رضا بهلوي، وتجربة الرئيس الفلبيني فرديناند ماركوس، وتجربة مانويل نورييجا رئيس بنما.

كما سنطالع أيضا تجارب هؤلاء الذين باعتهم أمريكا أيضا ومنهم الرئيس العراقي صدام حسين، وإدوارد شيفاردنادزه رئيس جورجيا، وسوهارتو رئيس أندونيسيا، وبينوشيه ديكتاتور شيلي، وباتيستا ديكتاتور كوبا، وموبوتو رئيس الكونغو، وبي نظير بوتو رئيسة وزراء باكستان السابقة، وجان أريستيد رئيس هاييتي، وعسكر آكاييف حاكم قرقيستان وغيرهم وغيرهم.

هذا الكتاب محاولة للوقوف على الخطأ التاريخي الكبير الذي يقع فيه أي حاكم إذا اعتقد ولو لحظة واحدة أن أية قوة عظمى خارجية يمكن أن تضمن له الاستمرار في السلطة، لأن الضمانة الوحيدة هنا هى شعبه، والتاريخ شاهد على هذه القوى العظمى و كيف تغدر بأصدقائها، وتراهن على البديل لتبدأ اللعبة من جديد !!




I.S.B.N. 977-376-421-4